دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

بمناسبة مرور ١٦٠٠ سنة على انعقاد المجمع المسكوني الثاني
(القسطنطينية) بخصوص تحديد لاهوت الروح القدس
(سنة ٣٨١م – سنة ١٩٨١م)

الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية

الرُّوحُ القُدُسُ

الربُّ المحيي

(في كتابين)

الكتاب الأول

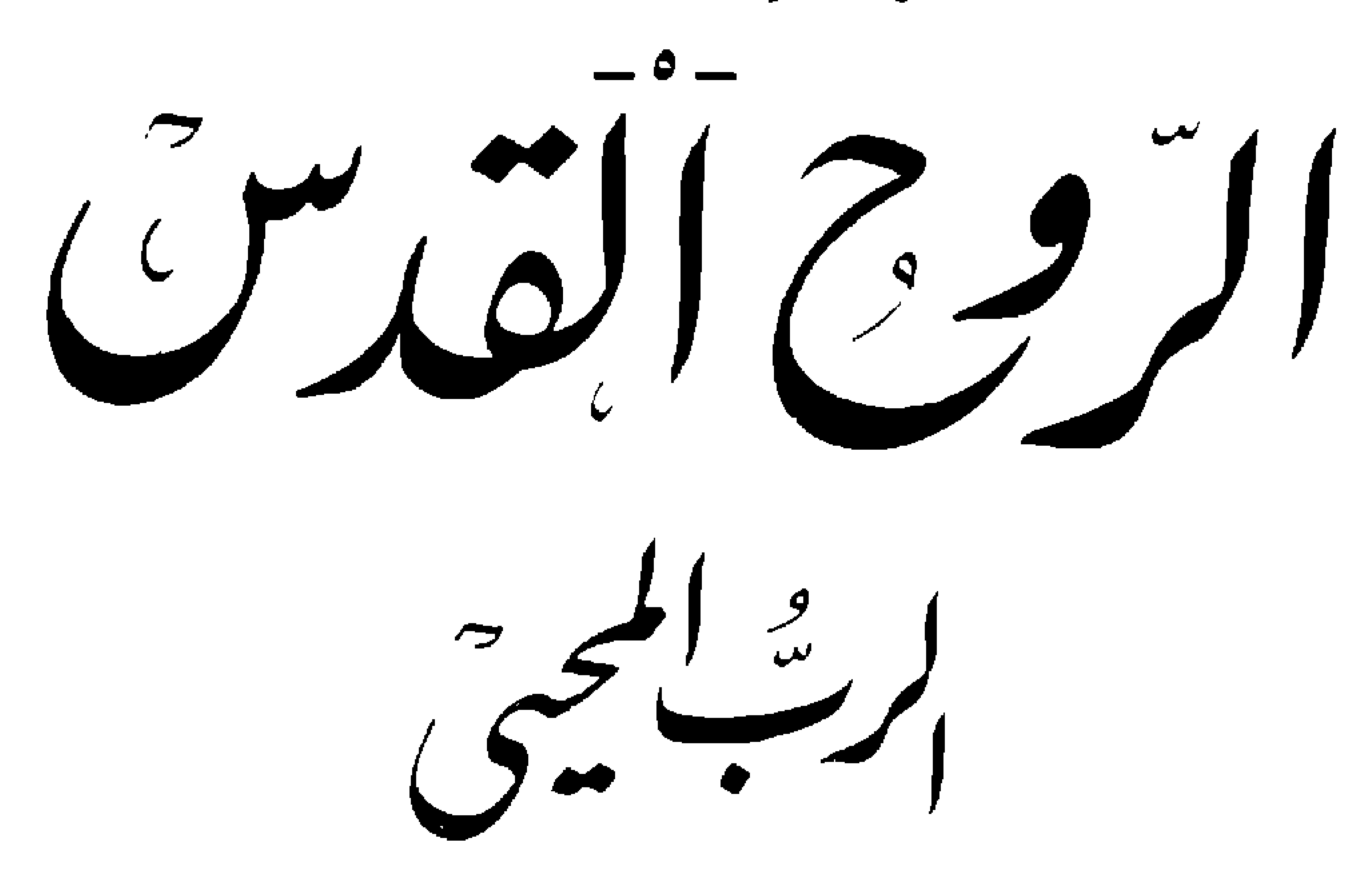
الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

بمناسبة مرور ١٦٠٠ سنة على انعقاد المجمع المسكونى الثانى
(القسطنطينية) بخصوص تحديد لاهوت الروح القدس
(سنة ٣٨١م ــ سنة ١٩٨١م)

الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية

- ٥ -



(في كتابين)

الأب متى المسكين

سلسلة : الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية

صدر منها :

١ ــ أعياد الظهور الإلهي .

٢ ــ الصوم الأربعيني المقدس .

٣ ــ مع المسيح في آلامه حتى الصليب .

٥ ــ الروح القدس الرب المحيي .

وسيصدر فيما بعد الكتاب الرابع عن أعياد القيامة .

كتاب : **الروح القدس الرب المحيي ــ الكتاب الأول .**

المؤلف : **الأب متى المسكين .**

الطبعة الأولى : ١٩٨١ .

مطبعة دير القديس أنبا مقار ــ وادي النطرون .

ص. ب. ٢٧٨٠ القاهرة .

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٨١/٣٣٤٢ .

الترقيم الدولي : ٧ ــ ٥٤ ــ ٧٣٢٠ ــ ٩٧٧

الفهـــرس العـــــام

الكتاب الأول

المحتويات

الكتاب الثاني

المحتويات

تقديـــــم

مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني
(مـايو سنة ٣٨١م)
ولاهوت الروح القدس

□ □ □

كان لاهوت الروح القدس من المبادىء الإيمانية الأساسية، التي استلمها الرسل القديسون من الرب منذ البدء، وسلّموها إلى الكنيسة عبر التعاليم والإنجيل والأسرار: «عمّدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس»؛ فالتساوي هنا بين الأقانيم واضحٌ ومطلق، على أساس وحدة الذات والجوهر في الله الواحد.

ولكن بقيام الأريوسية ــ في أوائل القرن الرابع ــ وتنكُّرها لمبدأ وحدة الجوهر الإلهي للآب والإبن؛ انفتح المجال أمام جماعة مقدونيوس أسقف القسطنطينية ــ في أواخر نفس القرن ــ لإنكار لاهوت الروح القدس، واعتباره في رتبة الملائكة(١)؛ مما دعا أساقفة الشرق لعقد مجمع ضدّه سنة ٣٦٠م، حيث أسقطوه عن كرسيه(٢).

وبازدياد البلبلة، بسبب هذه التعاليم، أحسّ الإمبراطور ثيئودوسيوس الكبير بالخطر المحدق بالكنيسة؛ فدعا إلى عقد مجمع مسكوني لهذا الغرض، ولتدعيم قوانين مجمع نيقية.

فاجتمع في القسطنطينية مائة وخمسون أسقفاً، كلّهم شرقيون؛ وامتنعت روما عن إيفاد مندوبين عنها، لكنها أقرّت قانونية هذا المجمع لخطورته. وقد بدأ المجمع جلساته في شهر مايو سنة ٣٨١م.

---

(1) Early Hist. of Christ. Doct., p. 360.

(2) Hefele, Councils, vol. Ii, pp. 185, 273.

رأسَ الجمع الأسقف ميليتوس أسقف أنطاكية؛ وإذ تُوُفِّي قبل انفضاض المجمع، اختير للرئاسة القديس اغريغوريوس الثيئولوغوس الذي عُيِّن أسقفاً على القسطنطينية مدةً قصيرة، ولكن باحتجاج البابا تيموثاوس الإسكندري مع أساقفة مصر بسبب كسر الثيئولوغوس للقانون رقم ١٤ لمجمع نيقية ــ الذي ينص على عدم نقل الأساقفة من إيبارشياتهم ــ تنازل القديس غريغوريوس واعتزل في مدينة نزينزى، تاركاً الرئاسة لنكتاريوس، الذي اختير أسقفاً على القسطنطينية من بعده.

وكان أشهر الأساقفة الأرثوذكس الذين حضروا الجمع، البابا تيموثاوس الإسكندري، الذي رأسَ جماعة المدافعين عن وحدة جوهر الثالوث(٣)، وهم: ملاتيوس أسقف أنطاكية، وكيرلس الأورشليمي، وغريغوريوس الثيئولوغوس، وغريغوريوس النيسي، ونكتاريوس أسقف القسطنطينية، واسخوليوس أسقف تسالونيكي، وديودور أسقف طرسوس، وأكاكيوس أسقف بيرية؛ هؤلاء هم أعمدة الكنيسة في ذلك الوقت الذين دعموا قوانين مجمع نيقية بفمٍ واحد.

وإمعاناً من الإمبراطور في إظهار حقيقة التعاليم الرسولية، دعا جماعة المقدونيين المبتدعين للحضور، فحضر منهم ستة وثلاثون أسقفاً. وبعد تقديم البراهين الكتابية، والأدلَّة القاطعة من تعاليم الآباء حسب التقليد الرسولي المستقر في كافة الكنائس، حكم الآباء بتجريد مقدونيوس من جميع رتبه الكهنوتية، وثبَّتوا الإيمان المستقيم الذي أقرَّه مجمع نيقية، كما أضافوا إلى نص دستوره القائل: «... نعم نؤمن بالروح القدس.»، أضافوا الآتي:

«الرب المحيي، المنبثق من الآب، المسجود له والممجد مع الآب والإبن، والناطق في الأنبياء؛ وبكنيسة واحدة مقدَّسة جامعة رسولية؛ ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا. وننتظر قيامة الأموات، وحياة الدهر الآتي. آمين». هذا هو دستور الإيمان، الذي لا زلنا نتلوه كل يوم، معترفين بفضل هؤلاء الأساقفة العظام، الذين حفظوا لنا الوديعة الإيمانية التي سلِّمت للقديسين.

---

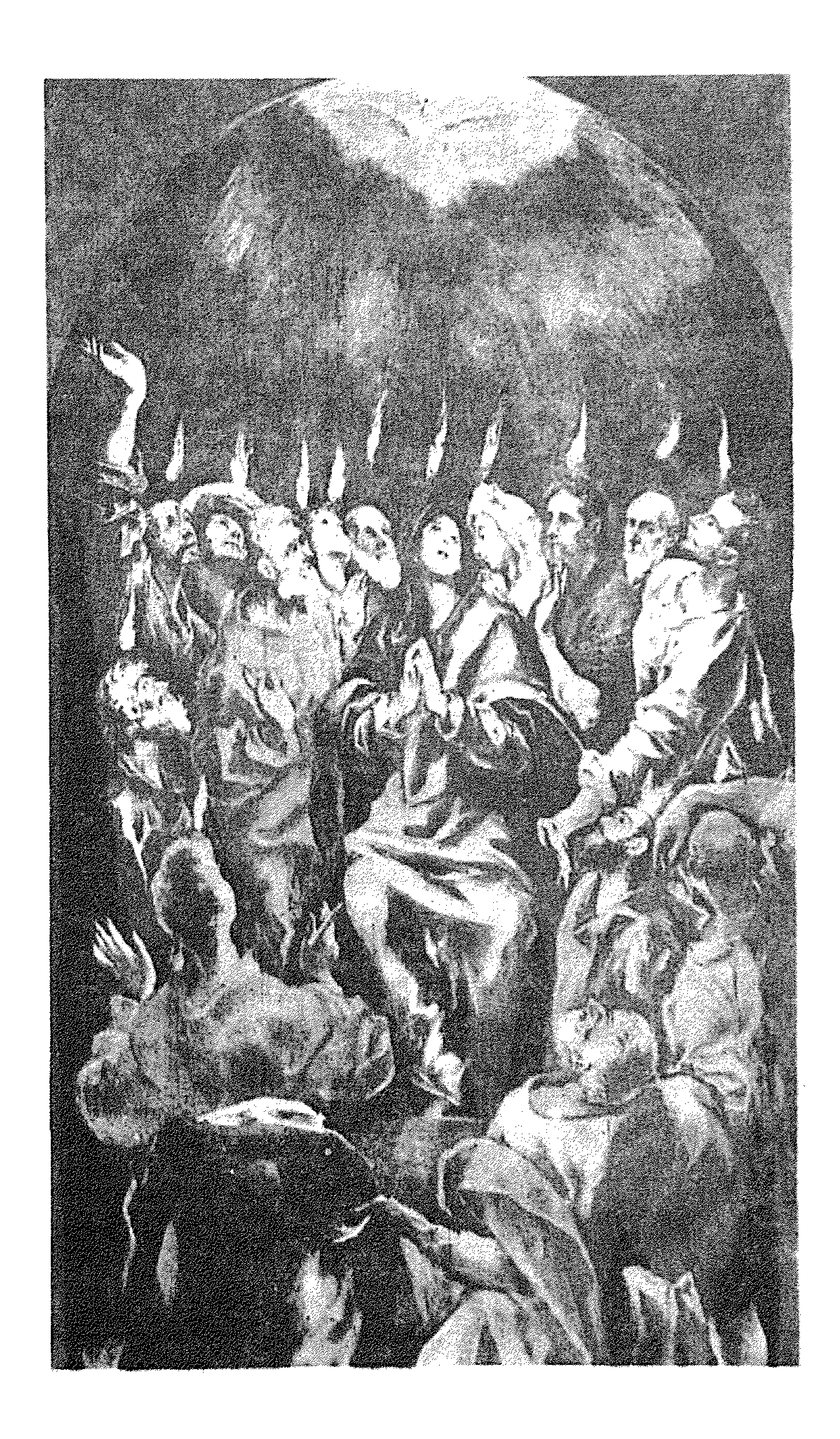
(3) Sozomen., VII, 7, N.&P N.F., p. 380.

وتكريماً منا لهذه الذكرى العطرة، التي حفرها الروح القدس في أعماق وجدان الكنيسة، قمنا بهذا الجهد المتواضع، بتقديم هذه المقالات للقارىء، لعلَّ يكون فيها استمرارٌ لحركة الروح القدس الذي أحيا الكنيسة، وألهب نار الإيمان والحب في قلوب كل هذه الأجيال، دون أن تقوى عليها عواصف العالم. □

دير القديس أنبا مقار **الأب متى المسكين**

١٤ / يونية / ١٩٨١ م. عيد حلول الروح القدس.
٧ / بؤونة / ١٦٩٧ ش.





كتاب

يوم الخمسين في التقليد الآبائي

(سنة ١٩٧٩)

المحتويات

مقدمة

الـكـنـيـسـة تواجه اليوم تحديات قو ية من الداخل والخارج ، على المستوى الروحي العملي ، ونـقـصـد بـه الحـركـات الجـديدة المنتمية لنشاط الروح القدس ؛ أو العقيدي الـنـظـري ، ونـقـصـد بـه الـتعليم الذى تقدمه الكنيسة الأرثوذكسية للعالم والذى تعيش وتؤمن به من جهة الروح القدس .

والإجـابـة على الـتـساؤلات أو التحديات لا تكون بالإجتهاد الفكرى الشخصي ، لأن المـسـألـة تـتـعـلـق بتقليد الكنيسة الذى عاشته منذ بدء وجودها فى أشخاص آبائنا الـذيـن سـجلوا لنا هذا التقليد منذ أواخر القرن الأول ، أي بعد عصر الأناجيل والرسل مباشرة .

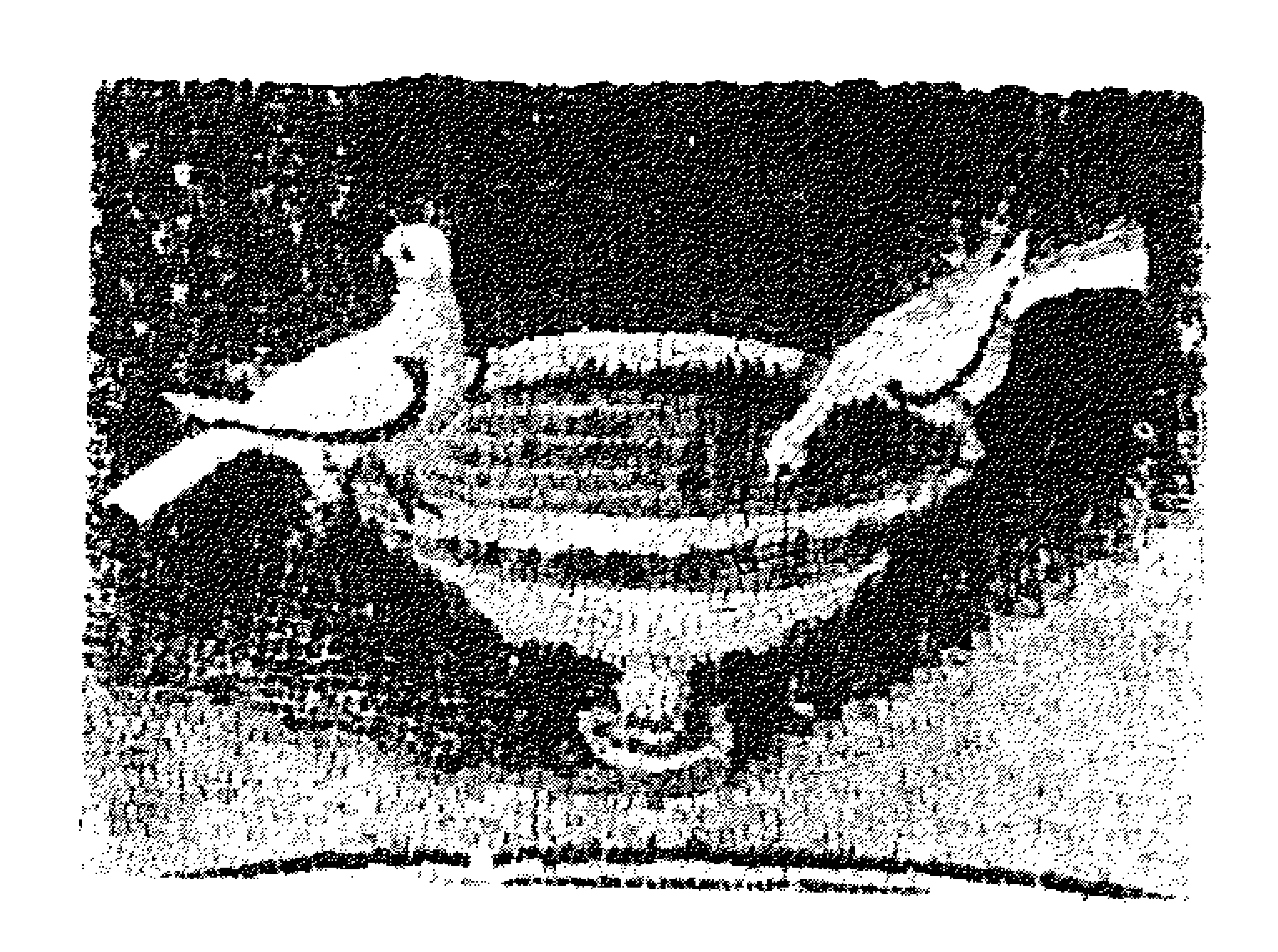
و بـالـدراسـة المنهـجـيـة الجـادة والـتـعـمـق الروحي يرى كل المؤرخين واللاهوتيين التقليديين أن تقليد الكنيسة الأرثوذكسية حي متحرك بنمو يمكن الإمتداد به والإضافة إلـيـه ، ولـكـن لا يمكن الخروج عنه أو البناء على أساس آخر، لذلك فهو ليس جامداً أو مـيـتـاً كما تصفه بعض الطوائف التي تحررت منه كلية فعاشوا تقليدهم الفكرى الخاص الذي يختلف من فرد إلى فرد .

لـذلك فالضرورة تحتم علينا أن لا نقول أو نشهد للروح القدس فى حياتنا أو تعليمنا إلا على ضوء التقليد الآبائي ، الذي هو بدوره ملتزم في الأساس بكلمة الإنجيل . فتقليد الـكـنيسة هو الذي يحدد صحة المعنى أو الشرح أو التطبيق ، سواء فى اللاهوت العقيدي الـنـظـري أو الـلاهـوت الـروحـي الـنسكي العملي . وكل خروج عن خط الآباء العام يخـرجـنـا دون أن ندرى عن **مفهوم** الأرثوذكسية **وعن حياة الكنيسة** التي انصبغت بها ألفي سـنـة ، فسر **الإيمان** الصحيح مرتبط **بفاعليته ، والمعرفة** النظر ية مرتبطة **بالتطبيق الـعـملي** ، وهـذا وذاك تـسـليم من الرب ومن الرسل واستعلان روح الله القدوس الذي

ظهر بتفوق عام شامل وكامل في يوم الخمسين، ولا يزال يغذي الكنيسة و يعلن ذاته في الأفراد.

وهنا في هذا المقال نقدم لمحة سريعة عن موهبة إنسكاب الروح القدس يوم الخمسين في التقليد الآبائي.

* * *



أولاً ــ التقليد الآبائي
بالنسبة لمركز الروح القدس في الثالوث المقدس

إن سر الله العظيم المخفي منذ الدهور ــ سر الثالوث ــ بمفاعيله المتعددة للإنسان، انكشف لرسله بحسب شهادة القديس بولس الرسول لعمل يوم الخمسين في الرسل، إذ استُعلن بواسطة الروح القدس، بقوة فائقة وحكمة لا تعانَد، سر المسيح ابن الله الذي جمع فيه الآب كل شيء ما في السموات وما على الأرض، هذا السر الذي ناله أيضاً القديس بولس الرسول بالسويّة كباقي الرسل كامتداد مستمر لعمل يوم الخمسين: «**أنه بإعلان عرّفني بالسر**، الذي بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتي **بسر المسيح** الذي في أجيال أُخر لم يُعرَّف به بنو البشر كما قد أُعلن **الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح (الذين استلموا من الرسل)**: أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل الذي صرت أنا خادماً له **حسب موهبة نعمة الله** المعطاة لي، **حسب فعل قوته**... وأنير الجميع فيما هو «**شركة السر**» المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح، لكي يُعرَّف الآن... **بواسطة الكنيسة** (كيان حي) بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذى صنعه في المسيح يسوع ربنا» (أف٣: ٢-١١).

وهكذا ينتقل القديس بولس الرسول من الإيمان بالمسيح ــ إبن الله ــ **كسرٍ كان مكتوماً في الله** في كل الدهور السابقة، إلى أن صار سراً مستعلناً بالروح، وأُعلن جهاراً لرسله القديسين، لكي يستنير به الجميع. ثم يؤكد القديس بولس ذلك مرة أخرى، أن **هذا السر أصبح يخص جميع الأمم** كأمر من الله لإطاعة الإيمان بالمسيح: «وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح **حسب إعلان السر الذي كان مكتوماً** في الأزمنة الأزلية ولكن **أُظهر الآن وأُعلم به جميع الأمم** (منذ يوم الخمسين) بالكتب النبوية **حسب أمر الإله الأزلي لإطاعة الإيمان**» (رو١٦: ٢٥، ٢٦).

ولقد ظل هذا السر، سر الآب والإبن والروح القدس، العامل لخلاص كل الشعوب، يُستعلن حسب أمر الإله الأزلي بواسطة الروح القدس الذي انسكب يوم الخمسين ولم ينقطع انسكابه حتى اليوم، وهذا معناه أن الله نفسه ـ بالروح القدس ـ هو الذي يضطلع بإعلان سرّه للأمم بواسطة قديسيه!!

فالإنجيل الذي كتبه الرسل هو «كلمة الله» المقولة بالروح القدس كشهادة مزدوجة، شهادة الله والإنسان «روح الحق يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً» (يو١٥: ٢٦)، كذلك التقليد الكنسي بعمقه السري والسرائري بدأ بدوره الفعّال يشرح كلمة الإنجيل و يدبر فعاليتها بالروح القدس نفسه في الأسرار منذ يوم الخمسين حتى اليوم.

* * *

أما التاريخ الفعلي للتقليد الآبائي فيما بعد الرسل فيبدأ منذ عصر «إيرينيئوس» المعتبر «أبو التقليد الكنسي» (آسيا الصغرى). وقد انتقل هذا التقليد بسرعة خاطفة إلى الإسكندرية ـ التي نظن أن تقليدها موروث من الرسل أنفسهم ـ حيث استوطنها بعمق وغنى لا يجارَى، ومن الإسكندرية انتقل إلى سوريا بنفس السرعة ثم آسيا الصغرى مرة أخرى بواسطة الآباء الكبادوكيين.

ولكن من أجل إستفادة القارىء، نود أن نؤكد أن استعلان سر الله في التقليد كان ولا يزال يعتمد جداً، بل يلتزم التزاماً، بحياة تقوية وشركة قوية في المسيح والروح القدس وصلاة وتكريس كلي، وهذا كان متوفراً لدى الآباء، فالتقليد الآبائي هو صنيعة الروح القدس إنما في أواني مهيأة جداً ومعدّة لعمل الروح القدس بحرية وانقياد سهل، لإستعلان الحق الإلهي الفائق وسر الخلاص المكتوم.

لذلك كم نحتاج إلى تقوى ومحبة واتضاع لكي نستجلي سر الروح القدس وندخل به إلى سر المسيح؟ كما يقول الكتاب: «بنورك يارب نعاين النور» (مز٣٦: ٩)! ولذلك كم يتطلب من الإنسان القداسة حتى بإستعلان المسيح ندرك أعماق الله!!

وفي ذلك يقول القديس **إيرينيئوس:**

[الآب هو الجوهر غير المنظور للابن ،
والابن هو الجوهر المنظور للآب] (1).

« الذي رآني فقد رأى الآب » (يو١٤ : ٩)، « الروح يعلمكم كل شيء » (يو١٤ : ٢٦) !!، فالمسيح الذي هو مركز سر الله للخلاص المكتوم سابقاً هو الذي يضطلع بنفسه بإعلان سر الله: « لكي تتعزى قلوبهم **وهي متحدة في المحبة** لكل غنى **يقين الفهم**، لمعرفة سر الله في الآب وفي المسيح الذي فيه تختبيء كل كنوز الحكمة والمعرفة (كو٢ : ٢، ٣ ــ ترجمة عن النص اليوناني).

ولقد اضطلع الروح القدس بكشف أعماق سر الله هذا ــ المكتوم منذ الدهور في المسيح، منذ يوم الخمسين، كاشفاً وشاهداً بكنوز الحكمة والفهم « بكل حكمة وفطنة » المذخرة في المسيح لأجلنا ولخلاص العالم بسرٍّ لا يُنطق به، « أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ».

هذا الأمر الذي صار فرحاً أبدياً وتهليلاً من كل القلب لدى كل إنسان اقتبل هذا الإستعلان، استعلان سر يوم الخمسين، وتيقَّن أنه وارث وشريك في المسيح لله بالروح القدس الذي لا يكف عن الشهادة في الداخل !!

لذلك يتركز التقليد الآبائي بصورة أساسية على أن سر يوم الخمسين هو بدء انكشاف عمل الثالوث الشخصي في الإنسان، بتأكيد الروح القدس و بقوة: أن الإنسان صار بحق و يقين فى شركة الثالوث، شركة حية فعالة مع الآب والإبن والروح القدس، سواء بصبغة المعمودية أو بالحياة اليومية بعمق الصلاة والنسك و يقين الفهم، الأمر الذي يعلق غليه القديس يوحنا الرسول بأنه يكون مصدر فرح أبدي « لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا، وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع إبنه يسوع المسيح،

(1) ضد الهراطقة ٤ : ٥.

ونكتب إليكم هذا لكي يكون **فرحكم كاملاً**» (١يو١ : ٣، ٤).

* * *

وهنا نسرد للقارىء شيئاً من تقليد الآباء عن مركز الروح القدس في الثالوث، حتى لا ينحرف الإنسان نحو التعلق بأقنوم دون باقي الأقانيم!!... يقول القديس **أثناسيوس:**

[ولكي يكمل فيه (أي في المسيح) **كل معرفتنا بالله** و يضع طقس الإنضمام للكنيسة (المعمودية) **التي بها اتحدنا بشخصه و بالآب**، أوصى تلاميذه قائلاً إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم (اصبغوهم) باسم الآب والإبن والروح القدس] (٢).

و يلاحظ القارىء أن «**الدعاء بالإسم**» في التقليد الآبائي القديم، هو بمثابة التواجد فى الحضرة الإلهية وهو واسطة للحلول في المعمودية ــ كما في الإفخارستيا و باقي الأسرار ــ وتجده يأتى دائماً باسم الثالوث!!

يقول القديس **أمبروسيوس:**

[لقد ثبت لدينا أن **حضور ونعمة الآب والإبن والروح القدس هو شيء واحد وكيان واحد علوي إلهي**] (٣).

يقول العلامة **ديديموس:**

[إن من **تأهل أن يأخذ الروح القدس**، أو **الإبن**، فله **الآب أيضاً**] (٤).

يقول القديس **أمبروسيوس:**

[هكذا أيضاً يأتى **الروح القدس الذي فيه ــ عندما يأتي ــ يصير ملء**

---

(٢) القديس أثناسيوس عن الروح القدس ــ الرسالة الأولى: ٦.

(٣) عن الروح القدس ١: ١١: ١٢٥. (٤) عن الثالوث: J. Quasten, Patrology iii, p. 96

حلول الآب والابن [(٥)].

[النعمة تفيض من الروح القدس كما تأتي من الآب والإبن، لأنه **كيف تقوم العطية أو النعمة بدون الروح مادامت كل النعم الإلهية كائنة في الروح القدس**] (٦).

يقول القديس **كيرلس الأورشليمي:**

[إن النفس التي في الخطيئة حينما تصير بالتوبة **مستحقة للروح القدس** تأتي بأغمار من الثمار؛ فبينما الروح القدس واحد، ولكن كثيرة هي الفضائل التي يعملها **بإرادة الله وباسم يسوع المسيح**] (٧).

يقول القديس **أثناسيوس الرسولي:**

[هذه الحقيقة أيضاً تبين أن عمل الثالوث واحد. فالرسول لا يعني أن ما يعطى يعطى بالتجزئة وعلى حدة من كل أقنوم، بل **إن ما يعطى فهويعطى في الثالوث، وإن كل ما يعطى هومن الله الواحد**... وهكذا نرى أنه عندما يقال **إن الروح القدس في أي واحد فإن هذا معناه أن الكلمة حال فيه مانحاً الروح القدس**] (٨).

[وإننا **نصير أبناءً عندما نقبل الروح القدس**، لأن الكتاب يقول: «إذ لم تأخذوا روح العبودية للخوف بل أخذتم روح التبني»، فإن كنا **بالروح القدس قد صرنا أبناء** فواضح أننا **في المسيح** دُعينا **أولاد الله**] (٩).

[وعندما **يعطى لنا الروح القدس، يصبح الله فينا**، لأن يوحنا الرسول كتب: «إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا، بهذا نعرف **أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه**»] (١٠).

---

(٥) عن الروح القدس ١١: ١٢٣. (٦) شرحه ١٢: ١٢٨. (٧) عظة ١٦: ٤.

(٨) الرسالة الأولى لسيرابيون: ٣١. (٩) الرسالة الأولى لسيرابيون: ١٩.

(١٠) المرجع السابق.

أما القديس **إيرينيئوس** فيوضح لنا عمل الروح القدس بالنسبة للثالوث هكذا:

[والأبرار يعتادون الشركة في مجد الله الآب و يتمتعون بالشركة مع الملائكة والإتحاد بالكائنات الروحية، **و يرتفعون في الروح إلى الإبن وفي الإبن إلى الآب**](١١).

[**الله بواسطة الإبن والروح القدس يرفع الإنسان إليه**](١٢).

[رؤية الله تتم بواسطة الروح القدس **بالبنوة**، وتتم بواسطة الإبن **بالتبني**، ولكن **أبوّته** لا تتم رؤيتها إلا في ملكوت السموات. **فالروح يعدُّ الإنسان، والإبن يقوده إلى الآب، أما الآب فإنه يعطي الإنسان عدم الفساد للحياة الأبدية**، وذلك بالتطلع إليه بالحق](١٣).

[أما **رؤية الله** (معرفته بالروح) فهي هي **حياة الإنسان**](١٤).

و يقول القديس **أثناسيوس**:

[هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة لأن الرب أسسها في الثالوث، وأصّلها فيه عندما قال لتلاميذه إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس](١٥).

نستخلص من ذلك:

أولاً ــ أن **الوحدة المتكاملة بين عمل الأقانيم** لخلاص الإنسان متأصلة ومتجذرة وملتزمة بصورة كاملة وأساسية **بوحدانية الله**. فلا يوجد عمل لأقنوم يختص بنفسه فقط خارج أو بدون عمل أقنوم آخر، وإلا ما استطعنا أن نقول إن الأقانيم الثلاثة إله واحد.

ثانياً ــ كذلك لا يمكن فصل عمل أي أقنوم عن الأقنوم ذاته، لأن أساس عمل

---

(11) *Biblical Theology of St. Iren* , by Lawson, p. 285.

(١٢) المرجع السابق، ص٦.

(١٣) المرجع السابق، ص٢٨٥.

(١٤) ضد الهراطقة ٤: ٦: ٥.

(١٥) الرسالة ٣: ٦.

أقنوم الروح القدس مثلاً هو تقديم الإنسان فيه (أي في الروح) أساساً و بالنهاية لأقنوم الإبن ليتحد به، وعمل أقنوم الإبن هو تقديم الإنسان فيه (أي في الإبن) أساساً و بالنهاية لأقنوم الآب ليتحد به. أى لا يوجد عمل للأقانيم خارج هدف الإتحاد بالله. وإلا خرج الخلاص عن مفهومه وغايته النهائية وهو الإتحاد بالله «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكملين إلى واحد» (يو١٧: ٢٣).

وغني عن البيان هنا أن مفهوم الإتحاد أو الشركة في الطبيعة الإلهية أو الأقانيم بالمفهوم الأرثوذكسي، لا يلغي كيان الإنسان أو طبيعته، ولا يرفعه إلى درجة الألوهة، فالإتحاد والشركة هي لاكتساب مواهب وفضائل وإلغاء ضعفات وخطايا «أخذ الذي لنا، وأعطانا الذي له» (التسبحة السنوية، ثيئوطوكية الجمعة)، وليس لإمتلاك طبيعة الله أو أقانيمه، فالله سيظل آخر بالنسبة للإنسان بالرغم من امتلاك الله للإنسان وحلوله فيه، و بالرغم من ملئه للإنسان إلى ملء قامة المسيح «فهو الملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف١: ٢٣)، بل و بالرغم من حصول الإنسان بسبب هذا الإتحاد على حالة التبني.

فنحن لا يمكن أن نصير أبناء **إلا في المسيح**، ولا يمكن أن نرث المواعيد **إلا في الروح**.

ولكن لن يستطيع الإنسان مهما أوتي من المواهب والعطايا، ومهما حصل من تبرير وتقديس، أن يستنفذ غنى المسيح في المجد ولا كمال التقديس في الروح. صحيح أننا سنظهر معه في المجد، ولكن كمستضيئين وليس كأصحاب النور، وصحيح «نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله» (١يو٣: ٢)، ولكن لأننا سنراه كما هو فينطبع نور وجهه علينا ونأخذ صورته ومثاله.



ثانياً ـ مركز الروح القدس في الكنيســة

كانت عقيدة الثالوث، كما ذكرنا، موضع عبادة صامتة في الكنيسة منذ البدء، كما يقول القديس **باسيليوس:**

[إجعلوا غير المنطوق به (سر الثالوث) معبوداً في صمت](١٦).

وكانت الكنيسة تُبنى وتنمو بالروح القدس بسرعة وثبات و بساطة فائقة «وأما الكنائس... فكان لها سلام، وكانت تُبنى وتسير في خوف الرب، **وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر**» (أع ٩ : ٣١)، لأن التلاميذ الذين اؤتمنوا على إدارة وتدبير شئون الكنيسة كانوا يمتلئون كل يوم من الروح القدس: «**وأما التلاميذ فكانوا يمتلئون من الفرح والروح القدس**» (أع١٣ : ٥١).

هذه كانت في الحقيقة الغاية الأساسية والعظمى التي من أجلها أرسل الرب الروح القدس من عند الآب في يوم الخمسين. والمسيح تشدَّد جداً مع التلاميذ في عدم العمل بدون حلول الروح القدس بل وحدَّد إقامتهم وجمَّد حركتهم حتى ينالوا هذه القوة من الأعالي. وبهذا ارتبطت الكنيسة في عملها ونموها وتعليمها وشهادتها بالروح القدس ارتباطاً أبدياً لا يمكن التقليل من قيمته وإلا تجمدت الكنيسة. فبقدر انسكاب هذه القوة من الأعالي بقدر ما يكون نموها وحركتها ونشاطها في الداخل وامتدادها الفعَّال في الخارج حتى «**إلى أقصى الأرض**».

وقد حدد القديس بولس الرسول مدى الإرتباط الشديد بين الحصول على «**قوة الروح القدس**» و بين **حلول المسيح** في قلوب المؤمنين للحصول على **كل ملء الله**، سواء للأفراد أو للكنيسة كلها في المحبة.

---

(١٦) عن الروح القدس ١٨ : ٤٤ (رقم النسخة اليونانية).

ـ «بسبب هذا **أحني ركبتيَّ (طقس السجدة)** لدى أبي ربنا يسوع المسيح لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن **تتأيدوا بالقوة بروحه** في الإنسان الباطن **ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم** وأنتم متأصلون ومتأسسون **في المحبة** حتى تستطيعوا أن تدركوا **مع جميع القديسين** ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة **لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله**» (أف ٣: ١٤ ــ ١٩).

و يلاحظ القارىء في هذه الآيات أن مفتاح كل هذه العطايا وحلول المسيح بالنسبة للفرد والكنيسة للوصول إلى كل ملء الله يتوقف على هذه الحقيقة: «**أن تتأيدوا بالقوة بروحه**» **!!** وكأنما نحن أمام المسيح مرة أخرى مكرراً تحذيره لتلاميذه: «فأقيموا في مدينة أورشليم **إلى أن تُلْبَسوا قوةً من الأعالي**» (لو ٢٤: ٤٩).

و بذلك يكشف لنا القديس بولس الرسول عن بقاء وعي الكنيسة صاحياً بالنسبة لمركز الروح القدس في الكنيسة، بل واستطاع ذلك القديس الملتهب بحب الكنيسة والذي أفنى حياته في غرس بذارها أن يربط بخيط ذهبي بديع متنقلاً بين **قوة الروح القدس، إلى حلول المسيح في القلب، إلى تأصل وتأسس الحب الإلهي، إلى عمق وارتفاع الشركة مع القديسين، إلى المعرفة المتعمقة في حب المسيح، إلى بلوغ كل ملء الله!!** واضعاً بذلك أساس بناء الكنيسة في عمق الثالوث ولكن مبتدئاً **بقوة الروح القدس!!**

هنا يظهر لنا أصل التقليد من جهة مركز الروح القدس في الثالوث، ثم مركز الثالوث في الكنيسة، ومركز الكنيسة في شركة القديسين المتأسسة على الحب الإلهي.
في الحقيقة هذا يُحسب منتهى التكامل العقيدي في العبادة بحسب التقليد الآبائي.

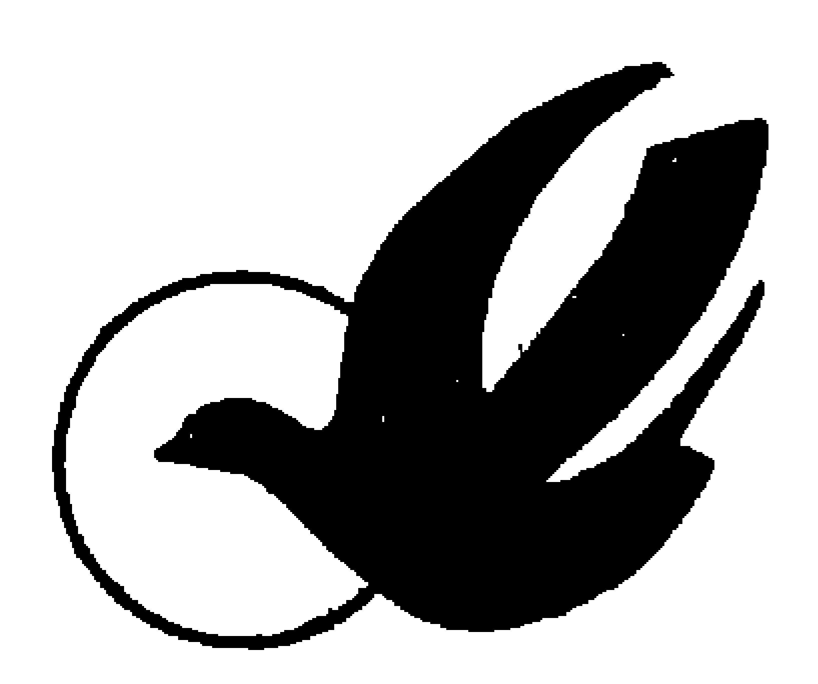
[لقد أسس كنيسته على الأنهار إذ **جعلها بتدبيره الإلهي قادرة أن تأخذ الروح القدس** الذي منه تفيض النعم كما من رأس الينبوع حيث تخرج أنهار مياه حية][17]. **العلامة ديديموس** (على المزامير).

(17) Quasten iii, 97.

[العالم هو البحر الذي تمخر فيه الكنيسة كسفينة تلاطم الأعماق ولكنها لن تتحطم، لأنها تحمل ربانها **الماهر المسيح، أما شراعها الفاخر فهو الروح القدس**] (١٨).

العلامة هيبوليتس

وفي اللاهوت النسكي اعتاد التقليد أن يشير إلى أن الشراع في السفينة هو عمل نعمة الروح القدس المجاني، وأن المجاذيف هي بمثابة الأعمال والجهادات والإماتات.



(18) Quasten ii, 203.

أ ــ سلطان الروح القدس في الكنيسة

الكنيسة باعتبارها جسد المسيح، وقد أوجدها بموته وقيامته، سلَّمها للروح القدس ليملأها بالمواهب اللازمة لنموها وتكميلها ثم استعلانها، وأيضاً لكي يظل الرب يدبرها بنفسه كرأس لها، بواسطة عمل الروح القدس في الأفراد ليكونوا جسداً واحداً وروحاً واحداً، ولكن بمواهب متعددة جداً حتى تبلغ إلى قامة ملء المسيح.

ولكن بوجود الرئاسات الكهنوتية نشأت مشكلة ظلت تحتاج في كل العصور إلى تحديد عمل الروح القدس تحديداً قانونياً. فهل تُعتبر الكنيسة، باعتبارها صاحبة السلطان الذي أخذته من الرب ومن الروح القدس، خاضعة لنعمة وسلطان الروح القدس؟...

أم أن نعمة وسلطان الروح القدس أصبح خاضعاً لسلطان الرئاسات الكهنوتية؟

لقد أجابت الكنيسة ــ عملياً ــ خلال العصور المظلمة بالحل الثاني، ولكن الأساس التقليدي الراسخ كان قد تقرر منذ زمان المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية حينما أعلن الإيمان بالروح القدس أنه «رب»، وأنه بحسب الكتاب هو المضطلع دائماً بتعليم الحق في الكنيسة فيما يخص كل شيء قاله المسيح وكل شيء جديد لم يقله المسيح «ويخبركم بأمور آتية» (يو١٦: ١٣) وذلك لأنبيائها وقديسيها والمختارين أيضاً.

يقول القديس غريغوريوس النزينزي:

[إن مخلصنا قال إن له أشياء أُخر يريد أن يقولها ولكنه قال إن تلاميذه آنئذ لا يستطيعون أن يحتملوها... لذلك بقيت هذه الأشياء مخفية، ولكنه عاد فقال إن **كل الأشياء ستعلَّم لهم بواسطة الروح عندما يأتي ويحل بيننا**](19).

[الروح القدس نفسه يسكن بيننا ويمدنا بإيضاحات وافية عن شخصه](20).

القديس غريغوريوس النزينزي

---

(19) عظة على الروح القدس ٥: ٢٧.

(20) المرجع السابق ٥: ٢٦.

و يقول القديس **يوحنا ذهبي الفم :**

[وبحلول الروح القدس يتم التقديس الذي من خلاله **يصبح الله نفسه هو الذي يباشر سلطانه على المختارين والذين أقامهم مدبرين من شعبه**] ([21]).

أما القديس **كيرلس الكبير** فيقول :

[لأن الرب الإله أمر موسى الحكيم أن يختار سبعين شيخاً من جماعة اليهود، وصرَّح علانية : «سوف آخذ من الروح الذي عليك وأضع عليهم» (عد ١١ : ١٧). وأطاع موسى وأحضرهم إلى خيمة الإجتماع (عد ١١ : ٢٤)، إلا رجلان تخلّفا عن الحضور ومكثا في المحلة وهما ألداد وميداد، لكن الله وضع عليهم الروح الإلهي كما وعد، وأخذ الكل النعمة... الذين كانوا في خيمة الإجتماع مع موسى وكذلك الإثنان اللذان تخلفا، الكل تنبأوا. وفي الحقيقة إن الرجلين اللذين تخلفا تنبآ ونالا النعمة من فوق قبل الباقين. إلا أن يشوع بن نون الذي كان يلازم موسى دائماً والذي لم يفهم معنى السر، ظن أن الرجلين ألداد وميداد يمهدان لانقسام مماثل لما صنعه «داثان وأبيرام». ولذلك أسرع إلى موسى قائلاً : «ياسيدي موسى اردعهما» (عد ١١ : ٢٨). ولكن بماذا أجاب ذلك الرجل العظيم والحكيم الذي رأى بحكمته أن النعمة من فوق وأنهما قد نالا معاً قوة الروح القدس؟... «هل تغار أنت لي؟ ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذ جعل الرب روحه عليهم» (عد ١١ : ٢٩). ولاحظ كيف ينتهر يشوع الذي لم يعرف ماذا حدث. كان موسى يتمنى أن يعطى الروح للشعب كله، ولكن هذا كان سيحدث في الوقت المعين عندما يمنح الرب المسيح للكل الروح القدس] ([22]).

و يستخدم القديس **كيرلس الأورشليمي** هذه الواقعة بعينها ثم يزيد عليها بعض

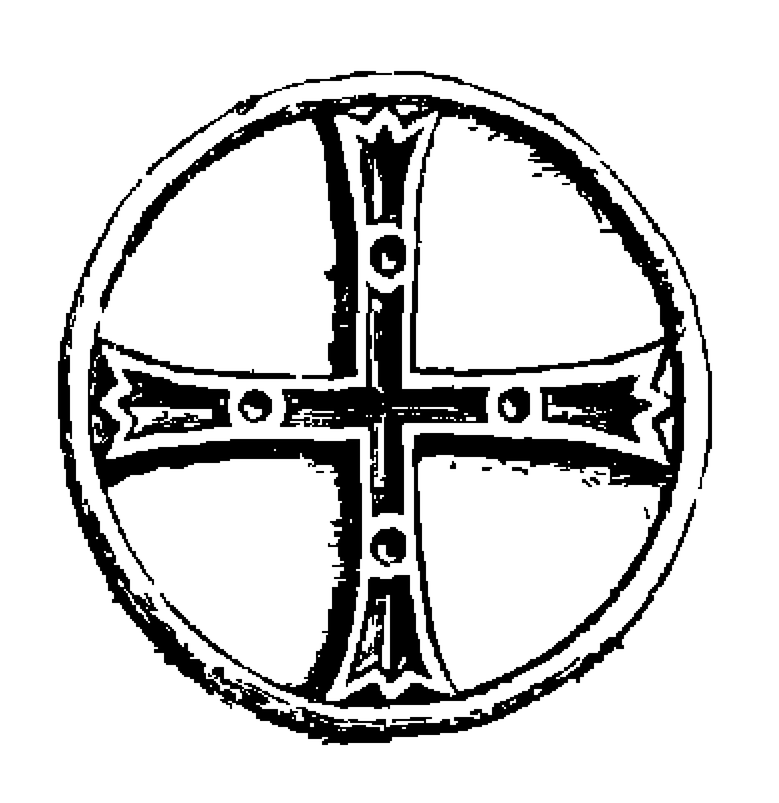
---

(٢١) عظة على يوم الخمسين : النسخة اليونانية : P G I. 459 d

(٢٢) تفسير إنجيل يوحنا ٢٠ : ٢٢، ٢٣

الكلمات لإثبات حرية سلطان الروح القدس في العمل بوضع اليد فوق تصور الإنسان.

[فبعدما اختير السبعون شيخاً، أتى الرب في السحابة وأخذ من الروح الذي على موسى ووضع على السبعين شيخاً (من خلال طقس وضع يد موسى عليهم ــعد ١١: ٢٤، ٢٥). لم ينقسم الروح، ولكن نعمته توزعت على قدر الأوعية وطاقة الآخذين، ولكن كان الموجودون ثمانية وستين فقط فتنبأوا، وكان ألداد وميداد غائبين، **فلكي يظهر أنه ليس موسى الذي كان يمنح العطية، ولكن الروح هو الذي كان يعمل ذلك، تنبأ في الحال ألداد وميداد مع أنهما لم يكونا حاضرين مع الشيوخ**](٢٣).



(٢٣) للموعوظين ١٦: ٢٥.

ب ـ علاقة الروح القدس بالمسيح في الكنيسة

لقد أشار القديس بولس الرسول في أماكن عديدة إلى العلاقة الوثيقة بين عمل الروح القدس وعمل المسيح في الكنيسة. فهو يقول: «وليس أحد يقدر أن يقول إن المسيح رب إلا بالروح القدس» (١ كو١٢: ٣). وأيضاً «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذاك ليس له» (رو٨: ٩). وقوله «ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً ياأبا الآب» (غل٤: ٦).

وهكذا يتحقق أن الروح القدس يعمل في الأشخاص وفي الكنيسة لاستعلان المسيح ووجوده، أي يحقق فينا موته وقيامته وحياته بل ومجده أيضاً «ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» (يو١٦: ١٤).

[قد وعد المسيح أن يأتي بنفسه، فكشف بذلك عن أن **الروح القدس لم يكن مجيئه لشيء آخر سوى تحقيق وجوده هو شخصياً**] (٢٤).

القديس كيرلس الكبير

يقول القديس **باسيليوس**:

[عن مجيء المسيح؟ **فالروح هو السابق!**

عن الحضور بالتجسد؟ **فالروح لا يفارق!**

عن عمل المعجزات ومواهب الشفاء؟ **فكله بالروح القدس!**

عن إخراج الشياطين؟ **فبروح الله!**

عن مغفرة الخطايا؟ **فيعطيها الروح القدس** «لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع و بروح إلهنا» (١ كو٦: ١١)] (٢٥).

وهكذا نستطيع أن نتحقق بوضوح أن عطية الروح القدس يوم الخمسين

---

(٢٤) وردت عن «هوسكن» في شرحه لإنجيل يوحنا (سنة ١٩٤٠)، ص٥٤٠.

(٢٥) عن الروح القدس ١٩: ٤٩.

كانت بالنسبة للكنيسة ـ بحسب تقليد الآباء ـ بداية حضور المسيح السري في الكنيسة، حيث بدأ يمارس وجوده كرأس للكنيسة، التي هي جسده يدبرها بنفسه من خلال عمل الروح القدس حيث يجمع أعضاءه و يوحدهم ويحركهم بالروح القدس:

[أينما وُجدت الكنيسة وُجد الروح القدس، وأينما وُجد الروح القدس وُجدت الكنيسة] (٢٦).

القديس ايرينئوس

[و بقدر ما توجد الكنيسة، وحيثما توجد أسرار الرب بقدر ما يتعطف و يتفضل بالحضور] (٢٧).

القديس أمبروسيوس

[لأنه لا يمكن أن يكون الروح القدس موجوداً ولا يكون المسيح نفسه أيضاً موجوداً] (٢٨).

القديس يوحنا ذهبي الفم

كذلك فالقديس أثناسيوس يربط بشدة بين التجسد وإرسال الروح القدس معتبراً يوم الخمسين أو الحصول على الروح القدس غاية التجسد:

[الكلمة أخذ جسداً لكي نأخذ الروح] (*).

القديس أثناسيوس الرسولي

ولكن الذي نريد أن ننقله للقارىء ليس منطوق تقليد الآباء من جهة علاقة الروح القدس بالمسيح، بل بالحري روح الآباء نفسه، لأن الآباء كتبوا وشرحوا إيمانهم الذي كانوا يعيشونه بالروح، فلولا أنه كانت لهم علاقة حية بالروح القدس، ولولا أنهم نالوا بالفعل قوة الروح القدس، ما استطاعوا أن يواجهوا تحديات عصرهم بإيمانهم

---

(٢٦) ضد الهراطقة ٣: ٢٤١.

(٢٧) عن الأسرار، الفصل الخامس.

(٢٨) على رسالة رومية: عظة ١٣، ص٤٣٦.

(*) P.G. xxvi, 996 c.

بالمسيح الذي أعلنوه أمام ملوك وقضاة تحت تهديد الموت.

لأنه بمجرد أن تسري قوة الروح القدس في داخل الإنسان الباطن يتأيد الإنسان بمعونة فائقة، ويحس بنار تتأجج في صدره من أجل الشهادة للمسيح وإعلان مجده، لأن هذه تكون شهادة الروح القدس نفسه للمسيح داخلنا.

إذن فالمسألة ليست دراسة عن أقوال آباء أو عن تقليد قديم لا وجود له، بل نحن نكتب عن تقليد مهيأ للممارسة، وروح مستعد للإنسكاب.

[فأجسادنا التي من الطين **إذا التهبت بحرارة ونعمة الروح القدس تشهد لآلام الرب يسوع وتعترف جهراً بالإيمان به... هذا بلا شك هو الروح القدس الذي يُدعى ناراً** كما يدعى نوراً] (٢٩).

القديس أمبروسيوس

يقول القديس **غريغوريوس النزينزى:**

[الروح القدس هو الذي يكملنا لكي نأخذ المعمودية، ولكن بعد المعمودية نطلبه كعطية قائمة بذاتها] (٣٠).

●□●□●



---

(٢٩) عن الروح القدس ١٤: ١٦٦.

(٣٠) عن الروح القدس: ٢٩.

ثالثاً ــ حلول الروح القدس
والشركة في الطبيعة الإلهية

لا يفرق التقليد الآبائي بين الأقانيم بالنسبة للحلول.

[وهكذا نرى أنه **عندما يُقال أن الروح القدس في أي واحد، فإن هذا يعنى أن الكلمة حالٌّ فيه مانحاً الروح القدس**] (٣١).

القديس أثناسيوس

[لأننا **إذ تكون لنا شركة في الروح القدس تكون لنا نعمة الكلمة، وتكون لنا أيضاً محبة الآب في الكلمة، وكما أن نعمة الثالوث واحدة هكذا أيضاً لا يمكن أن يتجزأ الثالوث**] (٣٢).

[**وعندما يكون الروح القدس فينا، يكون فينا أيضاً الكلمة الذي يمنح الروح القدس، والآب الذي هو في الكلمة**، وهذا يتفق مع ما قيل: «إليه نأتي (أنا والآب) وعنده نصنع منزلاً» (يو١٤: ٢٣)، لأنه **حيث وُجد النور وُجد أيضاً الشعاع، وحيث وُجد الشعاع وجد أيضاً نشاطه ووُجدت نعمته الخافقة**، هذا ما نادى به أيضاً الرسول عندما كتب لأهل كورنثوس: «نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم» (٢كو١٣: ١٤)؛ لأن النعمة والموهبة التي تُمنح، **إنما تمنح في الثالوث** من الآب والإبن في الروح القدس] (٣٣).

القديس أثناسيوس

---

(٣١) الرسالة الأولى عن الروح القدس: ٣١. (٣٢) الرسالة الثالثة: ٥.

(٣٣) الرسالة الأولى: ٣٠.

[ومنذ حلوله يوم الخمسين ــ لم يعد حلوله بالقوة ἐνεργεῖαν ولكن ربما نستطيع أن نقول جوهرياً οὐσιωδῶς مؤتلفاً معنا وساكناً فينا] (٣٤).

القديس غريغوريوس النزينزي

[**لأن الإيمان بالثالوث** ــ الذي سُلم إلينا ــ **يُتحِدنا بالله**] (٣٥).

القديس أثناسيوس

[ولقد تحدث المسيح مع تلاميذه كثيراً بخصوص الروح القدس حتى لا يتصوروا أنه مجرد فعل أو قوة غير شخصية = ἐνεργέιαν ἀνυπόστατον] (٣٦).

القديس يوحنا ذهبي الفم

و يعود التقليد و يؤكد في مواضع كثيرة عن أن حلول الروح القدس يعطي الإنسان شركة في الطبيعة الإلهية.

[وإن كنا **بالإشتراك في الروح القدس نصبح «شركاء الطبيعة الإلهية»... لأن الذين فيهم الروح القدس تصبح لهم الطبيعة الإلهية** على هذا الأساس. وإن كان **الروح القدس يجعل الناس شركاء الطبيعة الإلهية** فلا شك أن طبيعته طبيعة إلهية] (٣٧).

القديس أثناسيوس

[وجعل البشر **يأخذون من طبيعته بالإشتراك في الروح القدس، وبهذه الصورة قدَّس الطبيعة الإنسانية** بالقوة والمجد اللذين هما فوق الطبيعة الإنسانية، ولا يوجد أدنى انحراف أو ابتعاد عن الحق فيما ذكرته] (٣٨).

القديس كيرلس الكبير

[وعندما نفخ فيهم وقال: **«إقبلوا الروح القدس» جعلهم شركاء في**

---

(٣٤) عن يوم الخمسين: ١١. P.G. 36, 444 C.

(٣٥) الرسالة الأولى: ٣٠.

(٣٦) على سفر الأعمال: ٧.

(٣٧) الرسالة الأولى: ٢٤.

(٣٨) شرح إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٢ــ٢٣.

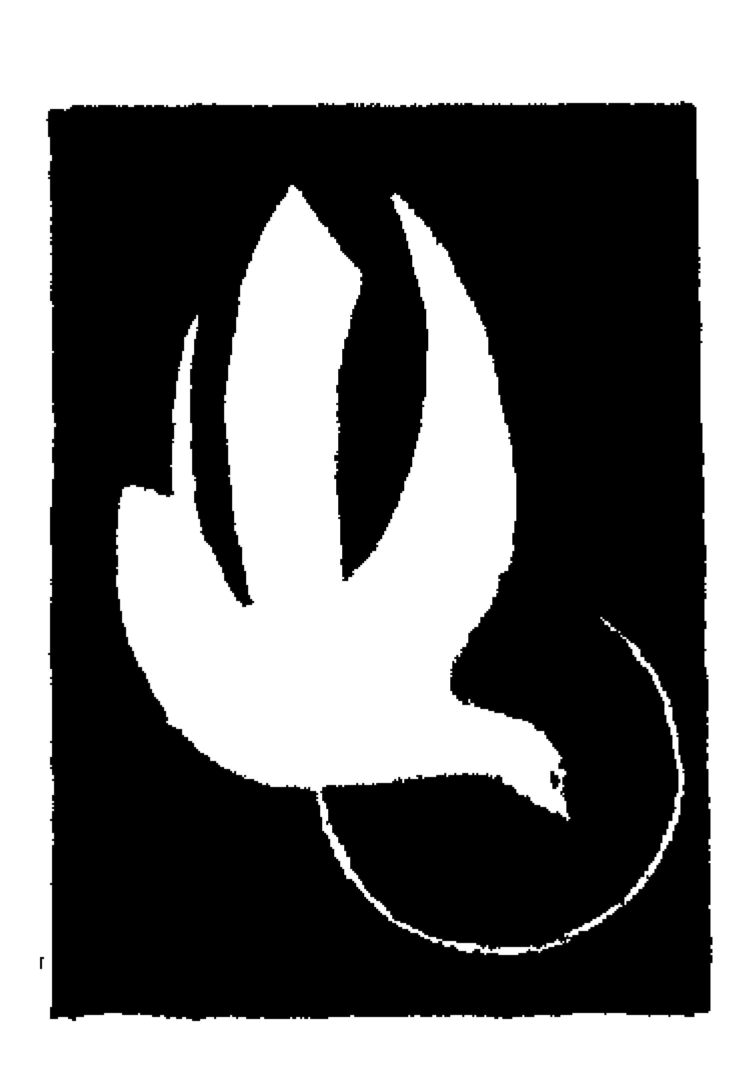
طبيعته ومنحهم سكنى الروح القدس، وجعلهم أيضاً شركاء في مجده بإعطائهم القوة لحل وربط الخطايا] (٣٩).

القديس كيرلس الكبير

[هكذا أيضاً تنسكب محبة الله في قلوبنا **بالروح القدس حتى لا نظن أنه مجرد عمل أو فعل**، لأنه **هو** الذي يعطي **وهو** الينبوع الغني بالحب الإلهي. ولكي ندرك على وجه التحقيق أن هذا الذي ينسكب لا يمكن أن يكون من صفات الخليقة بل **من خصائص الطبيعة الإلهية**] (٤٠).

[**بالروح نقتني صورة الله وننمو إلى مشابهته، وبالروح كما يقول معلمنا بطرس ـ نصير شركاء الطبيعة الإلهية**، وهذه الشركة لا تعطينا ميراثاً جسدياً، **بل تلك الرابطة الروحية في نعمة التبني**] (٤١).

القديس أمبروسيوس



(٣٩) شرح إنجيل لوقا ٥ : ٢٣.

(٤٠) على الروح القدس ٨ : ٩٤، ٩٥.

(٤١) المرجع السابق ٦ : ٨٠.

رابعاً ـ غاية الحلول وغاية الإشتراك في الطبيعة الإلهية

مرة أخرى نشير إلى أن معنى الحلول ومعنى الإشتراك في الطبيعة الإلهية لا يفيد قط أن الإنسان يصير صاحباً أو مالكاً للطبيعة الإلهية أو يخرج عن جوهر إنسانيته، ولكن يتركز ــ حسب التقليد الآبائي ــ في استرداد صورة الله ومثاله التي كانت فيه سابقاً والتي فقدها الإنسان بالسقوط. فمعنى أن الإنسان صار شريكاً في الطبيعة الإلهية هو بالتحديد القاطع، حسب قول الآباء، أنه استعاد صورة الله ومثاله وحصل على مشيئة الله في أعماقه «لتكن مشيئتك».

يقول القديس **أمبروسيوس**:

[الذي ينال الروح القدس يمتلىء من مشيئة الله](٤٢).

وصار بذلك إبناً بالتبني في شخص يسوع المسيح. فالإنسان سيظل هو الإنسان، العبد المتبنَّى، صاحب الطبيعة الساقطة التي استعادت صورة مجد الله في المسيح «أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يو١٧: ٢٢)، واستعادت حياتها الأبدية بقيامة المسيح وشركة الروح القدس.

ولكن كل ما نتوسل إليه ونرجوه من هذا الكتاب، أن لا يظن أحد أن الإتحاد بالمسيح في الروح القدس والشركة في الطبيعة الإلهية هي مجرد نظرية إيمان وعقيدة أو موضوع تأمل، ولكنها حقيقة تُعاش، وتغيّر حقيقي يشمل كيان الإنسان، وشركة حقيقية مع الرب ومع الروح، لها برهانها ولها مفاعيلها ولها حبها المتأجج ولهيبها الذي يجعل الإنسان لا يهدأ عن التسبيح والحمد والشهادة ليل نهار بفرح لا يُنطق به، لأن حياةً حقيقية ومحبةً إلهية تنسكب في قلب الإنسان، فهو إتحاد حقيقي، واستعادة صادقة لصورة القداسة الإلهية التي فقدناها، ولكن لا يستطيع إنسان في الوجود أن يستنفذ غنى

(٤٢) المرجع السابق ٧: ٨٩.

المسيح هذا ولا قداسة الروح، فالإنسان سيظل آخذاً والله سيظل معطياً إلى أبد الآبدين.

ولقد اختارت الكنيسة أن يكون التعييد لحلول الروح القدس يوم الخمسين ــ طلباً لاستمرار حلوله ودوام عمله ــ **بالسجود إلى الأرض ــ بدعاء نحو الأقانيم الثلاثة ــ** لذلك سمي الطقس بأكمله طقس السجدة، فليس من طريق آخر للدخول إلى الثالوث من أجل انسكاب الروح إلا **من خلال الإتضاع** والإنسحاق **مع الرغبة الشديدة** في إقتناء هذه العطية الثمينة، **بالصلاة الحارة، والمحبة الملتهبة**، ليكون هذا تعبيراً صادقاً من طرف الإنسان عن استعداده **لقبول المواعيد العظمى والثمينة!!**

وكأنما بهذا يعود الإنسان باللاوعي إلى خلقته الترابية الأولى ساجداً بين يدي الله (الثالوث) ليتلقى تجديداً للنفخة الأولى بالروح القدس ليستعيد ما فقده:

[الله الآب **بواسطة الإبن والروح القدس جبل الإنسان على صورة الله...** فالإنسان الكامل يتكون من شركة واتحاد النفس التي تقبّلت «روح الآب» مع الجسد الذي صُنع أيضاً على مثال الله، فالإنسان يصير كاملاً **روحانياً بسبب إنسكاب «الروح» (روح الله) فيه فيكون على صورة الله ومثاله، فإذا فقدت النفس «الروح» (روح الله) يصير مخلوقاً غير كامل كطبيعة الحيوان يحمل صورة الله ولكنه يكون فاقداً** المشابهة **والمثال اللذين يعطيهما الروح**](٤٣).

القديس إيرينيئوس

[فإن كان بنفخة الله قد **حصلنا في البدء على صورة الله ومثاله التي تتكلم عنها الأسفار، ثم بالخطيئة فقدناها، ولكن الآن ــ بعد المعمودية ــ قد صرنا كما كنا عندما خُلقنا أولاً بلا خطيئة ولنا سلطان على أنفسنا**](٤٤).

العلامة ديديموس

---

(٤٣) مجموعة الآباء ٥و٦و١.

(٤٤) عن الثالوث: Quasten, op. cit. 3, p. 98.

[ولكي نعلم أنه هو هو الذي في البدء خلقنا وختمنا بالروح القدس، لذلك يمنح مخلصنا الروح القدس من خلال العلامة المنظورة، أي «النفخة» للرسل القديسين، لأنهم باكورة الطبيعة البشرية المجددة، وكما كتب موسى عن الخلق الأول أن الله نفخ في أنف الإنسان نسمة الحياة، يحدث نفس الشيء الذي حدث في البدء عندما يجدد الله الإنسان، **وكما خُلق الإنسان في البدء على صورة خالقه، كذلك الآن بالإشتراك في الروح القدس يتغير إلى صورة خالقه ويصبح على مثاله**، ولا يوجد لدينا أدنى شك في أن **الروح القدس هو الذي يختم صورة المخلص على قلوب الذين يقبلون المخلص:** «ياأولادي الذين أتمخض بهم إلى أن يتصور المسيح فيكم» وهو يقول أن **المسيح لن يتصور فيهم إلا بالإشتراك بالروح القدس**](٤٥).

القديس كيرلس الكبير

[إذن فقد خُتمنا بروح الله «الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا...» (أف ١: ١٣، ١٤)، فنحن **نُختم بالروح لكي نقتني بهاءه وصورته ونعمته... حتى يصور الروح القدس فينا مشابهة الصورة الإلهية**](٤٦).

القديس أمبروسيوس

وهذا التقليد الراسخ عند الآباء في كيفية استرجاع صورة الله ومثاله بالروح القدس متأسس أصلاً على الكتاب المقدس الذي فيه يقول القديس بولس الرسول: «وحيث روح الرب فهناك حرية، ونحن جميعاً **ناظرين مجد الرب** بوجه مكشوف (أي بدون برقع الناموس الذي كان يخفي نور وجه الله) كما في مرآة **نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها** (صورة مجد وجه الرب) **من مجد إلى مجد كما من الرب الروح**» (٢كو٣: ١٨).

ولكن في التقليد الآبائي لا تُفهم كلمة «**ناظرين... نتغيَّر**» بمعناها اليوناني

---

(٤٥) على إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٢، ٢٣.
(٤٦) على الروح القدس ٦: ٧٩.

الفلسفي، أي **بواسطة التأمل في الله نتغيَّر** إلى تلك الصورة، لأن هذا منهج التأمل الأفلاطوني الجامد Static ، ولكن يأخذها التقليد الكنسي بمعناها القديم الكتابي المتوارث: «فقال **وجهي يسير فأريحك**، فقال موسى له إن لم يسر «**وجهك**» **فلا تصعدنا من هنا، فإنه بماذا يُعلَم أني وجدت نعمة** في عينيك أنا وشعبك؟ أليس بمسيرك معنا» (خر٣٣: ١٤ــ١٦).

هنا التطلع إلى وجه الله يلازمه مسيرة وحركة مع قيادة النعمة، العبادة هنا عمل وجهد وتغيُّر Dynamic بقيادة الله.

إذن، فالنظر إلى مجد الرب والتغير إلى صورته بعينها من مجد إلى مجد، هي باقتفاء أثر نور مجد وجه الرب بالعمل حسب الإنجيل و بقيادة الروح، بالتغير «**تغيروا عن شكلكم** بتجديد أذهانكم» (رو١٢: ٢)، و بالخلع واللبس المستمر: «خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي **يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه**» (كو٣: ٩، ١٠)، «أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد **المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق**» (أف٤: ٢٢ــ٢٤).

وهكذا يسير التقليد الآبائي على منهج الإنجيل بدقة و وضوح من جهة عمل الروح القدس في الطبيعة البشرية لإسترجاع صورة الله ومثاله:

[وعندما يوجد الروح القدس فإنه **يحوِّل جبلة الناس من طين إلى ذهب** (كناية عن قداسة السمائي)][47].

القديس يوحنا ذهبي الفم

[لأن الروح القدس لا ينتقل من مكان لمكان، بل يتحرك من التزام المشيئة لتأمين الخلاص والفداء، **من نعمة إعطاء الحياة إلى نعمة التقديس، لكي**

(٤٧) على رسالة رومية عظة ٤.

ينقلنا من طبيعة التراب إلى السماء، من الشقاء إلى المجد، ومن العبودية إلى الملوكية] (٤٨).

القديس أمبروسيوس

ولقد استقبل النساك هذه المبادىء الإيمانية بحرارة وجدية ، و يكفي للتدليل على ذلك ما سجله القديس **أنطونيوس** عن علاقته الشخصية بالروح القدس وحماسه البالغ في توصيل هذه الخبرة الفائقة :

[الروح الناري الذي قبلته أنا ، اقبلوه أنتم أيضاً] (٤٩).

و يعلق أنبا **تادرس** تلميذ أنبا **باخوم** على موهبة اقتناء الروح القدس بقوله :

[ماذا يكون أعظم من أن يقتني الإنسان الروح القدس] (٥٠).

ولقد كانت مفاعيل الروح القدس في حياة الآباء وتصرفاتهم كلها معجزات تفوق الوصف ، ولكن لا تضاع الآباء وحيائهم الشديد كانوا يخفون مواهبهم ، ولكن كثيرين منهم لم يستطيعوا أن يخفوا نور الروح القدس الذي كان يشع حتى من وجوههم وأجسادهم . ومعروف بالتحقيق أن الآب أرسانيوس كان وجهه أثناء الصلاة «يتقد كالنار» بشهادة تلميذه ، وكذلك الأب «بامو» والأب «شيشوي» والأب «سلوانس» ، وهذه إشارة مبدعة أخذها الآباء اللاهوتيون كبرهان لما هو عتيد أن تقوم عليه أجساد القديسين في المجد العتيد أن يستعلن فيهم .

ولهذا يتوسل إلينا القديس بولس الرسول من جهة هذا الأمر «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن **تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله**» (رو١٢ : ١).

وعن هذه الحقيقة يقول القديس **مقاريوس الكبير:**

---

(٤٨) على الروح القدس ١١ : ١٢٢ .

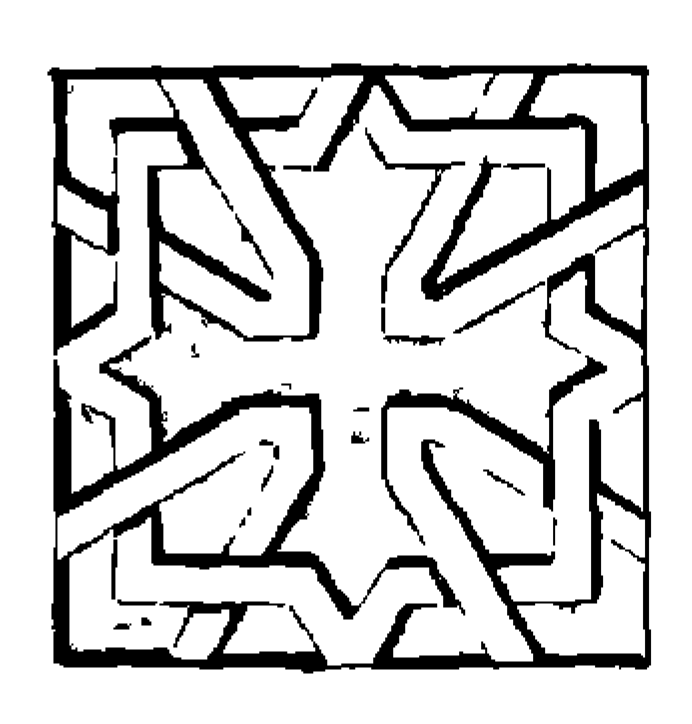
(٤٩) الرسالة الثامنة .

(٥٠) حياة أنبا باخوميوس .

[وفي القيامة العتيدة سينبعث الروح القدس من الداخل ليغطي أجساد القديسين و يزينها بالمجد الذي كان فيهم سابقاً، وإنما كان مخفياً فيهم داخل نفوسهم، فما يحصل عليه الإنسان الآن (من مجد الروح) سيصير ظاهراً في الجسد هناك (في القيامة)](٥١).

ولكن الآباء لم يتفاخروا قط بما نالوه من مجد داخلي (*) أو خارجي، سواء في أرواحهم من الداخل أو في أجسادهم من الخارج، بل بالحري كان يتقد الروح القدس فيهم من جهة تأليم أجسادهم ونفوسهم بحمل أثقال الضعفاء والمرضى. ولا يمكن أن ننسى الأب «أغاثون» الذي كان يشتهي شهوة أن يأخذ جسد إنسان مجذم و يعطيه جسده، وقد اختبر الله نيته بالفعل في هذا الأمر فوجدها صادقة(٥٢).

لقد كان الروح القدس هو حياة الآباء وهو الناطق فيهم وهذا هو ما نعنيه من كلمة التقليد. □



---

(٥١) عظة ٥: ١٩.

(*) نسمع اليوم بافتخار بعض الأخوة بما نالوه من مواهب بشيء من التعالي المستتر وراء تمجيد الله، وهذا يُحسب في التقليد الآبائي نقيصة، وفي منهج الإنجيل غباوة روحية، وقد فعلها بولس الرسول مرة تحت الإلتزام ثم ندم عليها: «قد صرت غبياً وأنا أفتخر، أنتم ألزمتموني» (٢ كو١٢: ١١).

(٥٢) أقوال الآباء P.G ٦٥: أغاثون: ٢٦.

كتاب

الروح القدس

وعمله داخل النفس

عرضٌ لأقوال الآباء النُسَّاك

(سنة ١٩٧٤)

المحتويات

مقدمة

الآباء القديسون الأوائل لهم سيرة عليها بصمة الروح القدس بلا نزاع، إنها سيرة روحانية بكل معنى الكلمة، ورائحة الروح القدس **العطرة** ــ كما يصفها القديس أنبا أنطونيوس(١) ــ تفوح من أعمالهم وأقوالهم التي تركوها لنا ميراثاً ثميناً.

والعجب أن هؤلاء القديسين، من حيث سيرتهم السابقة، فإن غالبيتهم خرجوا من بيوت أمية وبيئات اجتماعية دون المتوسطة، ومنهم من كانوا أشراراً عتاة تقلبوا على كل مراتب الخطيئة والشر، ولكن بانقيادهم للروح القدس بعزم لا يُقهر وبنشاط حار وتلقائية سريعة بلا تحفظ عند تقبُّلهم أول هاتف للتوبة، صاروا قديسين وأبراراً، وصارت حياتهم نبراساً ونموذجاً للكنيسة كلها، للإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق.

واستمرت فاعلية الروح القدس الصفة الأولى والعظمى السائدة على كل نشاطهم وحياتهم، فأكملوا قول الرسول ــ «منقادين بروح الله» (رو٨: ١٤). لذلك فقد استطاع الروح أن يحقق في حياتهم بل وفي أنفسهم وأجسادهم كل مواهب المسيح وعطاياه الخلاصية الفائقة. فحياتهم ترجمة واقعية لمعنى الفداء وعمل الخلاص والمسح بالدم والميلاد الثاني وحياة التجديد والإيمان العامل بالمحبة، والرجاء الحار الذي يعيش ملء المستقبل في صميم الحاضر ويتذوق حتى فداء الجسد، والحب الذي يحوّل أعظم الآلام إلى نشيد للنصرة، حتى في أشد وأعنف الإضطهادات كانت تُسمع من أفواههم تسبحة الغلبة والخلاص، والنطق بالشهادة الحسنة للمسيح من تحت حد السيف.

فالذي يقرأ رسائل القديس أنطونيوس يخرج بانطباع روحي لا يمكن أن يفارقه مدى الحياة: نار. نار. نار، الدعامة الأساسية في تعاليم أنطونيوس نار إلهية تسكن النفس وتطير بها مرتفعة نحو السماء. هذه النار عند أنطونيوس هي سر الحياة الروحانية

---

(١) الرسالة التاسعة عشر ــ ص ١١٢.

وأساس كل سمرة في المسيح ومبدأ كل فضيلة وعلة كل عمل صالح: [**إذا خمدت هذه النار تصير كالطير الذي نُزع جناحه**] (الرسالة الثامنة عشر).

لذلك فحروب الشيطان تتركز كلها ضد هذه النار الإلهية التي تسكن النفس: [**فلا تدعوا قوة هذه النار تُنزع منكم، لأن حروباً كثيرة كائنة لكم من الشيطان لأجل هذه النار المعطاة لكم من الرب لكي ينزعها منكم، لأنه يعلم أنه لا قدرة له عليكم ما دامت نار الله فيكم**] (الرسالة الثامنة عشر).

ولا يطيق أنبا أنطونيوس أن يرى أحداً بدون هذه النار، فهو يستحث أولاده جميعاً وكافة من يسمعه أو يقرأ له أن يقتني هذه النار، لأنها جوهر الحياة الروحية والقوة الوحيدة الدافعة التي تدفع النفس إلى السماء وسط محن الحياة وحقد الشيطان وكل أهوال الموت! إسمعه يقول: [**ذلك الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا اقبلوه أنتم أيضاً**]، ثم يتوسل إلى أولاده أن لا يشكّوا قط في إمكانية قبوله: [**لا تفكروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين وتقولوا من يقدر أن يقبل هذا، لا ياأولادي، لا تدعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم، بل اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلونه**] (الرسالة الثامنة).

وعند أنطونيوس، عبثاً يقاوم الإنسان أفكاره الشريرة ونشاط قواه التصويرية للنجاسة أو البغضة أو الحقد أو العداوة إلى أن يستسلم العقل لله نهائياً وكلياً، و يسلم كل أفكاره للروح القدس ليحرقها أمامه: [**وبسلطة العقل تطلبون من الله أن ينعم عليكم بإتيان ناره غير المادية من العلا إليكم لتحرق كل أفكاركم ومشوراتكم الردية التي في تلك الجمرة (أي الجسد)**] (الرسالة السادسة عشر).

□

ولا ينفرد أنبا أنطونيوس بهذا الإحساس الغامر والدائم لفعل الروح القدس الناري في النفس والجسد، بل يشاركه بنفس الحماس والغيرة أنبا مقار، في الإحساس بفاعلية النار الإلهية داخل النفس كاشفاً سراً من أسرار قوة صلاة القديسين الذين تسكنهم هذه النار الإلهية. إذ يقرر أن طبيعة هذه النار الإلهية طبيعة حارقة للشيطان وكل أفكاره وتصاويره: [**النفس إذا كان لها إقامة في شركة الروح القدس، فإن**

طول إقامتها في نار الروح ونوره الإلهي يحصنها ضد أي مضرة من أي روح شرير لأنه إذا اقترب من النفس فإنه يحترق بنار الروح السمائي] (العظة ٣٠ ص ٢٣٣).

و يعود أنبا مقار و يؤكد أنه يستحيل على النفس القاسية والقلب الحديدي الصخري الذي تقسّى بالخطيئة والشهوة والكبرياء والعداوة، يستحيل أن يلين إلا بهذه النار السمائية، فهي وحدها القادرة على تغيير طبيعة النفس: **[حتى إذا نالت النفس هذه النار السمائية ومحبة الروح، حينئذ تنفك من محبة العالم وتفلت من كل فساد الأهواء وتتغير طبيعتها من يبوسة الخطيئة]** (العظة الرابعة).

كذلك فالذي يقرأ عظات أنبا مقار يخرج بانطباع عام لا يمكن أن يُمحى من قلبه، وهو تركيزه الفائق للوصف والحد على شدة العلاقة التي تربط الروح القدس بطبيعة النفس التائبة، فهو لا يكف ولا يهدأ من إعطاء التشبيهات المتوالية حتى يرسم في ذهن السامع عمق الصلة السرية المتعددة الصفات والإمكانيات التي تربط بين الروح القدس والنفس. ومن ثَم فإن تعدد الرُبُط وتعدد الصلات هو هو سر تعدد المعونات وتعدد مفاعيل الروح القدس في النفس البشرية. فالقديس أنبا مقار يمثل الإلتحام الكائن بين طبيعة الروح القدس وطبيعة النفس بالتعانق الحادث بين خيوط السَدَاة القوية الزاهية بخيوط اللُحمة الضعيفة الباهتة التي يتكون منها نسيج بهيج له صفة الأقوى.

ثم يعود ويمثل التغلغل الكائن بين طبيعة الروح القدس وطبيعة النفس بالماء الذي يغمر قطعة صخرية ويحيط بها من كل الجهات، فيجعلها تخف وتسهل حركتها. ثم يعود ويمثل التداخل الشديد والغامر بين الروح القدس والنفس بإيقاد مصباح في مكان مظلم. ثم يعود ويمثل الإتحاد بين الروح القدس والنفس باتحاد نسمة الحياة بالجسد القابل للموت. ثم يعود ويمثل اتحاد الروح القدس بالنفس، باتحاد النار بالحديد الصلب لفترة طويلة حتى يذوب و يتغير عن طبيعته. ثم يعود ويمثل هذا الإتحاد بالجناحين بالنسبة للطائر الذي يطير بها في السماء، ثم يعود ويمثل هذا الإتحاد بالمعجزة التي تمت على يدي إليشع النبي عندما ألقى قطعة خشب صغيرة في الماء (٢مل ٦: ٤ـــ٧)،

فالتصق الخشب بالحديد الساقط في قعر الماء وارتفع به إلى السطح، والأخف رفع الأثقل!!

وفوق هذا كله، وقبل هذا كله، يصف الإتحاد الكائن بين الروح القدس والنفس البشرية بالعلاقة السرية جداً القائمة بين روح الله والشاروبيم الحامل لعرش الله، هذه الصلة التي جعلت من الشاروبيم ذوي الأوجه المخلوقة، حيواناً روحانياً مسبِّحاً، **كريماً جداً** ولائقاً أن يحمل عرش الله.

هذا، ولكل تشبيه من هذه التشبيهات عمل خاص للروح القدس يعمله داخل النفس ليكملها بالكمال المسيحي!!

ويكفي القارىء أن يتصور في نفسه إمكانية وجود هذه الصلات جميعاً التي تربط بين نفسه وبين الروح القدس، حتى ينذهل من فرط رحمة الله وحبه واتضاعه الذي وهبنا روحه الخاص الذي جعله بهذا القرب من طبيعتنا، وهذا الحب المجاني والتودد الفائق الإتضاع، لنتوب ونتجدد في الذهن والسيرة، ونصير بواسطته وبالإتحاد به والشركة معه خليقة روحانية صالحة جديرة بحلول الله ولكي يملأها بمجده لنسبحه الليل والنهار وإلى الأبد تسبيح الغلبة والخلاص.

□

أما مار إسحق، فعلى مدى كتبه الأربعة الضخمة التي تضم أكثر من ستمائة صفحة والتي يتحدث فيها عن كل ما يهم الناسك المسيحي السائر في طريق الحياة الأبدية، هذه كلها يخرج منها القارىء بانطباع يملك عليه كل تفكيره وهو عمل النعمة في الجهاد اليومي، النعمة. النعمة. النعمة.

والنعمة عند مار إسحق «**هي الملكوت**»، وهذا أيضاً هو ذات ما يقوله أنبا مقار في خطابه الكبير: [... **لأن ما هو هذا الملكوت الداخلي؟ «هوذا ملكوت الله داخلكم» إلا «فرح الروح»، هذا الذي يتدفق بقوة في النفوس المستعدة. أليس هذا الفرح وهذه الراحة المثمرة وهذا السُكْر الروحاني هو نفس ما يتذوقه المختارون في الفردوس في نور مجد الله؟**].

كذلك فإن النعمة عند مار إسحق هي أيضاً عطية الروح القدس، **وهي الروح القدس**، ثم بدونها لا يمكن أن تُقام صلاة مقبولة أمام الله، بدونها يستحيل أن تهدأ الأفكار الطائشة و ينجمع الفكر في الصلاة، بدونها لا يمكن أن يصلي الإنسان حتى ولو بتغصُّب، بدونها يستحيل الجهاد الجسدي أو النسك أو الصوم الخالي من الإرهاق والتوجع، بدونها يستحيل احتمال الضيقات أو المظالم، بدونها يستحيل الصبر على الآلام والأمراض والأعواز، بدونها يستحيل الإنفطام عن شهوات الدنيا ومجاذبات العدو، بدونها يستحيل القيام بأعمال إيمانية جريئة وإعطاء الشهادة الشُجاعة في حينها، بدونها يستحيل مواجهة الموت بدون انزعاج.

والعكس، عند مار إسحق أيضاً، صحيح. فالنعمة التي تمنح الصلاة تحل وتأتي أيضاً بالصلاة!! أو بمعنى آخر إن النعمة أولاً تشجع وتحث على الصلاة، فإذا استجاب الإنسان لحث النعمة تعود فتنسكب جهاراً بغزارة وبحرارة. كذلك فالنعمة التي توحي بالتغصب تأتي أيضاً بالتغصب، أو بمعنى آخر، يقول إن النعمة تحث على التغصب، فإذا استجبنا للتغصب سواء على الصلاة أو الصوم أو احتمال الإهانة أو الشتيمة أو الظلم تكون النتيجة أن النعمة تنسكب جهاراً بغزارة وفيض عظيم.

كذلك فإن النعمة و بنفس هذا الإتجاه المزدوج، تأتي بفيض و بغزارة عند احتمال الضيقات والآلام والأمراض والإنفطام عن شهوات العالم والجسد والشيطان وعند القيام بأعمال إيمانية جريئة والشهادة الحسنة.

وهكذا تغطي النعمة كل تعاليم مار إسحق، فهي تعمل من خلف النفس لتحثها على ركوب الصعاب حباً وكرامة وشهادة للمصلوب، ثم تسرع لتسند يمين السائر في الطريق الحرج. فإذا تقوَّم ونجح، تُسرع وتتلقاه بالأحضان عند نهاية الجهاد لتملأه أفراحاً سماوية وهدوء نفس، هذا الذي يسميه مار إسحق «عدم التألم» الذي يبلغه المجاهد النشيط المُعان بالنعمة في نهاية الطريق الحرج!!

وتعاليم مار إسحق تبلغ قمتها عندما يتحدث عن الحب الإلهي، فهو الثمرة الوحيدة التي تثبت أن الجهاد صحيح من صلاة وصوم ونسك وخدمة وعبادة. ولكن لا يمكن اقتناء الحب الإلهي بالصلاة ولا بالصوم ولا بالنسك ولا بأي عمل آخر، فهو من عمل

الروح القدس مباشرة: [حب الله ليس هو عاطفة عابرة بدون إفراز، ولا هو يُقتنى من معرفة الكتب، ولا هو يتولد من الفضيلة وعمل مخافة الله، أو يُقتنى بالجهاد أو بتصور حب الله، ولا يأتي من تأدية واجبات المحبة حسب الوصية؛ بل **إذا قبل الإنسان روح الإستعلانات وتجددت نفسه بحركات الروح** وحكمة الله التي تفوق العالم، فإنه يحس بعظمة الله جداً في نفسه. **وبدون هذا الروح لا يمكن أن يدنو أحد من مذاقة الحب الممدوحة**] (الجزء الأول ـــ ميمر أول).

* * *

ولكن من وجهة نظر الكنيسة نستطيع أن نقول إن العنصر الأساسي المشترك في حياة الآباء جميعاً من جهة عمل الروح القدس النشط، هو عملية البناء العجيبة التي يضطلع بها الروح القدس، بناء جسد المسيح السري، من هذه النماذج المخلوقة المتجددة المتعددة من الشخصيات البارزة وغير البارزة، من الأفراد والجماعات والتجمعات في كل الأماكن وعبر الأجيال، كل من انقاد بالروح وأطاعه وخضع لصوته وسار بتدبيره السري البسيط. حتى أنه أصبح لدينا الآن من واقع حياة هؤلاء الآباء العظام ومناهجهم وسلوكهم وأقوالهم صورة رؤيوية لكنيسة المسيح الروحية، جسده السري، تكاد تكون كاملة. أو بمعنى آخر ألا نستطيع أن نرى بالروح من حياة هؤلاء الآباء الأطهار وكل أخوتنا ومن سلوكهم العفيف وترفُّعهم عن أهواء هذا العالم وهروبهم من مجده الباطل وسلطانهم المطلق على الجسد وفرحهم في الآلام واحتمالهم وصبرهم الفائق على كل الضيقات والمحن ـــ أقول ألا نرى في هذا صورة للمسيح القائم من الموت غالباً العالم وساحقاً الشيطان تحت رجليه؟؟

ثم ألم ينجح الروح القدس بهذا في تكوين أعضاء ممتازة لجسد المسيح السري بقيادته الحكيمة الفردية والجماعية لهؤلاء الآباء وتلاميذهم ورعاياهم في طريق الصليب؟؟ ألم ينجح الروح القدس في وضع صليب المسيح على أكتاف هؤلاء بطرق متنوعة، وهكذا يقودهم حتى الجلجثة والقبر من خلال أعظم المحن والآلام، ثم يعبر بهم بتشجيعاته وتعزياته بل وأفراحه وتهليلاته إلى مجد القيامة وهم لا يزالون في صميم الجسد والعالم وفي مواجهة الشيطان الساقط تحت أرجلهم سريعاً؟؟

ثم أليس بهؤلاء يقدم الروح القدس قيامة حقيقية دائمة إلى العالم؟ محققاً نصرة كاملة دائمة لصليب المسيح فوق العدو وفوق العالم؟ ثم ألا يحق للروح القدس بعد هذا أن يقف في وسط مختاريه و ينطق بلسانهم مرة أخرى «ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو١٦: ٣٣)؟ و يكون بذلك قد تمم بالفعل وعلى طول المدى وعد المسيح «فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً» (يو١٥: ٢٧)؟

والنتيجة الحتمية لهذه المقدمة هي سؤالنا لأنفسنا: ما هو مقدار عمل الروح القدس فينا؟

ولكي نستطيع أن نرد على هذا السؤال نسأل سؤالاً آخر: هل نحن نعيش في شركة القديسين حقاً؟ لأن الروح القدس لا يعمل خارج شركة القديسين، لأن شركة القديسين هي جسد المسيح السري، أما شركتنا مع القديسين فهي شركة **حب وآلام وجهاد** مشترك يقودها الروح القدس، سراً وعلانية.

أما شركة الحب مع القديسين فلا يُقصد به الحب البارد الروتيني الذي نتعامل به مع الله ومع الناس أو الأقارب أو الأخوة، بل الحب الساخن الملتهب كالنار المتقدة التي ترتفع دائماً إلى فوق والتي تحصد كل ما يعترضها!! الحب الذي يزكيه الروح القدس فلا يكف الإنسان من رفع وجهه إلى فوق والدموع في عينيه، فلا يعرف صديقاً من عدو ولا قريباً من غريب، لا يضع العراقيل ولا يسوِّف في البذل، لا يعرف المداراة ولا الممالأة ولا المحاباة، يميل دائماً إلى الأضعف والأصغر والأحقر والمظلوم. هذا الحب الساخن هو المؤهل الوحيد للإلتحام الكامل مع بقية أعضاء الجسد، أي مؤهل الشركة في جسد المسيح السري، **فهو المؤشر الأول والأعظم الذي يدلك على مقدار عمل الروح القدس في داخلك.**

أما شركة الآلام مع القديسين فهي قبول نوع الصليب الذي يلقى عليك، باعتباره النصيب المعيَّن بتدبير الروح القدس لتكميل خلاصك سواء كان في نفسك أو في جسدك أو في مسئولياتك أو كرامتك أو سمعتك، ولكن بدون تذمر أو صراخ أو حقد أو طلب النقمة، بل بقبوله من يد الله بالرضى والشكر باعتباره دواءً وعلاجاً تحدد نوعه ومقداره وزمنه بمنتهى الحكمة والرحمة معاً و بالقدر اللازم الحتمي لشفاء النفس

وخلاصها. فإن كان لائقاً أن يكمّل المسيح نفسه بالآلام وهو رئيس الخلاص، فكم يكون لائقاً أن يكمل الروح القدس خلاصنا بالآلام بصفتنا أعضاء جسد المسيح، وهو هو الذي كمّل بالآلام؟

إذن فنوع الصليب الملق علينا ودرجة احتمالنا له، ثم درجة قبولنا ثم درجة رضانا ثم درجة شكرنا، كل هذا يحدد مقدار شركتنا في الآلام مع القديسين وبالتالي يحدد مقدار عمل الروح القدس في داخلنا.

أما شركتنا في الجهاد مع القديسين فهي استجابتنا العملية لكل وصايا المسيح التي اقترحها لحفظ خلاصنا في أمان من مهاجمة العدو وحروبه التي يشنها على كل من يتجاسر ويخرج من تحت سلطانه و يقاوم إغراءاته وأباطيله.

فالمسيح أوصى بالصلاة الدائمة، والسهر القلبي، وعدم الملل من الصلاة أو السهر، حتى لا ندخل في تجربة مع العدو. وأوصى بالصوم للنجاة من سلطة العدو وإخراجه بالقوة من الفكر أو الأعضاء أو الإرادة. و ينبهنا المسيح بوضوح أنه لا توجد أية وسيلة أخرى نُخرج بها الشيطان من تسلطه على الجسد إلا الصوم المشفوع بالصلاة «هذا الجنس لا يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم» (مت١٧: ٢١).

كما أعطى المسيح المثل للإعتكاف المؤقت للملء من الصلاة «وكان يمضي إلى مكان خلاء وكان يصلي» (مر١: ٣٥)، وللإعتكاف الطويل نوعاً ما لإكتساب الراحة الداخلية وتجديد قوى الروح «وكان يمضي إلى الجبال و يبيت هناك، وكان يمضي الليل كله في الصلاة» (لو٢١: ٣٧، ٦: ١٢)، كما أعطانا المثل للإعتكاف الطويل في البرية لمواجهة النفس وكل تجارب العدو والتخلص من سلطان الجسد والعالم «وللوقت **أخرجه** الروح إلى البرية وكان هناك في البرية أربعين يوماً يُجرَّب من الشيطان، وكان مع الوحوش، وصارت الملائكة تخدمه» (مر١: ١٢).

هذا الجهاد الذي تشترك فيه كل قوى الإنسان الجسدية والنفسية ضرورة حتمية يزكيها المسيح و يؤازرها الروح القدس لمواجهة عدو خبيث ينتهز كل فرص ضعف الإنسان في أي ناحية من نواحي كيانه الجسدي أو النفسي لكي يُسقطه في الخطية،

لحرمانه من حياة القداسة التي يشترك فيها القديسون، تمهيداً لفصله عن بقية أعضاء جسد المسيح حتى لا يعاين الله إلى الأبد.

لذلك فإن مستوى جهادك، ثم مقدار مساهلة الروح لك ومؤازرته في كل جهاد، وتقويته لعزيمتك في هذا الجهاد بكل أنواعه ودرجاته حسب الوصية، ثم الفرح والغيرة التي تتولد من الجهاد والمثابرة فيه، **كل هذا يكشف عن مقدار «انقيادك» للروح القدس، وبالتالي يوضح لك مقدار عمل الروح داخلك.**

وهذا ينتهي بنا في النهاية إلى السؤال الخطير: فماذا لو كان الروح القدس روح المحبة الساخنة منطفئاً في القلب، فلا رَفْعَ وجه ولا دموعَ حب ولا حرارة في علاقتنا مع الآخرين ولا تودداً ولا بذلاً بفرح ولا اشتياقاً يحرق القلب لخلاص النفوس السائرة في طريق الهلاك؟

ثم ماذا لو كان روح العزاء منقطعاً فِعْلُه داخل النفس، حيث انعدام القدرة على مجرد احتمال الألم أو تحمُّل إساءة أو ظلم أو إهانة أو شكر على تجربة أو حتى مجرد الصبر في الضيق أو الرد على تعيير العدو؟

كذلك ماذا لو كان روح الجهاد محزوناً داخل النفس بسبب الكسل والتواني والإستهتار بالصلاة والصوم والسهر والتململ من أي جهد مبذول في خدمة الروح؟

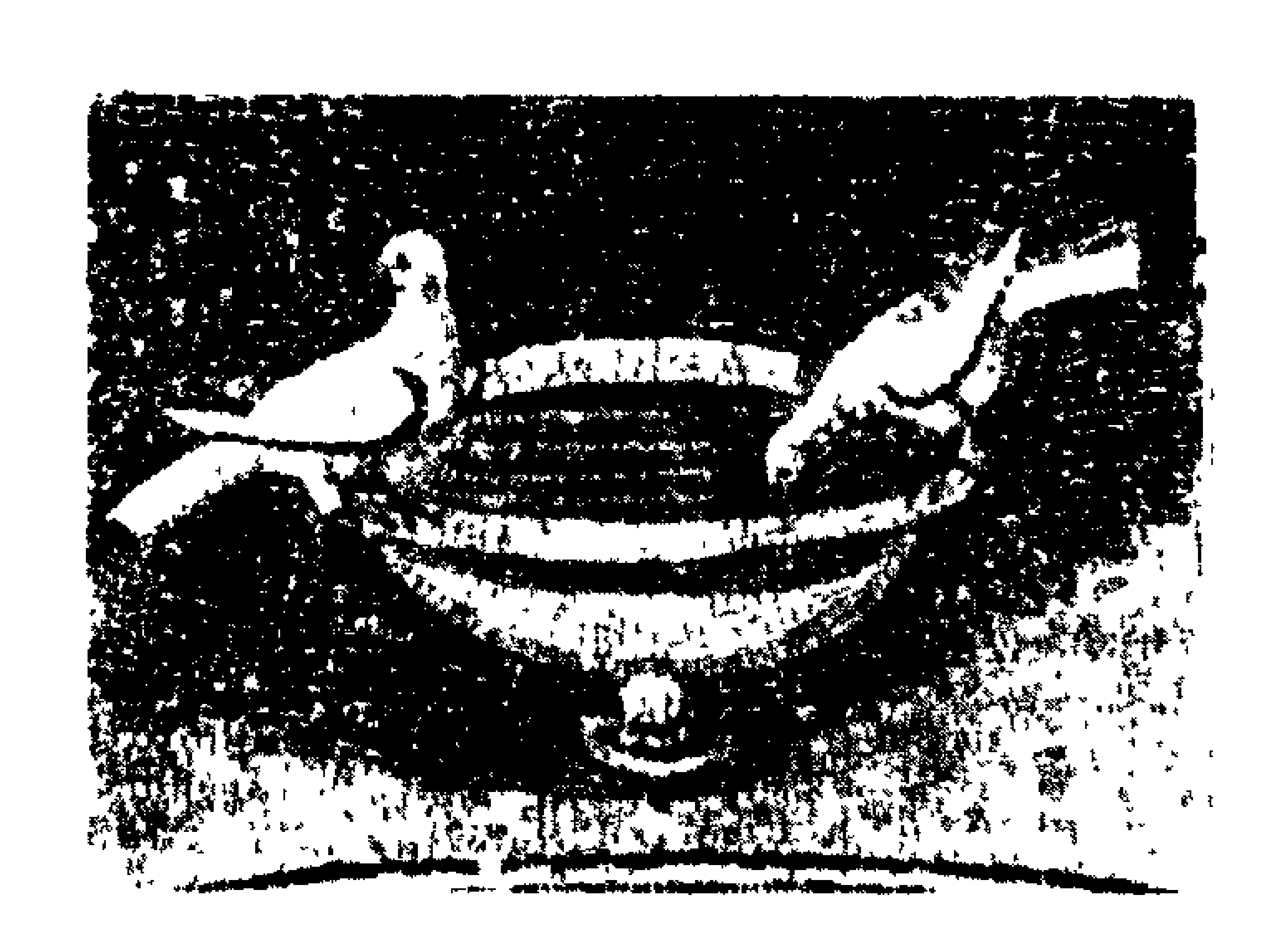
كل هذا يكشف بلا مواربة أن الروح القدس إما منطفىء، أو محزون، أو لم يملأ القلب بعد. وهنا يقف القديسون النساك العظام أنطونيوس ومقار يوس وكل الذين غلبوا وعبروا، يستحثوننا بكل توسل. فأنبا مقار يوس ينادي أولاده أن **يقفوا على أرجلهم يطلبون هذه العطية ويصرخون إلى الله كمجروحين جرحاً مميتاً، أو كمن يعترضهم شبح الموت ليصدهم عن الحياة الأبدية.** وأنبا أنطونيوس يتوسل إلى أولاده أن يديموا الطلبة باجتهاد ولا ينقسموا في أفكارهم أو يقولوا من يقدر أن يقبل هذا:

[لا ياأولادي لا تدعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم. اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلونه. اطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري، وحينئذ

يعطى لكم. أديموا الطلبة باجتهاد من كل قلوبكم فإنه يُعطى لكم، لأن ذاك الروح يسكن في القلوب المستقيمة. وإن طلبتي من أجلكم في الليل والنهار أن يكون فيكم هذا الروح بعظمته ولذته الذي قبله جميع الأطهار.. اطلبوا لكي يلقي الرب يسوع في قلوبكم هذه النار التي جاء ليلقيها على الأرض حتى تستطيعوا أن تتدربوا في عزائمكم وحواسكم].

□

وهكذا نأتي إلى ختام هذه المقدمة متوسلين إلى الله بكل رجاء وطلبة، من أجل كل نفس في الكنيسة أن يكون الآن هو الوقت المقبول لها وساعة الخلاص و بدء التوبة للمصالحة مع الروح القدس، لتجديد الحياة وللدخول الصادق في شركة القديسين.



تعبيرات لاهوتية عن الروح القدس
للقديسين أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير

وإن كـان شغل اللاهوتيين الشاغل هو الدفاع عن الإيمان بسبب الصراع اللاهوتي الحادث في أيامهم، إلا أنه لم تخلُ تعبيراتهم العقائدية الصرف من منفعة عظيمة للنساك الذين كانوا يعيشون في نور هذه الحقائق اللاهوتية، لأن اللاهوت الحقيقي هو ما كان عن تجربة إيمانية صادقة وتذوُّق من صميم الممارسة. واللاهوتي الحقيقي هو من عاش مع الله وارتفع إليه بالرؤيا ودخل إليه وخرج!!

ومن أعظم مميزات لاهوت القديسين أثناسيوس وكيرلس: صحة عن اختبار، ودقة عن صفاء الرؤيا، وتصميم يبلغ حد الإستشهاد بسبب قناعة أتت من عمق الإحساس بالحق.

لذلك رأينا، قبل أن نأتي إلى أقوال الآباء النساك العملية، أن نورد هذه اللمحات المبدعة عن الروح القدس لهذين اللاهوتيين، وهما القديسان ربيبا النساك واللذان تتلمذا على أيديهم قبل أن يتبوءا عرش الكرازة و يتسلما مسئولية الدفاع عن الإيمان المستقيم للكنيسة كلها، أثناسيوس على يدي أنطونيوس، وكيرلس على أيدي أبناء أنبا مقار.

أقوال للقديس أثناسيوس الرسولي

(من رسائل عن الروح القدس)(*):

[وعندما كتب إلى أهل تسالونيكي قائلاً: «لا تطفئوا الروح» (غل٣: ٢)،

(*) عن كتاب «رسائل القديس أثناسيوس الرسولي عن الروح القدس» تعريب القس مرقس داود.

كان يتحدث إلى أشخاص يعرفون «من» **هو الذي قبلوه** ــ لئلا بسبب الإهمال يطفئوا نعمة **الروح الذي كان قد اشتعل في داخلهم**] ص١٢.

[ولكي يكمل لنا المسيح فيه (أي في الروح القدس) كل **معرفتنا بالله و يضع** طقس **الإنضمام للكنيسة** (المعمودية) والذي به (أي بالروح القدس) **اتحدنا بشخصه** (أي بشخص المسيح) **وبالآب**..] ص١٧.

[كما أن المسيح ابن حقيقي، فإننا **نصير أبناءً عندما نقبل الروح القدس.** «إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني» (رو٨: ١٥). وإن كنا بالروح القدس قد صرنا أبناء، **فواضح أننا في المسيح** قد دُعينا أولاد الله «وأما كل الذين قبلوه **فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد** الله» (يو١: ١٢)] ص٥١.

[وعندما يعطي لنا الروح القدس (**قال المخلص**: اقبلوا الروح القدس ــ يو٢٠: ٢٢) يصبح الله فينا] ص٥١، ٥٢.

[الروح القدس هو **روح القداسة والتجديد**] ص٥٨.

[الروح القدس **يدعى «مسحة» وهو «الختم»**] ص٦٠.

[والذين يمسحون يقولون عندما ينالون المسحة «نحن رائحة المسيح الزكية» (٢كو٢: ١٥)، والختم له قالب المسيح الذي يختم، **والذين يُختمون (بالروح)** يشتركون **فيه إذ يتشكلون بشكله**، كما يقول الرسول «ياأولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم» (غل٤: ١٩).

وهكذا إذ نُختم نصير بحق ــ كما يقول بطرس الرسول ــ «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط١: ٤)] ص٦١، ٦٢.

[المسحة والختم الذي فينا لا ينتمي إلى طبيعة مخلوقة بل إلى طبيعة الإبن الذي يُتحدنا بالآب عن طريق **الروح القدس الذي فينا**] ص٦٢.

[**إن كنا بالإشتراك في الروح القدس نصبح «شركاء الطبيعة الإلهية»** (٢بط١: ٤)، فمن الجنون أن نقول أن الروح القدس له طبيعة مخلوقة... **لأن الذين فيهم الروح القدس، تصبح لهم الطبيعة الإلهية على هذا الأساس.**

وإن كان الروح القدس يجعل الناس شركاء الطبيعة الإلهية، فلا شك في أن طبيعته طبيعة إلهية] ص٦٢، ٦٣.
[عندما يُقال إن الروح القدس في إنسان، فإن هذا يعني أن الكلمة حالٌّ فيه مانحاً الروح القدس] ص٧٩.
[لأننا إذ تكون لنا شركة في الروح القدس، تكون لنا «نعمة الكلمة» وتكون لنا أيضاً محبة الآب في الكلمة] ص١٠٦.

ومن كتابات القديس كيرلس الكبير

١ ــ [(أ) الروح القدس هو الرباط الذي يربط أنفسنا بالآب والإبن.
(ب) الروح القدس هو صورة الإبن، وهو حينما يطبع ذاته على أنفسنا، فهو يعيد خلقتنا لتكون على صورة الإبن الذي هو بالتالي على صورة الآب.
(جـ) الروح القدس هو القوة التقديسية في الثالوث، بحيث أن التقديس أو القداسة هي له صفة جوهرية، كما الأبوة للآب والبنوة للإبن] (١).
٢ ــ [الروح القدس يؤلهنا عندما يجعلنا مطابقين للإبن في بنوة مكتسبة، وهكذا يستعيد أو يسترجع عمل الآب فينا] (٢).
٣ ــ [(أ) وبما أن الروح القدس يجعل الذين يسكن فيهم أبناء الله وشركاء في الطبيعة الإلهية، لذلك فإننا باتحادنا بالله نصرخ بإيمان «يا أبا الآب»] (٣).
[(ب) إن التجديد الذي نحصل عليه هو في الحقيقة من عمل الثالوث... حتى وعندما ننسب لكل أقنوم عملاً مما يحدث لنا أو للخليقة. ولكن علينا أن نؤمن

---

(1) *"La Sanctification d'après Sainte Cyrile d'Alex."*, J. Mahé., Revue d'histoire ecclesiast. 10 (1909), p. 480. Cited by St. Vladimir's Th. R. Q. 18/1/1974.

(2) *"El Sp. Sanct. Cyrile d'Alex."* J. Sagües, cited by St. Vladimir's Th. R. Q. 18/1/1974, ibid.

(3) Thesaurus XXXIII, P.G. 75. Cols. 569, 606, 749, 905, 1085, 1088, 1098, cited by St. Vladimir's Th. R. Q. 18/1/1974, ibid.

بالرغم من ذلك **أن كل شيء هو**من الآب بالإبن **في الروح القدس**(٤).

١ ــ سواء كان خلقة ما (٥).

٢ ــ أو دعوة للتلمذة (٦).

٣ ــ أو هبة عدم الموت (٧).

٤ ــ أو تقديس الحياة (٨).

٥ ــ أو كل ما يهبنا الله إياه من الصالحات (٩)].

٤ ــ [فالروح القدس **يرسله الآب للقديسين** بواسطة الإبن] (١٠).

٥ ــ [كل شيء إنما **يستعاد مجدداً** للآب بالإبن **في الروح القدس**] (١١).

٦ ــ [المسيح نفسه يحل بواسطة الروح القدس في من يعرفه و يربطه بواسطة نفسه بالقرابة الروحية مع الله الآب] (١٢).



---

(4) In Jo. Evang., X, P.G. 74, col. 336.

(5) Contra Julian III, P.G. 67, col. 649 & De Rect. Fid. P.G. 76, col. 1204.

(6) Adv. Nest , IV: P.G. 76, col. 108.

(7) In Jo. Evång , IX, P.G. 74, col. 280

(8) De SS. Trinit., Dialog V, P.G. 75, col. 1000.

(9) De Rect Fid., P.G. 76, col. 1272.

(10) Thesaurus, P.G. 75, col. 581.

(11) In Jo. Evang., XI, P.G. 74, col. 541.

(12) Ibid., col. 577, A.

العلاقة بين:
الـروح الـقـدس في اللاهـوت الـعقـائـدي،
والـروح الـقـدس في اللاهـوت الـنـسـكـي.

أهـم مـا نريد أن نلفت إليه الأنظار في لاهوت كيرلس الكبير العقائدي بخصوص عمل الروح القدس داخل النفس البشرية، الذي يعتبر بحق المدخل الأساسي للاهوت النسكي، هو ما تضمنته العبارة التي أكد عليها كمعيار أساسي في كل لاهوته:

[πάντα ἐστὶν παρὰ Πατρὸς δι᾽ Υἱοῦ ἐν Πνεύματι]

[كل شيء هو من الآب بالإبن في الروح القدس]

أي أن كـل مـا يحدث للنفس البشرية هو حصيلة حتمية لعمل الثالوث المشترك. ولـكـن الـفـعـل المباشر للنفس الذي يتضمن كل عمل الآب والإبن، هو «**في الروح القدس**».

فـالـروح القدس لا يعمل من نفسه، كما يقول الكتاب: «لأنه لا يتكلم من نفسه بـل كـل مـا يـسـمـع يتكلم به» (يو١٦: ١٣). ولكنه متخصص كلية في توصيل عمل الآب والإبن!!

فالروح القدس هو هو الذي يجعل المسيح وكل ما للمسيح من موت وقيامة وحياة، فينا ولنا مباشرة، ثم **هو هو «بالمسيح»** يجعلنا تحت أبوة الآب وسلطانه وحبه وتدبيره وكل عطاياه.

فـإذا كـانـت فـيـنـا عـلامـات وفـاعـلية موت المسيح الإرادي وقيامته دائساً الموت والـعـالم، وحـيـاته التي لا يشوبها الموت، فإن هذا يؤكد أن الروح القدس موجود وفعال فينا وأنه أكمل مشيئة الإبن تماماً.

كـذلـك فـإن كـانت فينا دالة البنوة لله الآب في الصلاة الحارة المنطلقة التي يلهبها

الحب الإلهي الأبوي، فإن الضمير يصرخ في حرارة الإيمان والحب «ياأبًا.الآب» بلا هوادة، وهذا معناه أن الروح القدس موجود وفعال وأنه قد أكمل مشيئة الآب فينا.

فالمسيح قدم لنا الفداء والخلاص بسفك دمه، ولكن الروح القدس هو الذي يورثنا هذا الفداء والخلاص ويجعله بسهولة فائقة حقاً لنا ونصيباً، ولكنه لا يورثنا هذا الفداء والخلاص على وثيقة مكتوبة بل برش الضمير بدم المسيح، وغسل الجسد بالمعمودية، وفعل المسحة السرائري، بتأثير وواقعية حسية، حتى أن الضمير يحس و يشهد بهذا و يفرح به، ثم يثق بنتيجته أعظم من أية وثيقة مكتوبة «لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير (الإعتراف والتناول) ومغتسلة أجسادنا بماء نقي، لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين» (عب ١٠: ٢٣).

ولكن حذار أن يتوهم أحد أن الروح القدس أو ثمار الروح القدس يمكن أن تُقتنى ببرنامج جهادات، أو يمكن أن تُرى أو تُعلن حسياً، لأن ثمار الروح القدس هي كطبيعته تماماً، غير منظورة، يُسمع صوتها ولكنك لا تعلم من أين تأتى ولا إلى أين تذهب، هي تُرى بالإيمان فقط وتُحَس بالإيمان فقط، إنما بيقين أشد من يقين الحواس الخمس مجتمعة معاً.

ولكن الروح القدس لا يكتفي **بهذا الفعل السرائري** الذي فيه ينقل لنا المسيح وكل ما للمسيح محبوساً في إحساس الضمير فقط، بل يسلط الروح القدس فعله السري في العقل فيعطيه مسحة عقلية أيضاً بواسطة الكلمة، فينيره. وهكذا يصير العقل شريكاً في إدراك عمل المسيح الذي مارسه الروح القدس داخل القلب والضمير. وهكذا يمسح الروح القدس **«العقل» و«الضمير»** معاً بمسحة روحية تحمل طابع وختم وصورة المسيح، «الذي فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم، الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس» (أف ١: ١٣).

كل هذا يعني أن المسيح وكل ما عمله المسيح من أجلنا يضطلع الروح القدس بتوريثه لنا في عمق أعماق كياننا الروحي الجديد، كختم ناري وصورة حية مطبوعة لا

تُمحى. ومن أجل هذا يُدعى الروح القدس هنا **«روح المسيح فينا»** (راجع غل ٤ : ٦).

ثم على نمط هذا العمل وهذه الصلة يورثنا الروح القدس علاقة الآب بالإبن، بصورة حية وفعالة في الضمير وفي العقل بأثر قوي أعظم مما تتركه النار في اللحم، حتى أننا نصرخ بملء اليقين والدالة ندعو الله الآب، بفم المسيح: «ياأبا. الآب». وهنا يُدعى الروح القدس **«روح الآب فينا»** (راجع مت ١٠ : ٢٠)، الذي به نصير أبناءً للآب بالتبني، وإخوة للمسيح بالنعمة.

هذا ما يقصده القديس كيرلس من تعبيره اللاهوتي الجزل والعميق: [كل شيء هو من الآب بالإبن في الروح القدس]، حيث بدون الروح القدس تنقطع هذه الصلة المتسلسلة من الآب إلينا، فلا شيء يصلنا بالإبن ولا شيء يصلنا من الآب.

وهكذا بدون الروح القدس سنظل ضالين وتائهين عن محبة الآب ونعمة الإبن، فلا فداء ولا خلاص ولا تبني ولا دالة ولا أي رجاء...

وما يقصده القديس كيرلس في لاهوته العقائدي عندما كرر عشرات المرات تأكيده أن [كل شيء هو من الآب بالإبن في الروح القدس] هو بعينه ما سبق وأكده المسيح إنما بصورة أخرى حينما قال عن الروح القدس: «إنه **لا يتكلم من نفسه** بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني لأنه **يأخذ مما لي ويخبركم (ويوصله لكم). كل ما للآب هو لي**، لهذا قلت إنه **يأخذ مما لي ويخبركم**» (يو ١٦ : ١٣ــ١٥).

وهذا يؤكد أن اهتمام الروح القدس الأساسي من نحونا وعمله الرسمي من جهة إقامته فينا، إنما هو محصور تماماً في تسليمنا وتوريثنا المسيح وكل ما عمله المسيح باسم الآب وبمشيئة الآب!!

* * *

هـذا المفـهـوم اللاهوتي العقائدي العميق الذي سجله اللاهوتيون للكنيسة، أدركه الآباء النساك بحسهم الروحي العميق، وخلصوا منه إلى أن الحصول على الروح القدس معناه بلوغ غاية كل شيء، فهو روح الإيمان بالآب والإبن، وهو روح الرجاء بالحياة الأبدية، وهو روح الحب الإلهي والدالة مع الله وكل مشيئة الآب والإبن. لذلك كان سعيهم الحار الملتهب وجهدهم ودموعهم وصومهم الليل والنهار لإقتناء الروح القدس والتودد إليه ــ كما سنعرضه عليك أيها القارىء من أقوالهم ــ أمراً يفوق الوصف والعقل، لأنهم تيقنوا أنه طالما لم يمتلىء المجاهد من الروح القدس، ويحس بعمله الداخلي من جهة الإحراق والتطهير، وغسل الضمير بالدم الإلهي، وانفتاح الذهن بمسحة النور الإلهي، لمعاينة نور مجد المسيح والآب من خلال كلمة الإنجيل؛ فعبثاً يجاهد! لأن المقابل الحتمي لعدم الإمتلاء من الروح القدس هو البقاء في الخطيئة والحرمان من كل محبة الآب ونعمة الإبن الوحيد.

لذلك فإن أوصاف الروح القدس في اللاهوت النسكي من خلال تطبيقاته العملية في حياة الآباء وأعمالهم وسلوكهم هو أعظم برهان لصدق أوصاف الروح القدس كما جاء في اللاهوت العقائدي المعتمِد على النصوص الإنجيلية.

كذلك ينبغي أن نعي جيداً مضمون وسبب أمر الرسول «امتلئوا بالروح» (أف ٥ : ١٨)، كأمر نسكي قائم على أساس عقيدي. فهنا الوصية جاءت بصيغة الأمر بالرغم من أنه عمل يفوق الإرادة و يعلو فوق كل محاولة أو جهد بشري. هذا يكشف عن سر لاهوتي هو وجود الروح القدس في النفس البشرية السابق على الملء، فلأن الروح القدس حاضر وموجود بفعل العماد وسر المسحة (الميرون)، أصبح من اللازم وعلى مستوى الأمر أن يعطَى الروح الموجود فينا فرصة للملء، أو أن نهيىء له الحرية للعمل بلا عائق حتى الملء!! علماً بأن الفعل «امتلئوا» كما جاء باليونانية هو في صيغة الأمر المبني للمجهول، بمعنى أن الروح هو الذي سيملأنا إذا أعطيناه الفرصة.

هكذا ننتقل دائماً من المنطوق النظري في اللاهوت العقائدي إلى التطبيق العملي في اللاهوت النسكي من جهة التعامل مع الروح القدس.

فاللاهوت العقائدي يقرر نظرياً أن الروح القدس هو فينا حتماً بسرَّي العماد المقدس والمسحة (الميرون)؛ ولكن تظل هذه الحقيقة كائنة بلا فعل ولا نحسها، وكأن الروح القدس بلا عمل ولا أثر، إلى أن يتدخل اللاهوت النسكي و يعطي الوصية «امتلئوا بالروح»، فنقع في الحال تحت التزام العمل باضرام هذه الموهبة بالجهاد النسكي وإخلاء العوائق أمام نار الروح القدس للتأجج!! وحينئذ نبدأ نحس بالروح وهو يغلي في صدورنا غلياناً.

هذا الإنتقال العجيب من مضمون اللاهوت النظري إلى فعالية اللاهوت النسكي يمكن وضعه كالآتى:

لأننا أخذنا الروح القدس بالميلاد من الماء والروح وبسر المسحة (الميرون) دون أن نشعر، أصبح يتحتم علينا أن نحيا به في ملء الوعي.

أو بصيغة أخرى:

لأن الروح القدس صار فينا بالسر حسب الإيمان والعقيدة، فنحن نؤمر أمراً من جهة الله بالإنجيل أن نمتلىء بالروح بالعمل. وهكذا فإن كل عطية من الله توهب لنا مجاناً بالإيمان تتحول فينا إلى التزام بعمل مكمل. وكل نعمة يتحتم أن تنشيء فينا نعمة أكثر حق الملء.

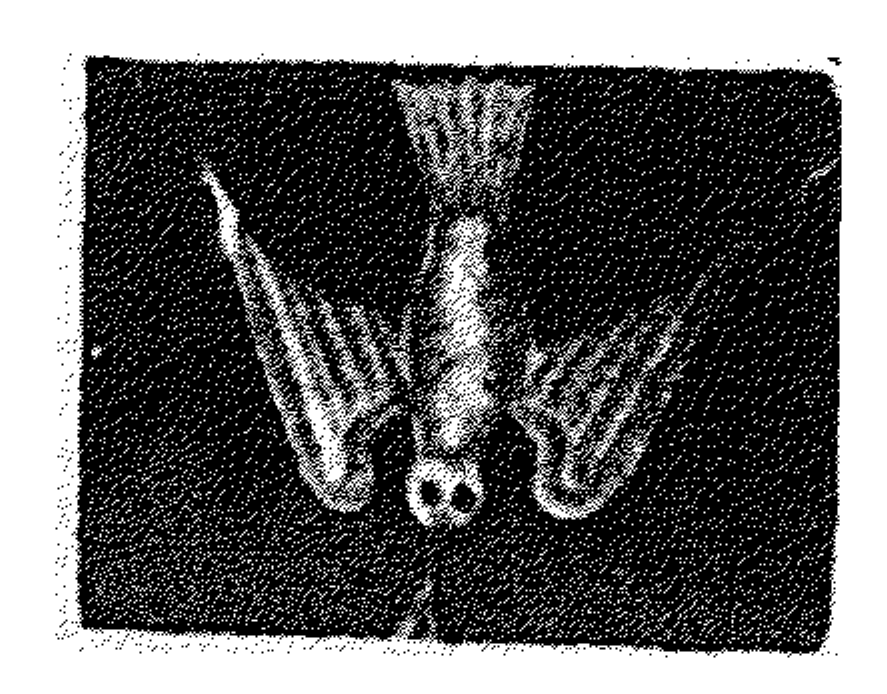
هذا هو في الواقع منبع اللاهوت النسكي، أي أن الإيمان العقائدي بالروح هو السبب أو المصدر السري العميق المحسوس والموجود في النفس الذي جعل الآباء يسرعون في الركض في ميدان الفضيلة والجهاد للإمتلاء و يستحثوننا بإلحاح لا يهدأ أن نتبع هذا الإتجاه.

على أن الملء من الروح القدس مهما قطعنا فيه من شوط، لا يمكن أن يبلغ في شعورنا إلى الإحساس بالإكتفاء، لأن كل ملء ينشيء فينا توتراً جديداً وإحساساً بالنقص بسبب الفارق الدائم بين الملء في الحاضر والملء المعدّ لنا كما ينبغي في المستقبل. علماً بأنه بقدر الملء من الروح القدس بقدر الملء من المسيح، لأنه كلما

أفسحنا للروح القدس مكاناً في القلب والحياة كلما أفسح الروح القدس فينا مكاناً للمسيح!! وهكذا يُستعلن المسيح في قديسيه بقدر طاقة القديسين على الملء من الروح!! وذلك بتهيئة القلب ليكون منزلاً مريحاً لإقامة دائمة له.

لذلك كم هو ثمين، كم هو ضروري، كم هو جوهري لخلاصنا وفرحنا أن نتبع القديسين في منهجهم النسكي مدققين جداً في كل نصيحة وكل كلمة من جهة الإمتلاء من الروح القدس، ونتبع بوعي وغيرة واهتمام لا يهدأ نصيحة الرسول: «اسلكوا بالروح (القدس) فلا تكملوا شهوة الجسد... لأن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات. فإن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً بحسب بالروح» (غل ٥: ١٦، ٢٤، ٢٥)، و«كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو٨: ١٤). أي نُسلِّم كل الفكر، كل الإرادة، كل المشورة، كل العمل للروح القدس ليقود الحياة برمتها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، مستخدماً ضعفنا وقوتنا، نجاحنا وفشلنا، صحتنا ومرضنا، ليوجه كل شيء نحو الغرض الذي من أجله «مات المسيح عنا وقام»:

«امتلئوا بالروح»!!



عرضٌ لأقوال الآباء النُسَّاك

الفصل الأول

الروح القدس
في تعاليم القديسين أنبا أنطونيوس وأنبا مقاريوس

عـنـدمـا نـقـرأ رسائل القديس أنطونيوس وعظات القديس مقاريوس، ندرك عمق العلاقة العملية التي تربط النفس البشرية بالروح القدس، وذلك من جهة طبيعة النفس الجديدة التي تنالها بالمعمودية.

كذلك ندرك أهمية عمل الروح القدس داخل النفس في صراعها اليومي ضد طبيعتها القديمة وضد العدو.

وفي النهاية نكتشف من أقوالهم الغاية السعيدة التي تبلغها النفس بدوام تعهد الروح القدس لها، وكيف يختمها في النهاية بخاتم العهد و يعطيها ميثاق الروح.

وسوف نعرض لهذه النواحي الثلاث باختصار، وذلك من أقوال الآباء، مع تعليق بسيط، حتى لا يفوت القارىء عمق المعنى وجمال المقصد، عسى أن يلتقط شيئاً لحياته من إلهامات هؤلاء القديسين العظام.

****

أولاً: عمق العلاقة التي تربط النفس بالروح القدس

(أ) علاقة الروح القدس بالنفس البشرية على نمط علاقة الروح القدس بالشاروبيم والساروفيم:

نقدم هنا للقارىء باديء ذي بدء ملخصاً لكل ما جاء عن الشاروبيم والساروفيم بحسب وصف الكتاب المقدس في سفري حزقيال وإشعياء وسفر رؤيا يوحنا اللاهوتي، ثم ما جاء عنهما في قداس القديس مرقس الرسول:

أولاً: الكاروبيم أو الشاروبيم: مفردها «كاروب»، وهم الأربعة الأحياء غير المتجسدين الذين رآهم حزقيال النبي في رؤياه [الأصحاح الأول كله، والثالث: ١٢، ١٣، ١٤، التاسع: ٣، والعاشر كله]:

١ ــ لكل واحد من الحيوانات الأربعة أربعة وجوه، وجه إنسان، ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر (حزقيال ١ : ١٠).

أما البكرات فلكل واحدة أربعة أوجه: الوجه الأول وجه كروب (ثور)، والوجه الثاني وجه إنسان، والثالث وجه أسد، والرابع وجه نسر (حز١٠ : ١٤).

ولكل واحد أربعة أجنحة (حز١٠ : ٢١).

٢ ــ وشبه يد إنسان تحت أجنحتها، وهي متصلة ببعضها، وفيها روح (حز١٠ : ٢١).

٣ ــ كل جسمها وظهورها وأيديها وأجنحتها والبكرات ملآنة عيوناً حواليها (حز١٠ : ١٢).

٤ ــ وسُمع صوت أجنحة الكاروبيم كصوت الله القدير إذا تكلم (حز١٠ : ٥).

٥ ــ منظرها كجمر نار متقدة كمنظر مصابيح، وللنار لمعان، ومن النار كان يخرج برق (حز١ : ١٣).

٦ ــ وإلى حيث يسيِّرها «الروح» تسير، لأن «الروح» يسيِّرها حسبما يشاء (حز١ : ٢٠).

٧ ــ وإذا وقفت أرخت أجنحتها (حز١ : ٢٤).

٨ ــ وفوق المقبب الذي على رؤوسها شبه عرش بلون حجر العقيق الأزرق (حز١ : ٢٦).

٩ــ وعلى شبه العرش من فوق يجلس شبه إنسان (المسيح) منظره من حقو يه إلى فوق كالنحاس اللامع المتقد بالنار، ومن حقو يه إلى تحت كمنظر النار في وسط قوس القزح في اليوم المطير كمنظر شبه مجد الرب (حز١ : ٢٦ــ٢٨).
١٠ ــ ولما رأيته خررت على وجهي!! (حز١ :٢٨).

ثانياً: الساروفيم: ومفردها صاروف (كلمة عبر ية تعني الملتهب ناراً). وهم الأحياء غير المتجسدين الذين رآهم إشعياء النبي (الأصحاح ٦) وهم الواقفون حول الله من فوق:
١ ــ لكل واحد منهم ستة أجنحة، بإثنين يغطي وجهه، و بإثنين يغطي رجليه، و بإثنين يطير.
٢ ــ هذا ينادي ذاك و يقول: «**قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض**».
٣ ــ الساروفيم ليسوا متصلين ببعضهم، لأن كل ساروف يستطيع أن يطير بمفرده «فطار إليَّ واحد من الساروفيم و بيده جمرة أخذها بملقط من على المذبح ومسَّ بها فمي وقال إن هذه مسّت شفتيك فانتُزِع إثمك وكُفِّر عن خطيتك» (إش٦ : ٦، ٧).

ثالثاً: الأربعة الأحياء غير المتجسدين كما جاء في سفر الرؤيا: وفي الواقع أن رؤيا يوحنا تجمع بين شارو بيم حزقيال النبي وساروفيم إشعياء النبي، سواء في وصف تكوينها أو في خدمتها. حيث يلاحظ القارىء أنها تظهر بمظهر الشارو بيم وتؤدي خدمة التقديس العظمى التي للساروفيم.

١ ــ وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات (الشارو بيم والساروفيم معاً).
٢ ــ مملوءة عيوناً من قدام ومن وراء (صفة الشارو بيم).
٣ ــ الحيوان الأول شبه أسد، والحيوان الثاني شبه ثور، والحيوان الثالث له وجه مثل وجه إنسان، والحيوان الرابع شبه نسر طائر (صفة كل كاروب).
٤ ــ والأربعة حيوانات لكل واحد منها ستة أجنحة حولها، ومن الداخل مملوءة عيوناً (صفة الساروفيم).

٥ ــ ولا تزال نهاراً وليلاً قائلة قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شيء (الضابط الكل)، الذي كان والكائن والذي يأتي (وهذه خدمة الساروفيم).

رابعاً: الشاروبيم والساروفيم كما جاء في قداس القديس مرقس الرسول: وهنا تجمع الكنيسة بروح مار مرقس كل ما جاء عن الشاروبيم والساروفيم في حزقيال النبي وإشعياء النبي وسفر الرؤيا، حيث تقدم لنا الشاروبيم والساروفيم باعتبارهما إثنين عدداً.

[«حيوانـاك الكريمان جداً» ذوا الستة الأجنحة، والكثيرا الأعين، بجناحين يغطون وجوههم من أجل لاهوتك الذي لا يستطاع النظر إليه ولا التفكر فيه، و بإثنين يغطون أرجلهم، و يطيرون بإثنين.

والكل يقدسك على الدوام.

ولكن مع الكل الذي يقدسك اقبل تقديسنا منا **نحن أيضاً** يارب، إذ **نسبحك معهم** قائلين: قدوس قدوس قدوس رب الجنود السماء والأرض مملوءتان من مجدك المقدس...].

(القداس الكيرلسي).

وهكذا في نهاية هذا التسلسل الرؤيوي التقليدي الذي استغرق هذا الزمان كله منذ أيام إشعياء وحزقيال وحتى إلى القداس وسفر الرؤيا (بحسب التسلسل الزمني)، تنتهي هذه الرؤيا السرية العجيبة بهذا التطابق المدهش بين الخلائق السمائية المسبِّحة و بين الكنيسة ــ و بالتالي النفس البشرية ــ باعتبارها «مخلوقاً منوطاً به تسبيح الله» على غرار الشاروبيم والساروفيم، تماماً بل و بتوازي يكاد التطابق بينهما يجعل منهما صفين لخورس واحد، الواحد سمائي والآخر أرضي [اقبل تقديسنا منا **نحن أيضاً** يارب إذ **نسبحك معهم** قائلين (نفس التسبحة بحروفها) قدوس قدوس قدوس رب الجنود، السماء والأرض مملوءتان من مجدك المقدس].

هذا التطابق الوظيفي في العمل الروحي الفائق بين الشاروبيم والساروفيم و بين

النفس البشرية في تسبيح وتقديس الله، لا يقف في نظر الآباء النساك العظام وبالأخص القديس أنطونيوس والقديس مقاريوس الكبير عند محيط العمل الواحد فقط، بل يمتد بصورة عميقة وسرية للغاية ليشمل **تطابقاً في علاقة الروح القدس بين الشاروبيم والساروفيم والنفس البشرية من جهة الخلقة وتدرجها على الوجوه الأربعة.** فيرى القديس أنطونيوس أن النفس البشرية متدرجة في نموها الروحي وبفعل الروح القدس من الثور الذي يرمز إلى الإجتهاد، إلى الأسد الذي يرمز إلى النصرة على الأعداء، إلى النسر الذي يرمز إلى التسامي النهائي نحو أعلى السموات برفع الروح القدس (الرسالة ١٩ ـــ ص ١١٧، ١١٨).

أما القديس مقاريوس فيرى أن نفس رؤيا حزقيال النبي كانت في حقيقتها ليست نهائية في حد ذاتها، بل كانت ترمز أساساً إلى خلقة النفس البشرية. كما يركز بصفة خاصة على العلاقة التي ظهرت بين روح الله والشاروبيم أنها ترمز إلى نوع العلاقة الكائنة الآن بين النفس البشرية والروح القدس. لذلك فنحن نعتبر أن العظة الأولى من العظات الخمسين التي للقديس مقاريوس والخاصة بتطبيق الأوصاف الخلقية التي للشاروبيم على النفس البشرية، من العظات الهامة جداً في اللاهوت النسكي.

يقول القديس مقاريوس:

[إن حزقيال النبي المبارك رأى من الله رؤيا جليلة... وهي رؤيا مشحونة بالأسرار الفائقة الوصف. الكاروبيم وهي أربعة حيوانات روحانية حية لكل منها أربعة وجوه مختلفة... **فهذا الذي رآه النبي بصحة الوجود كان حقاً أكيداً، ولكن الشيء الذي يدل عليه، أي الذي سبق فكان ظلاً له مقدماً هو شيء آخر، هو مادة سرية إلهية، وهو السر الذي كان مخفياً بالمعنى الحقيقي عن العصور والأجيال السالفة، وهذا ظهر عند مجيء المسيح، لأن السر الذي رآه هو النفس الحليمة لكونها ستقبل مولاها فيما بعد وتصير هي ذاتها كرسياً لمجده. لأن النفس التي تستحق أن تشترك في روح نوره وتستنير بحسن مجده الذي لا يوصف لكونه هيأها بهذا الروح**

لتكون مقراً له ومسكناً، تصير كلها نوراً وكلها وجهاً وكلها عيناً[1]. وليس فيها جزء إلا ويكون مملوءاً من أعين النور الروحانية، يعني ليس فيها جزء مظلم بل هي بكليتها تصير نوراً وروحاً وتمتلىء كلها عيوناً فلا يكون لها دبر (مؤخرة) ولا شيء من وراء (خلف) بل تظهر كلها وجهاً بحسن مجد نور المسيح الراكب والجالس عليها...

هكذا النفس التي تستنير بحسن المجد الذي لا يوصف، حسن مجد النور الذي لوجه المسيح، وتشترك في الروح القدس بالكمال، فتُحسب أهلاً لأن تكون مسكن الله وكرسيه، والمسيح نفسه قائدها وسائقها وحاملها وساندها يزينها بالجمال الروحاني، لأن الكتاب يقول: «ويد الإنسان من تحت الكاروب» أي المسيح الذي يركبها ويهديها طريقها... ويقودها بزمام الروح.

أما الأوجه الأربعة (الحيوانات الأربعة) أي النسر والأسد والثور والإنسان، فهي رمز لقوات النفس الناطقة.

أما أجسادنا فستكرم أيضاً في القيامة **بعد أن تكون النفس قد تمجدت على الأرض وامتزجت بالروح القدس].**

(العظة الأولى).

وقد يبدو تشبيه النفس البشرية بالشاروبيم، كما يقدمه القديس أنبا مقار، بسيطاً، ولكنه في الحقيقة عميق عمقاً بلا حدود. فالأمر غاية في الدقة والأهمية، لأنه يعتبر أن النفس البشرية خُلقت أصلاً لتكون على رتبة الشاروبيم، أي لتكون مسكناً وعرشاً لله ليستريح فيها الله، وفي نفس الوقت يلزم بالتالي أن تكون طيِّعة في حركتها تتحرك وفق مشيئة الله لتكميل مقاصده. وهذا إن كنا وجدناه في حالة الشاروبيم من جهة عمل روح الله، حيث كثرة الأعين في الشاروبيم ترمز إلى كثرة الإستنارة

---

(1) يقصد القديس أنبا مقار أن النفس تصير بشركتها في الروح القدس منيرة مثل الشاروبيم (كلها نور)، وتصير لها أعين كثيرة أي ملآنة أعيناً (كلها عيناً) كناية عن المعرفة والإستنارة، وتصير بدون مؤخرة مثل الشاروبيم أي لا شيء مخفي عن عينيها وعن الله مثل الشاروبيم (كلها وجهاً!!).

والمعرفة، واللمعان والنار يرمزان إلى حرارة الروح والغيرة المقدسة، والأجنحة ترمز إلى الخفة والقدرة على التسامي والإرتفاع، وتغطية الوجه بالجناحين ترمز إلى خشية الله ومخافته الكاملة، وتغطية الأرجل ترمز إلى التعفف والحشمة، ثم بعد ذلك كله فإن الحركة وتوجيهها في الشاروبيم هما من عمل روح الله كلية، و يد الإنسان التي تحت الكاروب إشارة إلى عمل المسيح. كل هذا نجده يتم حرفياً في النفس البشرية.

فلكي تصير النفس البشرية مسكناً وكرسياً لله، يتحتم أن تتقد بنار الروح القدس، لتصير قادرة بالفعل على كل عمل صالح، وتجسر على أعمال الإيمان والشهادة العالية، ثم يتحتم أن تنفتح بصيرة النفس انفتاحاً كاملاً لتدرك كل أمور الله ولا يخفى عليها شيء، بل تصير وكأنها كلها عين ونور. كذلك يتحتم أن تخفَّ النفس ولا تعود ترتبط بأمور الأرض، بل يكون لها مطلق الحرية أن ترتفع وتعيش في جو الروح بلا عائق، أي تصير وكأن لها أجنحة للطيران السريع الحاد؛ كذلك من جهة تغطية الوجه تعبيراً عن خشية النفس من الله التي هي بمثابة تغطية جزئية لئلا تنعمي البصيرة من بهاء مجد الله، كذلك من جهة تغطية الأرجل التي هي بمثابة العفة ومتطلباتها الدائمة مهما كان سمو النفس وارتفاعها.

وهكذا نرى أن للروح القدس عملاً في النفس البشرية غاية في الأهمية وغاية في الدقة، وهو عمل لابد أن يكون متكاملاً من كل الوجوه، وإلا فلا تتأهل النفس البشرية لسكنى الله أو احتماله، وهذا كله قد استوفاه القديس أنبا مقار على مدى الخمسين مقالة.

و يقيناً أن شرح القديس أنبا مقار لهذه العلاقة الصميمية الكائنة بين الشاروبيم والنفس البشرية وعمل الروح القدس فيهما هو جدير بالدراسة الجادة، لأن التقليد الليتورجي ألزمنا بهذا حينما جعل تسبحة الشاروبيم في قمة صلاة الإفخارستيا، عندما وضع تسبحة الشاروبيم في فم الكنيسة قبل قراءة الإنجيل مباشرة (مواجهة حضور «الكلمة») وقبل الصلاة التأسيسية لتحويل الخبز والخمر إلى سر الجسد والدم (مواجهة حضور المسيح)، حيث ينبهنا الطقس إلى أن النفس البشرية قد صارت

بالفعل مؤهَّلة في هذه اللحظات لحمل المسيح، بطبيعتها الجديدة، ولتسبحة الشاروبيم بالدرجة الأولى باعتبارها حاملة للكلمة ولطبيعة اللاهوت، لكونها صارت مسكناً لله!!

ويبدأ القديس أنبا مقار يوضح علاقة النفس البشرية مع الروح القدس على أساس ما هو قائم بين الروح والكاروبيم في رؤيا حزقيال ١ : ٢٠ : «**وكان الروح في البكرات**» باعتبار أن رؤيا حزقيال عن الكاروبيم الحامل لعرش الله كانت رمزاً للنفس البشرية التي ستصير مسكناً لله.

يقول أنبا مقار:

[كذلك النفس التي تستنير بحُسن المجد الذي لا يوصف، حُسن مجد النور الذي لوجه المسيح، **وتشترك في الروح القدس** بالكمال وتُحسب أهلاً لتكون مسكناً لله وكرسياً له، حيث تصير كلها عيناً وكلها نوراً وكلها وجهاً وكلها مجداً وكلها روحاً. **والمسيح نفسه قائدها** وسائقها وحاملها وساندها، ويد الإنسان (المسيح) من تحت الكاروب يقودها بزمام الروح ويهديها في الطريق].

(العظة رقم ١٩).

[الرب يرسل **روحه الخفيف النشيط الصالح السماوي**، وبواسطته يخرج النفس التي غطست في مياه الإثم، **ويصيرها خفيفة ويرفعها على جناحه إلى أعلى السماء، ويغيِّرها من طبيعتها الأصلية تغييراً كاملاً**].

(العظة ٤٤ — ص٢٨٣).

وأيضاً:

[كذلك **النفوس المقدسة تنقاد وتهتدي في طريقها بروح المسيح إذ يرشدها إلى حيث يشاء.** فإن شاء، أقامت في التأملات السمائية؛ وإن شاء، لبثت في الجسد (الأعمال)؛ وإن شاء، لازمته في خدمته. لأنه كما أن أجنحة الطائر هي له بمنزلة الرجلين، كذلك **نور الروح السمائي يتخذ من الأفكار المناسبة أجنحة للنفس، ويهدي الطريق أمامها ويوجهها حيث يستحسن هو.**

فكلما سَمِعْتَ إذن هذه الأمور، افحص نفسك جيداً، إن كنت مالكاً إياها في روحك، فإن لم تكن مالكاً إياها بل تحتاج إلى مثل هذه الخبرات الروحانية العظيمة فسبيلك أن تكتئب وتحزن متلهفاً كمن هو منفصل عن الملكوت بالموت، وكمجروح أُصرخ إلى الرب واسأل بإيمان، ليصيِّرك حقاً أهلاً لهذه الحياة الحقانية].

(العظة الأولى ــ ص ١٤).

ويقول أنبا أنطونيوس:

[حركني الروح أن أكتب لكم عن الشاروبيم الذي نظره حزقيال النبي **الذي هو مثال لنفوس المؤمنين الذين يجاهدون وينالون الكمال.** هذا له أربعة أجنحة وهي مملوءة عيوناً، وله أيضاً أربعة وجوه ناظرة إلى الجهات الأربع...

فاعلموا إذن أن الوجه الأول من الشاروبيم، وهو وجه الإنسان، **رمز للمؤمنين** الذين في العالم العاملين بما يختص بهم من وصايا.

فإذا خرج أحد أولئك إلى شكل الرهبنة، فقد تشبَّه بوجه الثور، لأنه **يعمل ويجتهد في الوصايا** التي للرهبنة **والقتال المحسوس.**

فإذا كمَّل الجميع على ترتيبه، وخرج وسكن البرية، وتفرد في الوحدة **لقتال الشياطين غير المنظورين،** فقد تَشبَّه بوجه الأسد الذي هو سلطان الوحوش البرية.

فإذا غلب الأعداء غير المنظورين وتسلط على الأوجاع ومَلَكَها، فإنه يرتفع بالروح القدس وينظر للمناظر الإلهية ويتشبه بوجه النسر ويتم عليه المكتوب: «يتجدد شبابك مثل النسر»، ويكون عقله حينئذ يفرز ما يأتيه من ستة جهاته. **فيتشبه بتلك الأجنحة الأربعة المملوءة عيوناً ويصير شاروبيماً روحانياً].**

(الرسالة ١٩ ــ ص١١٧، ١١٨، ١١٩).

وهنا ننبه ذهن القارىء إلى أن هؤلاء الآباء العظام لا يشبِّهون نسبة الروح القدس للنفس بما هو حادث في الشاروبيم، بل يؤكدون **أن النفس البشرية أصبحت هي**

الشاروبيم الجديد في العهد الجديد، وذلك بسبب سكنى الروح القدس وقيادته الإلهية للنفس السعيدة: «أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١كو٣: ١٦). لذلك نجدهم يلحُّون إلحاحاً شديداً علينا أن نجتهد غاية الجهد للحصول على فاعلية الروح القدس وحرارته وقيادته لحياتنا باعتبار أن هذا يحدد تحديداً قاطعاً إن كنا نصلح أن نكون هيكلاً لله وروح الله يسكن فينا.

(ب) علاقة الروح القدس بالنفس، على أساس الطبيعة النارية التي للروح القدس:

أولاً ــ وهنا يشرح الآباء كيف أن هذه الطبيعة النارية تستمد النفس منها، بالإتحاد والعشرة، قدرة على الإرتفاع نحو الله، **فتصير طبيعة الروح القدس النارية بمثابة أجنحة روحانية غير منظورة للنفس، تمنحها قدرات وكفاءات جديدة للسمو بالحياة كلها.**

ثانياً ــ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن **هذه الطبيعة النارية التي للروح القدس، المعبَّر عنها في الكتاب: «إلهنا نار آكلة»** (عب١٢: ٢٩)، **متى دخلت النفس وتفاعلت معها واشتعلت النفس بها، فإنها تصبح طبيعة جديدة للنفس البشرية، طبيعة حارقة للأفكار الشريرة بل وحارقة للشياطين أنفسهم. هذا الذي نسمع عنه في قصص بعض الآباء كيف كانت صلواتهم من القوة لدرجة أنها كانت تحرق الشياطين فيصيروا أمامهم بشبه الدخان.**

١ ــ يقول أنبا أنطونيوس:

[وتشبه النفس التي تسكنها نار الله وحرارة الأعمال الصالحة التي اشتعل بها قلبها، تشبه طيراً ذا جناحين يطير بهما مرتفعاً في السماء، **فأجنحة النفس المتعبدة لله هي قوة نار الله التي تطير بها النفس إلى العُلا. فإذا عدمت هذه النار، لا يصير لها استطاعة للإرتفاع، كالطير الذي نُزع جناحه!! فلا تدعوا قوة هذه النار تُنزع منكم، لأن حروباً كثيرة كائنة لكم من**

الشيطان لأجل هذه النار المعطاة لكم من الرب لكي ينزعها منكم. لأنه يعلم أنه لا قدرة له عليكم ما دامت نار الله فيكم... لهذا يقاوم بشدة النفوس المتعبدة لله عبادة حسنة بأوجاع كثيرة يلقيها في النفس ليطفىء هذه النار التي هي قوام كل فضيلة. فإذا انغلب الشيطان وارتد خائباً فإن روح الله يسكن فيهم، وإذا سكن الروح القدس فيهم يريحهم من جميع أعمالهم (جهاداتهم ضد الخطيئة)، ويجعل نير الله حلواً لديهم جداً، ويجعل فرح الله فيهم نهاراً وليلاً، و يربي عقولهم و يغذيها!!].

(الرسالة الثامنة عشر).

[**بذلك الروح الناري العظيم، هذا الذي قبلته أنا لتقبلوه أنتم أيضاً. وإذا أردتم أن تقبلوه و يسكن فيكم فقدموا أولاً أتعاب الجسد وتواضع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء في الليل والنهار، واطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري، وحينئذ يعطى لكم**، لأنه هكذا وصل إليه إيليا التسبيتي وإليشع وكافة الأنبياء. ولا تفكروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين وتقولوا من يقدر أن يقبل هذا؟ لا ياأولادي، لا تدعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم، **بل اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلونه. وأنا أيضاً أبوكم اجتهد معكم وأطلب لأجلكم أن تقبلوه**، لأني عارف أنكم كاملون وقادرون على قبوله، لأن كل من يفلّح ذاته بهذه الفلاحة فإن الروح يُعطَى له في كل جيل وإلى الأبد. وأنا أعرف أن أناساً قبلوه، ولما لم يكمّلوا هذه الفلاحة لم يثبت فيهم. فأما أنتم ياأحبائي الذين أشتهي أن أنظركم لأجل استقامة عقولكم، **أديموا الطلبة باجتهاد من كل قلوبكم فإنه يُعطَى لكم**، لأن ذاك الروح يسكن في القلوب المستقيمة. وإذا قبلتموه فإنه يكشف لكم الأسرار العلوية وأشياء أخرى لا أستطيع أن أعبّر عنها في قرطاس بقلم ومداد...].

[**وأما أنا فطلبتي الآن ليلاً ونهاراً ليكون فيكم عظمة ولذة هذا الروح الذي قد قبله جميع الأطهار.** وإني ياأولادي الأحباء بعد أن كتبت هذه الرسالة **تحرّك فيَّ روح الله** أن أكتب لكم عن هذا الروح الناري في آخرها

وعن المحبة الإلهية. وإذا أتيت إليكم بمعونة الرب، **عرَّفتكم أشياء أخرى كثيرة عن هذا الروح لكي تقتنوها جميعها.** وكما أقريتكم السلام في مبدأ هذه الرسالة كذلك أيضاً أقريكم السلام بمحبة الرب في آخرها **بهذا الروح الناري الذي قبلته أنا وإياكم بنعمة الرب. وأطلب إليكم أن تتركوا إرادتكم الحسية وتلزموا الهدوء بكل نوع، لكيما تسكن عندكم القوات العلوية بمؤازرة هذا الروح القدس** وتعينكم على العمل بإرادة الثالوث الأقدس الآب والإبن والروح القدس. له السبح دائماً سرمدياً إلى أبد الآبدين آمين].

(الرسالة الثامنة ــ ص ٥٠، ٥٢).

٢ ــ ويقول أنبا مقار:

[النفس إذا كان لها إقامة في شركة الروح القدس فإن طول إقامتها في نار الروح ونوره الإلهي يحصنها ضد أي مضرة من أي روح شرير، لأنه إذا اقترب من النفس فإنه يحترق بنار الروح السمائي].

(العظة ٣٠ ــ ص ٢٣٣).

[الرب يرسل **روحه الخفيف النشيط الصالح السماوي** وبواسطته يخرج النفس التي غطست في مياه الإثم ويصيِّرها خفيفة، ويرفعها على جناحه إلى أعلى السماء **ويغيِّرها من طبيعتها الأصلية تغييراً كاملاً**].

(العظة ٤٤ ــ ص ٢٣٣).

ويقول أنبا أنطونيوس:

[اجعلوا هذا الجسد الذي أنتم لابسونه مجمرة ترفعون فيها جميع أفكاركم ومشوراتكم الرديئة وتضعونها أمام الرب ليرفع قلوبكم إليه، وبسلطة العقل تطلبون منه أن **ينعم عليكم بإتيان ناره غير الهيولانية من العلا إليكم لتحرق كل ما في تلك المجمرة وتطهرها**].

(الرسالة السادسة ــ ص ٣٧).

(جـ) علاقة الروح القدس بالنفس من جهة تغلغله داخل جوهر النفس، وتأثيره المباشر على الأفكار، ثم تأثيره غير المباشر على الجسد.

يقول أنبا مقار:

[ريح الروح القدس الذي **ينسم على النفوس و ينعش** الذين هم في النور الإلهي، **و ينفذ في جوهر النفس كله وأفكارها**، وكذلك **يروِّح و يرطِّب أعضاء الجسد** براحة إلهية لا توصف].

(العظة الثانية ــ ص ٢٠).

(د) علاقة الروح القدس بالنفس علاقة التحام سري فائق الوصف.

فبالرغم من الإختلاف الكلي بين طبيعة الروح القدس وطبيعة النفس، إلا أنه يلتحم بها كخيوط النسيج المتداخلة من صنفين، والتي ترى وكأنها نسيج واحد متحد ملتحم له صفة الأقوى! هكذا يدخل الروح القدس داخل النفس، فيلاشي ما هو أضعف فيها و يعطيها الأقوى مما له.

يقول أنبا مقار:

[هذا معناه أن **النفوس التي تطلب ما ليس من طبيعتها، أي تقديس الروح**، فإن هواها كله يتعلق بالرب، إليه تسعى وتصلي، و به تنشغل أفكارها راذلة كل ما عداه. **لذلك تُحسب تلك النفوس أهلاً لنيل زيت النعمة السمائية**. وأما النفوس التي تبقى على طبيعتها، فإنها تهبط بأفكارها إلى الأرض، و بالأرض يكون همها وتصرفها، وتظن أنها تختص بالعريس فتتزين ببر الجسد، والحقيقة أنها غير مولودة من الروح من فوق كونها لم تنل دهن البهجة... **لذلك لا تقدر أن تنشغل بالحكمة الصالحة التي للروح، التي هي غريبة أصلاً عن طبيعتنا، أعني النعمة السمائية التي يلزم أن تكون ممزوجة في جبلتنا كالسُدّة مع اللحمة**، لنقدر أن ندخل سوياً مع الرب إلى العرس السمائي وننال الخلاص الأبدي].

(العظة الرابعة ــ ص ٢٩، ٣٠).

(هـ) علاقة الروح القدس بالنفس، وما ينشأ من دوام مواجهة النفس للقوة المؤثرة الفعالة للروح القدس وخصوصاً من جهة قساوة النفس البشرية وتصلُّبها، بسبب الجهل الناشيء من الخطية والتعدي؛ وتشبيه ذلك بانصهار الحديد عند تعرُّضه لنار شديدة ولمدة طويلة.

ثم كشف مدى التغير الكامل الذي يصيب الشخصية برمتها بعد أن يصيب الأعضاء عضواً عضواً.

يقول أنبا مقار:

[فكما أن الحديد إذا أُلقي في النار يتحول عنه الجوهر اليابس الذي لطبيعته ويصير ليِّناً بقدر مقامه في النار، كذلك النفس التي تنكر العالم وتعلق شوقها بالرب بالتفتيش الكثير والكد والجهاد، وتنتظره انتظاراً دائماً بالإيمان والرجاء **حتى تنال النار السمائية ومحبة الروح؛ حينئذ تنفك من محبة العالم وتفلت من كل فساد الأهواء، وتتغير طبيعتها من يبوسة الخطيئة** وتخضع للعريس السمائي بحب شديد لا يوصف].

(العظة الرابعة ــ ص ٣٤).

[النعمة حينما يلمحها الإنسان من على بُعْد، يفرح بها، **ولكن حينما تدخله القوة الإلهية وتمسك أعضاءه كلها وتستأسر قلبه ولُبَّه لمحبة الله، فإنه يتغيَّر ويصير شخصاً آخر**].

(العظة السابعة ــ ص ٥٩).

(و) علاقة الروح القدس بالنفس علاقة ثبوت ونمو كعلاقة الشجرة الناضجة بالتربة الجيدة على مجرى الماء، فهي علاقة قوية غير منظورة إلا من جهة نتائجها وثمارها العجيبة.

يقول أنبا مقار:

[إن كان أحد ليست **نعمة الله مغروسة فيه وثابتة فيه، حتى تصبح ماسكة بنفسه ليلاً ونهاراً كأنها طبيعة ثانية**، تهديه وتحثه وترشده إلى الأمور الصالحة؛

فعلى الأقل يلزمه التدقيق والخوف والإجتهاد والندم].
(العظة ١٦ ــ ص١٣٦).

(ز) العلاقة بين الروح القدس والنفس حينما تبلغ إلى مستوى الخضوع والألفة الكاملة، تكون كمحصلة طفل صغير عاجز محمول على ذراع رجل حكيم يسير به حسبما يرى و يشاء. وهكذا يصبح للطفل ــ أي للنفس العاجزة ــ قدرات وإمكانيات ومواهب الروح القدس، وكأنها لها خاصة. كما يلغي الروح القدس كل ما يشاء من عجز النفس، و يصححها كما يريد.

يقول أنبا مقار:

[**وهذه الأشياء تتم في النفس بفعل الروح وكأنها ناشئة من الطبيعة نشوءاً خالصاً**، كمثل طفل على ذراع رجل يحمله حيث يشاء، **هكذا النعمة تعمل في النفس، تحمل العقل وترفعه إلى السموات وإلى الراحة الأبدية**].

(العظة ١٦ ــ ص١٤٠).

[ليس ممكناً للنفس أن تعبر من ذاتها من بحر الخطية المرّ وتجوز هوّة قوات الظلمة الصعبة، إلا إذا نالت روح المسيح اللطيف السمائي، الذي يمكنه أن يعبر بها وسط قوات الشر؛ **فإنه بواسطة هذا الروح يمكنها أن تصل إلى ميناء الراحة السمائية**].

(العظة ٤٤ ــ ص٢٨٣).

(ح) العلاقة بين الروح القدس والنفس في حالة سكنى الروح الدائم هي بمثابة حصول النفس على أعظم كنز للخيرات السمائية، فتصير في أوج الغنى وكأنها استؤمنت على كل ما لله، تأخذ وتعطي بلا حساب. أما بدون الروح القدس فالنفس مهما حاولت التظاهر بالغنى، فهي الشقية والبائسة والفقيرة والعريانة، تتحدث عن الغنى وهي تتضور جوعاً، وتبشر بالسعادة وهي في البؤس تقيم، وتتباهى بالحلل النورانية وعريها منظور لدى كل السمائيين.

يقول القديس أنبا مقار:

[الذين من الله يطلبون فيجدون كنز الروح القدس السماوي ، يضيء الله قلوبهم فيكملون بر الفضائل وغاية الصلاح الذي في وصايا الرب... بمساعدة غنى النعمة غير المنظور فيهم . من أجل هذا يقول الرسول «لنا هذا الكنز في أوان من الخزف» (٢ كو٤ : ٧) . أي لما كانوا في الجسد حُسبوا أهلاً لأن يمتلكوا في باطنهم قوة الله المقدسة (أف٣ : ١٦) . **فكل من امتلك هذا الكنز السماوي وامتلكه في باطنه ، أي كنز الروح القدس ، فإنه يصير قادراً أن يكمّل في روحه (مت٣ : ١٥) بر الوصايا وعمل الفضائل ، بنقاوة وبدون عيب وبلا اغتصاب أو صعوبة .** فلنتوسل إلى الله ونطلب منه باجتهاد ونتضرع بانسكاب لكي يهبنا مجاناً كنز روحه القدوس ، لكي بذلك نستطيع أن نسير في جميع وصاياه بدون لوم ولا عيب ونكمل بر الروح].

(العظة ١٨ ــ ص١٥٢) .

[المسكين العريان الفقير يهلك من الجوع إذ ليس له ما يبتاعه ، أما من كان ذا خزائن وأموال فإنه بسهولة وبلا تعب يتسلط على أي شيء يمتلكه ــ كذلك النفس العريانة المحرومة من شركة الروح القدس ، تكون في شدة الخطية القاسية ، ومهما حاولت فإنها لا تثمر ثمرة واحدة من ثمار بر الروح بالحق ، **إلا إذا حصلت أولاً على شركة هذا الروح ذاته...**].

(العظة ١٨ ــ ص١٥٣) .

[لذلك يجب على كل واحد أن **يغصب نفسه على التوسل إلى الله لكي يُحسب أهلاً لنوال كنز الروح القدس السماوي** ، حتى يقدر أن يتمم وصايا الرب بطهارة بلا تعب أو صعوبة أو عيب ، **الأمر الذي لا يمكنه أن يتممه بدون كنز الروح حتى ولو بالإغتصاب ، لأن النفس إذا كانت محرومة من شركة الروح القدس ، كيف تقدر أن تحصل على أعمال وغنى الروح ؟**] .

(العظة ١٨ ــ ص١٥٣) .

[الإنسان الغني عندما يريد أن يصنع وليمة فاخرة لضيوفه ، يأخذ الأموال من

خزائنه و يعدُّ لضيوفه بالعز والفخر؛ أما الفقير فإنه إن أراد ذلك، يستعير كل شيء حتى المائدة والأواني، فإذا انتهت الوليمة يرد لكل إنسان ما اقترضه منه و يعود فقيراً كما كان... **هكذا الأغنياء بالروح القدس الذين عندهم الغنى السماوي وشركة الروح مع نفوسهم**، إذا تكلموا بكلام الحق و وعظوا الآخرين بالأقوال الروحانية، فإنما يصدر هذا من ذخيرتهم الروحية التي حصلوا عليها، **ولا يخشون الضلال، لأنهم حائزون على الكنز السماوي الذي منه يُخرجون الصلاح و يُعزُّون بالروح، و يُحيون نفوس سامعيهم «وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة»** (١كو٢: ٤)؛ أما الفقير الذي لا يملك غنى المسيح، ولم تمتلك نفسه الكنز الروحاني الذي ينبع الصلاح بالأقوال والأعمال والأفكار والأسرار الروحانية التي لا توصف؛ فإذا شاء هذا أن ينطق بالحق ليعزي سامعيه، وهو لم ينل قوة كلمة الله ولا امتلك الحق في باطنه، فإن يقتبس آيات من الكتاب المقدس أو مما سمعه من الروحانيين يتذكرها و يرويها و يعلّم بها، فيظهر وكأنه يعزّي سامعيه وهم ينتفعون مما ينطق به، ولكنه حينما ينتهي مما يرويه (نقلاً عن الآخرين) يعود هو إلى فقره وعُريه (جا١٢: ٧). هذا لأن ليس له كنز الروح كاقتناء يقتنيه لنفسه حتى يأخذ منه و ينفع ويحيي الآخرين، **لأنه هو لم يحيا أولاً ولا قبل الروح القدس وابتهج به!**].

[هذا يوجب علينا أن نطلب من الله باجتهاد قلب وإيمان، **حتى يهبنا أن نجد في قلوبنا هذا الغنى، أي كنز المسيح، بقوة الروح القدس وفاعليته**، حتى إذا قبلنا نحن منه أولاً ما هو لفائدتنا أي الخلاص والحياة الأبدية والرب نفسه، حينئذ نستطيع أن نفيد غيرنا (لو٢٢: ٣٢)].

(العظة ١٨ ــ ص١٥٢ ــ ١٥٥).

[وأخص كل شيء هو المداومة في الصلاة، ولكن يوجد أمر ضروري وهو أن **يحصل الإنسان على كنز حياته في نفسه وفي عقله، وهو الرب، حتى إذا كان يشتغل أو يصلي أو يقرأ يكون حاصلاً على ذاك الذي لا يزول وهو**

الروح القدس].

(العظة الثالثة ــ ص٢٣).

(ط) العلاقة بين الروح القدس والنفس من كثرة الإلتحام ودوام فاعلية الروح في النفس، وهي تشبه الحجر المسامي، لما يتشبع بالماء و يتخلله الماء باستمرار ويحيط به من كل الجهات، فإن الماء يخرج منه وكأن الحجر صار ينبوع ماء؛ هكذا النفس الصلفة الجافة الجامدة تصير بدوام فعل الروح القدس ينبوعاً تجري منه أنهار ماء حي!!

يقول أنبا مقار:

[وهكذا **ليس لفاعلية الروح القدس في النفس انقطاع، بل من فعل إلى فعل، حتى تصل النفس إلى كمال الروح و يتم تطهيرها من أهوائها الفاسدة وتتحد بالروح المعزي بألفة لا توصف، وتختلط بالروح تماماً، وتُحسب النفس أهلاً لأن تصير روحانية في ذاتها بهذا الإختلاط.** وكالحجر في وسط المياه، هكذا **هذه النفوس تصير مغمورة بالروح القدس متشبهة بالمسيح نفسه،** حيث تكون حاصلة في باطنها على فضائل قوة الروح بلا تغيير و بلا عيب من داخل ومن خارج، لأن الروح يكون قد أتى بهم إلى الكمال].

(العظة ١٨ ــ ص١٥٧، ١٥٨).

(ي) العلاقة بين الروح القدس والنفس، علاقة تحننية فائقة العطف.

فالروح القدس وهو القداسة والنور والمجد لا يطيق أن يبقى بلا عمل إزاء النفس العارية المفضوحة بنجاساتها وظلمتها وخزيها وعارها، **فهو إذ يحتويها يغطيها بمجده** وقداسته الفائقة، وهكذا تلبس النفس النور والمجد الإلهي والبهاء والقداسة والبر، إذ تلبس الروح القدس. ولكن كل هذا على أساس شرط غاية في الأهمية، وهو أن تدرك النفس أنها هي الشقية والبائسة والفقيرة والعريانة فعلاً، وتطلب من جرّاء خشيتها العظمى لله أن يغطيها برحمته!!

يقول أنبا مقار:

[إن كان أحد عرياناً من **الملابس الإلهية السمائية التي هي قوة الروح القدس،** كما قال بولس الرسول: «إن كان أحد ليس فيه روح المسيح فهو ليس من خاصته» (رو٨: ٩)، فعليه أن يبكي و يتوسل إلى الرب حتى ينال الثوب الروحاني الذي من السماء و يأخذ غطاءً لنفسه العارية، العارية عن القوة الإلهية، لأن **كل من هو غير مكسي بكساء الروح القدس فهو مكسو بالعيب، عيب الشهوات الدنية.**

إن كان أحد يوجد عرياناً في وسط الناس، يحل به خزي عظيم وفضيحة، ويهرب منه حتى أصدقاؤه وأقاربه، **كذلك ينصرف الله عن النفوس غير المكسية بلباس الروح القدس، كونها لم تلبس الرب يسوع في ملء ثقة الإيمان بالقوة والحق.**

الإنسان الأول لما رأى نفسه عرياناً خجل، فما أعظم فضيحة العري الجسدي، ثم كم بالحري تكون النفس العارية عن القوة الإلهية، التي لم تكتسِ بعد بلباسها الأبدي الروحاني غير الموصوف، الرب يسوع، بل تظل في شهوتها الفاضحة.

كل من كان عرياناً غير مكتسي بالمجد الإلهي، عليه أن يستحي و يقر بفضيحته، كما استحى آدم من عري جسده، حتى و بعد أن ستر نفسه بورق التين، فلم يزل خجله يلازمه، لعلمه بفقره وعريه الحقيقي (إلى أن جاءه المسيح)، هكذا فلتطلب النفس من المسيح حتى يكسوها بمجده، دون أن تحاول أن تعمل لنفسها غطاءً مزيفاً من أعمال برها، مدّعية أن عليها لباس الخلاص (إش٦١: ١٠)، لأن من استند على برّه دون برّ الله (رو١٠: ٣، ٤)، أي المسيح الذي صار لنا من الله براً وخلاصاً وفداء (١كو١: ٣٠)، فإن برّه (الذي يستتر به) يصير في اليوم الأخير ظاهراً كخرقة دنسة (إش٦٤: ٦)].

(العظة ٢٠ ـــ ص١٦٥ ـــ ١٦٧).

[إذا بقيت الطبيعة البشرية عريانة بذاتها **ولم تقبل عشرة الطبيعة الإلهية والإمتزاج بها**، فإنها تبقى ذليلة ولا يستقيم حالها أبداً، لأن النفس دُعيت لتكون **هيكلاً** لله و**بيتاً** له **وعروساً**... **فإذا قبلت نفسك الروح السمائي وعاشرته، ودخل هو إلى نفسك، فحينئذ تصير رجلاً كاملاً لله وإبناً وارثاً**].

(العظة ٣٢ــ ص٢٤٣، ٢٤٤).

[يقول الرسول (٢ كو ٥ : ٣) : «إن كنا لابسين فلا نوجد عراة»، **يعني لا نوجد مجردين من شركة الروح القدس وعشرته**، الذي فيه وحده تجد النفس المؤمنة راحتها. ولأجل هذا يتشجع المسيحيون العائشون بالحق والقوة و يفرحون عند خروجهم من الجسد، لأن لهم **هذا البيت الذي لم تصنعه أيدي، وهو قوة الروح الساكن فيهم**، فإذا نُقض بيت الجسد، لا يخافون، لأن **لهم البيت السماوي**، **بيت الروح** والمجد الذي لا يفسد].

(العظة الخامسةــ ص٤٨، ٤٩).

(ك) العلاقة بين الروح القدس والنفس، لا تبلغ إلى مستوى اللبس فحسب، بل إن الروح القدس وهو اللؤلؤة الكثيرة الثمن يهب ذاته للنفس البشرية، فتبدو النفس، وهي متكللة بالروح القدس، وكأنها حاملة لعلامة وختم الملوكية. فتُحسب من ذرية الملك السمائي.

يقول القديس أنبا مقار:

[اللؤلؤة التي في تاج الملوك ليس لأحد غير الملك أن يتقلدها، **كذلك الإنسان إن لم يولد من الروح القدس الملك السمائي فيصير من الذرية السماوية الملوكية** (أي إبناً للملكوت) وإبناً لله، فلا يقدر أن يلبس هذه اللؤلؤة السمائية الكثيرة الثمن، أي الرب. أما الذين أُعطوا سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، **فهؤلاء** عندهم اللؤلؤة يلبسونها، ويحيون، ويملكون مع المسيح إلى الأبد، كما قال الرسول: «لأنه هكذا كما لبسنا صورة الأرضي نلبس أيضاً صورة السماوي»

(١ كو١٥: ٤٩)].

(العظة ٢٣ — ص ١٧٤).

(ل) العلاقة بين الروح القدس والنفس، علاقة تطهير عميق وفعّال كالملح المعقّم بالنسبة للحم الطري. وهذا الفعل العميق والسري ألمح الله إليه لما طالب في الناموس قديماً أن تملّح كل ذبيحة بملح، حتى تصير مقبولة أمام الله.

وقد نبّه الرب يسوع كثيراً إلى معنى الملح الروحي. لعلنا ندرك معناه على المستوى النسكي والعملي.

يقول أنبا مقار:

[إن كان أحد عنده كمية من اللحم وتغافل عنها ولم يضع فيها ملحاً، فلابد أنها تنتن، كذلك الطبيعة البشرية فهي بمثابة اللحم، أما الملح فهو الطبيعة الإلهية التي للروح القدس؛ فإذا لم يُخلط الطبيعة البشرية بملح اللاهوت الصالح المقدس، فلا يمكن للنفس البشرية أن تخلو من عفونة الخطية... أما بدون مساعدة الروح القدس فهما جاهدت النفس فإنها تضل ضلالاً عظيماً، لأن مثل هذه النفس لا تكون أصلاً أهلاً للأماكن السمائية، أي الملكوت (يو١٤: ٢، أف٢: ٦)].

(العظة ٢٤ — ص١٧٨، ١٧٩).

[فمن حيث كان الرسل **في نفوسهم أنواراً** أعطوا النور لكل المؤمنين، **فأناروا قلوب الناس بنور الروح السماوي، ذلك الذي هم أنفسهم كانوا مستنيرين به. وكما كانوا ملحاً في ذواتهم، كذلك كانوا يملّحون كل نفس مؤمنة بملح الروح القدس،** كانوا يملحون نفوس البشر من داخل بملح الروح، فيصلحونها و يثبتونها و يطيبونها من رائحتها العفنة. فكما أن اللحم إذا لم يملّح يفسد ويمتلىء عفناً و يعيش الدود على نتانته، كذلك **كل نفس لا تُصلّح بالروح القدس ولا تملّح بالملح السماوي — أي قوة الله — تنقلب حالاً إلى**

عفونة ويسكنها نتن الأفكار الشريرة. والدود اللعين الشرير — أي أرواح النجاسة — ترتع فيها، «قد انتنَتْ وقاحت جراحاتي» (مز٣٨ : ٥).
ولكن إذا فرت النفس إلى الله وآمنت وطلبت ملح الحياة أي الروح المحب الصالح، فحينئذ الملح السماوي يميت لوقته الدود الكريه و ينزع النتانة و يطهرها بقوته... لأنه هكذا حدد الله في الناموس قديماً على سبيل المجاز أن تُملَّح كل ذبيحة بملح (لا ٢ : ١٣)].

(العظة الأولى — ص ١٠).

(م) **العلاقة بين الروح القدس والنفس، هي علاقة النور بالظلمة**. والنور هو الذي يأتي دائماً إلى الظلمة، الروح القدس مصباح النفس، ولكن أعجب ما في هذه العلاقة السرية أن النفس المظلمة بدوام قبولها للنور، تصير منيرة ثم تصير نوراً!! النفس تتحول إلى نور بسبب طبيعة الروح القدس السخية المتواضعة، لأن الروح القدس يعطي في النهاية نفسه، يعطيها لكل نفس تقبله!!

يقول أنبا مقار:
[**إن النفس تحتاج إلى المصباح الإلهي وهو الروح القدس، الذي ينير بيت النفس المظلم**].

(العظة ١١ — ص٧٦).

[فمن حيث كان الرسل في نفوسهم أنواراً!! أعطوا النور لكل المؤمنين فأناروا قلوب الناس بنور الروح السماوي، ذلك الذي هم أنفسهم كانوا مستنيرين به].

(العظة الأولى — ص ١٠).

[**كذلك النفس التي تستنير بحسن المجد الذي لا يوصف، حسن مجد النور الذي لوجه المسيح، وتشترك في الروح القدس** بالكمال، وتُحسب أهلاً لتكون مسكناً لله وكرسياً له، حيث **تصير كلها عيناً، وكلها نوراً، وكلها وجهاً، وكلها مجداً، وكلها روحاً**].

(العظة الأولى — ص٧).

(ن) العلاقة بين الروح القدس والنفس، هي علاقة حياة بموت. فالروح محيي بلاهوته والنفس ميتة بخطيئتها. وهذه في الحقيقة أعلى وأعظم علاقة تربط الروح القدس بالنفس، فالنفس بالروح القدس تصبح حية ومنيرة بالنسبة لله والملكوت وحياة الدهر الآتي. و بدون الروح القدس النفس ميتة ومظلمة فيما لله!!

يقول أنبا مقار:

[كما أن الجسد بدون النفس يكون ميتاً، ولا قدرة له على عمل أي شيء؛ كذلك **النفس بدون الروح القدس تكون ميتة بالنسبة لملكوت الله، ولا قدرة لها على فعل أي عمل من أعمال الله**].

[وكما أن حياة الجسد في هذه الدنيا هي النفس، كذلك **النفس في الأبدية حياتها هي روح الله.** ولهذا يجب على طالب الإيمان أن يلتمس نوال الروح القدس، لأنه حياة النفس. وقد جاء الرب خصيصاً ليمنحنا روحه القدوس الذي هو النور «والحياة كانت نور الناس» (يو١: ٤). **فالذي لا ينال في هذا العالم نور الروح الإلهي، فإنه لا يعاين النور وقت خروجه من الجسد، ولا يدخل ملكوت الله**].

(العظة ٣٠ــص ٢٣١، ٢٣٢).

(س) العلاقة بين الروح القدس والنفس، كالعلاقة بين يوم السبت وبين الجسد المتعَب الواقع تحت مرارة العبودية وشقاء السخرة. فكما كان السبت في العهد القديم هو يوم البهجة والراحة والعتق من كل عمل وهمٍّ وتعب وعبودية وسخرة من كل نوع، هكذا صار الروح القدس هو السبت العظيم، سبت الراحة الأبدية، والعتق الروحي، وبهجة الخلاص من كل عبودية وسخرة من كل نوع، و بالأخص عبودية الشيطان وسُخْرَته المرة، وذلك بالنسبة للنفس البشرية التي قبلته ودخل إليها!!

يقول أنبا مقار:

[لأن الرب دعا نفس الإنسان إلى الراحة الجديدة: «تعالوا إليَّ ياجميع المتعبين والثقيلي الأحمال **وأنا أريحكم**» (مت١١: ٢٨)... وأحمالها الثقيلة هي أفكارها

الباطلة النجسة ونير أعمال الخبث. وكل النفوس التي تطيع الدعوة وتأتي إليه يريحها من هذه الأفكار الثقيلة الباهظة و يطلقها من كل إثم، وهكذا تحفظ النفس السبت الجديد الدائم، السبت الصحيح المبهج المقدس، وتعيِّد عيد الروح القدس، عيد الفرح والخدمة النقية المقبولة لدى الله... فالمجد لمن ارتضى بمعاملة خلائقه، الآبِ والإبنِ والروحِ القدس إلى الأبد آمين].

(العظة ٣٥ــ ص٢٥٣).

و يقول أنبا مقار:

[إن الراحة الحقيقية في نظر المسيحيين، هي افتداؤنا من نير الخطايا؛ وحصولنا، بعد تطهير قلوبنا، على ملء الروح، ثم سكنى ذلك الروح داخلنا بقوته الفعَّالة، لأنه هو الذي يستحثنا بعد ذلك للتقدم. و بالإجمال **فإن الروح القدس هو الذي يمتد بنا دائماً إلى الأمام. «فلنجتهد إذن أن ندخل تلك الراحة»** (عب٤: ١١)].

عن الخطاب الكبير المترجم من الفرنسية عن الأصل اليوناني.

(ع) الروح القدس فرح النفس وملكوتها:

يقول أنبا مقار:

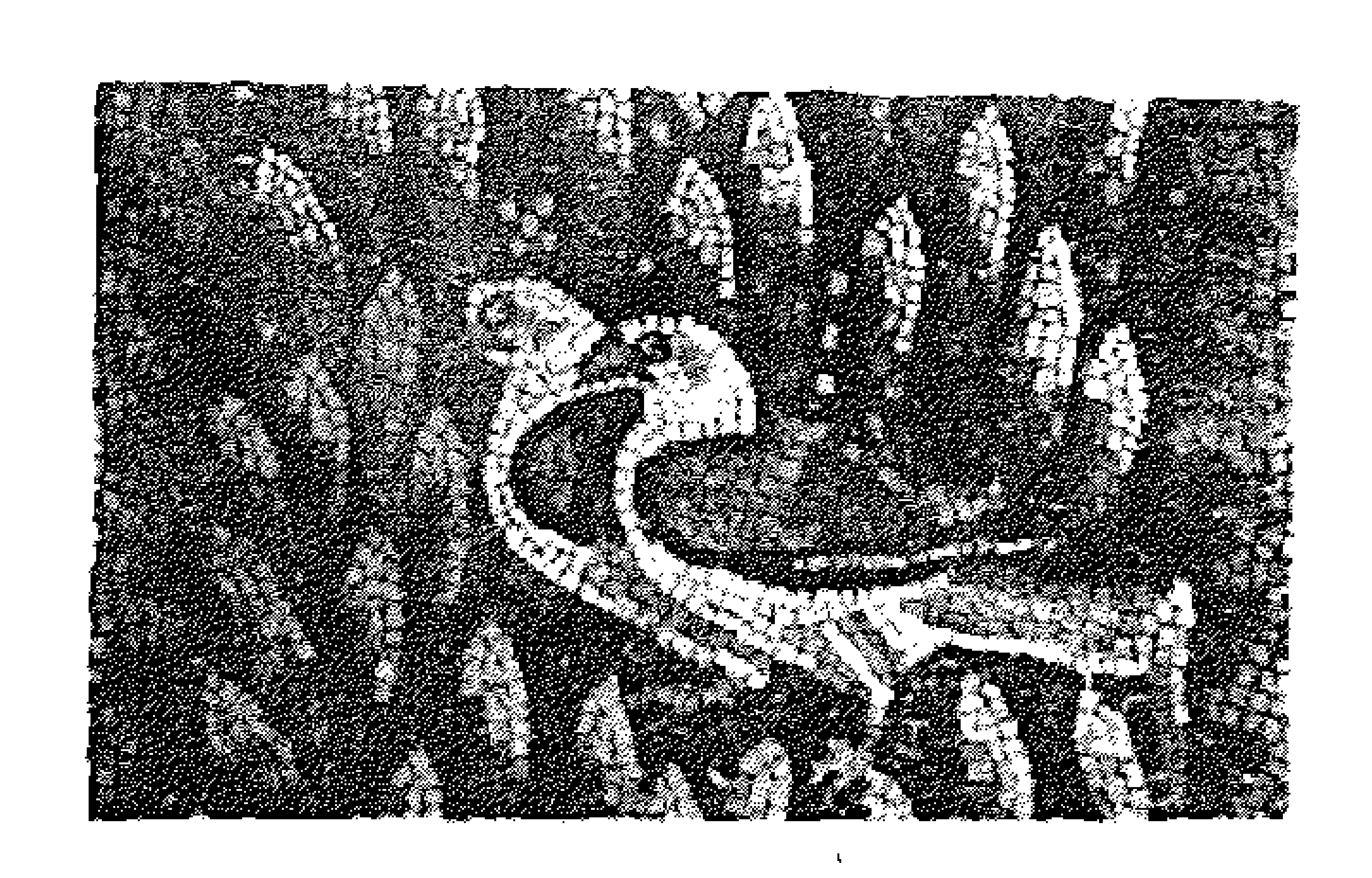
[... المحبة هي القوة التي توجه النفس نحو الله، بعمل الروح الذي يكمل الإتحاد الوثيق بين نفسنا ومحبة الرب. هذا يتم بواسطة الصلاة، إنما بتدخل المعونة الإلهية الموهوبة للمختارين، الذين حُسبوا أهلاً لها. وهكذا تتولد المحبة السماوية الشديدة والمودة الحارة التي تُضرم في النفس نار الروح القدس.

... وهذا يدفع المؤمن أن يلحَّ طالباً من الله بصلوات متواترة أن يكمل له القول: «سكبت الفرح في قلبي» (مز٤: ٧)، أو بحسب قول الرب: «ها ملكوت الله داخلكم» (لو١٧: ٢١). **لأن ما هو هذا الملكوت الداخلي إلا فرح الروح**، هذا الذي يتدفق بقوة في النفوس المستعدة. أليس هذا الفرح، وهذه «الراحة المثمرة»، وهذا «السكر الروحاني»، كل هذا أليس هو نفس

ما يتذوقه المختارون في الفردوس في نور مجد الله؟

إن عربون هذا الفرح المفرط وباكورته تعطى للنفوس البارة الأمينة، عن طريق الشركة الحية الفعالة مع الروح القدس، كما يقول بولس الرسول: «فالذي يعزينا في ضيقتنا ويقوينا لنحتمل كل تجربة هوهذا الروح عينه الذي سيعزيكم أنتم أيضاً من قبل الله» (راجع ٢ كو١: ٤). وأيضاً كالمزمور القائل: «قلبي وجسمي ارتكضا بالإله الحي» (مز٨٤: ٢)، وأيضاً: «أشبعت نفسي كأنها من شحم ودسم» (مز٦٣: ٥)، وأقوال أخرى مشابهة. والمقصود من هذا الفرح والتهليل بالروح وهذه التعزية هو التنعم بالله].

عن الخطاب الكبير المترجم من الفرنسية عن الأصل اليوناني.



ثانياً: أهمية عمل الروح القدس داخل النفس في صراعها ضد طبيعتها القديمة

الذي يقرأ للآباء، يدرك في الحال أهمية العمل الخطير الذي يقوم به الروح القدس لمؤازرة النفس في صراعها بعد المعمودية ضد طبيعتها القديمة؛ بحيث يتراءى للقارىء أنه بدون عمل الروح القدس يستحيل على النفس الإنسلاخ من عاداتها القديمة، ومن انحلال طبيعتها، ومن تواطئها الأول مع الشيطان.

كذلك فإن التشجيعات التي يبثها الآباء بكلماتهم النارية الملتهبة فينا، من جهة سخاء الروح القدس، وتودده المجاني لنفوسنا، بحسب توصية الرب يسوع، يجعلنا في الحقيقة أمام دينونة عظمى إذا أهملنا طلب معونة الروح القدس ليلاً ونهاراً.

(أ) الروح سبَّاق إلى الدعوة للتوبة وسبَّاق إلى المعونة:

إن جميع الآباء والنساك وكل الذين دخلوا بالحق في مواعيد الله لا يمكن أن ينسوا البداية الرائعة، كيف دعاهم الله بطرق متنوعة كان الروح القدس في جميعها سبَّاقاً إلى الدعوة، سبَّاقاً إلى المعونة، سبَّاقاً إلى تقديم عروض المحبة والتعليم، حتى أن النفس الخاطئة لا تجد أية قدرة على مقاومة إغراء الروح القدس وتودده الوديع المذهل داخل النفس، مهما كانت أكوام الخطايا والعثرات والزلات التي تراكمت فوق حياة النفس.

يقول أنبا أنطونيوس:

[قبل كل شيء أنا أطلب خلاصكم بالرب، **وأقول إن النفوس التي بلغت إليها بشارة روح الله** من رجال ونساء... **يكون قلبهم مستعداً أن يتبع روح الله** فيقبلون مواعيد الله براحة].

[وقبل كل شيء **فإن الروح القدس يدعوهم ويسهِّل عليهم كل الأمور،**

حتى يحلو لهم الدخول في التوبة، ويُظهر لهم طرقها على الحقيقة، ليتوبوا بأرواحهم بالقوة ويقمعوا الجسد والروح، حتى يطهرا كلاهما ويصيرا وارثين للحياة الأبدية].

(العظة الأولى ـــ ص ١٠، ١١).

ويقول أنبا مقار:

[ينبغي للإنسان أن يذوق نعمة الله لأنه قال: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (مز٣٤: ٨).

فهذه المذاقة هي هي فضيلة الروح القدس، الذي تناله النفس بفعل الإيمان وبإيقان القلب، لأن كل بني النور خدام العهد الجديد بالروح القدس لا يتعلمون (فقط) من البشر، بل تعليمهم من الله يكون، لأن النعمة ذاتها تكتب في قلوبهم ناموس الروح].

(العظة ١٥ ـــ ص ١١٢).

[وكما أن النحلة تصنع عسلها سراً في الخلايا، كذلك **النعمة تعمل محبتها في القلب سراً**].

(العظة ١٦ ـــ ص١٣٦).

(ب) الروح يقف حارساً على باب التوبة، يقنع النفس بطرق عديدة بعدم الرجوع عنها.

بعد أن يدعو الروح القدس ويسهِّل الدخول للتوبة، يقف حارساً للنفس، حتى لا تتجاذبها شهواتها الأولى وتجرّها إلى الحنث في توبتها. وهو يستخدم في ذلك كافة الطرق لتحذير النفس، فإذا سمعت النفس، وصبرت، وانقادت للروح، ينفتح أمامها طريق التوبة بمواهبه وتعزياته التي تفوق العقل.

يقول أنبا أنطونيوس:

[روح التوبة يعزي الإنسان ويعرّفه أن لا يرجع إلى ورائه، ولا يتعلق بشيء

من أمور العالم، و يفتح عيني النفس أيضاً للتوبة الحقيقية، لكي تتطهر النفس مع الجسد، و يكونا كلاهما في الطهارة واحداً، لأن **هذا هو تعليم الروح القدس، إذ يسعى أمامها، و يطهرهما، ويمحو عنها الطبائع الممزوجة في الجسد، و ينقلها إلى الخلقة الأولى التي كانت قبل المخالفة،** ولا يبقى في الإنسان شيء من أمور العدو. وعند ذلك يصير الجسد تابعاً لإرادة العقل، يطهره في كل شيء، **و يتعلم من الروح القدس،** كما قال الرسول: «إني أخضع جسدي وأستعبده» (١ كو ٩: ٢٧)].

(الرسالة الأولى ـ ص ١١، ١٢).

[لأن الروح القدس المعزي المأخوذ في المعمودية يعطينا العمل بالتوبة ليردّنا ثانية لرئاستنا الأولى].

[كل الذين يعتمدون للمسيح يلبسون المسيح، كما قال الرسول (غل ٣: ٢٧)، و ينالون نعمة الروح القدس...].

(الرسالة السابعة ـ ص ٤٦).

(جـ) الروح لا يُلزم النفس بالتوبة، ولكنه يزكيها للنفس فقط، فإن قبلت أعانها، وإن حنثت تركها.

الروح يزكي التوبة، و يذيق النفس شيئاً من سلام الله وفرح الروح وبهجة الخلاص في البداية، فإن هي قبلت الدعوة، وانقادت للحق، وتصادقت مع صوت الحكمة، أحاطها الروح القدس بمعونات وتعزيات أكثر فأكثر، حتى تقوى على كل شهواتها وعاداتها القديمة. ولكن إن هي تحامقت، وانجذبت لشهواتها الحمقاء وعاداتها القديمة انحصر الروح القدس وتراجع، وظهرت على المسرح قوات العدو تسوق النفس إلى مصير مظلم. وهكذا يستمر الصراع داخل النفس إلى أن تقرر النفس موقفها النهائي الذي تتحمل وحدها مسئوليته.

يقول أنبا أنطونيوس:

[إذا تسلحت النفس بالصبر الدائم والشهادات التي من أنفاس الله، **فإن**

الروح القدس يرشد العقل إلى تطهير النفس والجسد كليهما... فإن غفل الإنسان عن هذه الشهادات والتعاليم التي سمعها، فحينئذ تقوى عليه الأرواح الردية، وتنجس جسده، **ونشككه في كيف تأتي إليه المعونة**].

(الرسالة الأولى ــ ص١٢، ١٣).

[**فإن رجعت النفس ولصقت بروح الخلاص**، فعند ذلك تعلم أن الصبر من أجل الله هو راحتها وسلامها].

(الرسالة الأولى ــ ص١٣).

ويقول أنبا مقار:

[ولكن **إن تجاسرت نفسه وقاومت ترتيب الروح القدس، فإن القوة التي وُضعت فيه تنسحب**، وبذلك تتولد في قلبه محاربات واضطرابات، ثم تضايقه آلام الجسد في كل لحظة بمهاجمة العدو].

[فإن تاب قلبه وتمسك بوصايا الروح القدس، فإن معونة الله تكون عليه].

(الرسالة إلى أولاده ــ ص١٥، ١٦).

(د) الروح القدس هو القادر على إيقاف عمل الإنسان العتيق وإبطال سلطان الشهوات والعادات بقوة فائقة للعقل، فهو رجاء الخلاص الوحيد أمام الإنسان المربوط بخطاياه. لذلك ينبهنا الآباء من جهة التوسل والصراخ واللجاجة بلا هدوء ولا توقف ولا ملل حتى ننال هذه القوة الفائقة.

يقول أنبا مقار:

[فلنتوسل إلى الله إذن **أن ينزع منا الإنسان العتيق، لأنه هو وحده القادر على نزعه منا مع الخطيئة**، لأنها أقوى منا، بحيث أنها استأسرانا واستعبدانا في مملكتها...

لأن الخطيئة أصبحت ممزوجة بالنفس، مع أنه لكل منها ما يختص بطبيعته. ولكن لا يمكن افتراق النفس من الخطيئة، إلا بأن يرسل الله هدوءاً، ويُسكت الروح الشرير (العامل) في النفس والجسد... **فلنلتمس من الله أن**

يهب لنا أجنحة حمامة (مز٥٥: ٦)، أي الروح القدس، **لنطير إليه ونطمئن، ويفرّق عنا الروح الشرير، ويقطعه منا نفساً وجسداً**، لأنه هو وحده القادر على ذلك].

(العظة الثانية ــ ص١٨).

[لأن بمعصية الإنسان الأول دخل فينا الفساد، وهو فساد أهوائنا الغريب عن طبيعتنا، ولكنه مهما تأصل في الطبيعة بطول العادة والألفة، **إلا أنه يقتضي أن يُستخرج ثانية بواسطة ضيف طبيعتنا، أي موهبة الروح القدس، لنعود إلى حال النقاوة الأصلية**. ولكن طالما نحن لم ننل محبة الروح السمائي، بالطلبات والتضرعات المستديمة، وبالإيمان، والصلاة، والزهد في العالم، **وطالما لم تلتصق طبيعتنا بهذه المحبة التي هي الرب** (١يو٤: ١٦)، **فتتقدس بمحبة الروح القدس** بعد تدنسها بالخطيئة ثم نستمر بلا عيب إلى النهاية بالإجتهاد في وصايا الرب، فلا يمكننا الحصول على الملكوت السماوي].

[فكما أن الحديد إذا أُلقي في النار يتحول عنه الجوهر اليابس الذي لطبيعته ويصير ليناً بقدر مقامه في النار، كذلك النفس التي تنكر العالم، وتعلّق شوقها بالرب بالتفتيش الكثير والكدّ والجهاد، وتنتظره انتظاراً دائماً بالإيمان والرجاء **حتى تنال النار السمائية ومحبة الروح**، حينئذ تنفك من محبة العالم، وتفلت من كل فساد الأهواء، **وتتغير طبيعتها من يبوسة الخطيئة**، وتخضع للعريس السمائي بحب شديد لا يوصف].

(العظة الرابعة ــ ص٣٤، ٣٥).

[جميع الذين يُحسبون أهلاً حقاً أن **يشتركوا في الروح القدس الذي هو المحبوب السمائي**، فإنهم يتجردون بالكلية من حب العالم، ويُغمرون بالشهوة السمائية].

(العظة الرابعة ــ ص٣٥).

[النعمة حينما يلمحها الإنسان من على بعد يفرح بها، ولكن حينما تدخله القوة الإلهية وتمسك أعضاءه كلها وتستأسر قلبه ولُبّه لمحبة الله، فإنه يتغير ويصير

شخصاً آخر].

(العظة السابعة ــ ص ٥٩).

[يجدر بالنفس التي تؤمن بالمسيح إيماناً صحيحاً أن تنتقل (كو١ : ١٣) وتتغير من حالتها الفاسدة إلى حالة الصلاح، ومن طبيعتها الدنيئة إلى طبيعة إلهية، **وأن تتجدد بقوة الروح القدس**، وهكذا تصير أهلاً لملكوت السموات].

(العظة ٤٤ ــ ص ٢٨٣).

[فسبيلنا أن نؤمن بمواعيده الفائقة بكل القلب، فإن الذي وعد هو أمين. لذلك يجدر بنا أن نحب الرب، وأن نجتهد في كل الفضائل بكافة الطرق، طالبين على الدوام و بلا انقطاع أن ننال موعد روحه تاماً كاملاً، لكي تحيا نفوسنا ما دمنا في الجسد، **لأنه إذا لم تنل نفوسنا في هذه الحياة تقديس الروح بكثرة الإيمان والصلاة، وتشترك في الطبيعة الإلهية... فلا تكون أهلاً للملكوت**].

(العظة ٤٤ ــ ص ٢٨٥).

[لذلك يجب على كل واحد أن **يغصب نفسه على التوسل إلى الله، لكي يُحسب أهلاً لنوال كنز الروح القدس السماوي**، حتى يقدر أن يتمم وصايا الرب بطهارة، بلا تعب، أو صعوبة، أو عيب، الأمر الذي لا يمكنه أن يتممه بدون كنز الروح حتى ولو بالإغتصاب، لأن النفس إذا كانت محرومة من شركة الروح القدس، كيف تقدر أن تحصل على أعمال وغنى الروح؟].

(العظة ١٨ ــ ص ١٥٣).

و يقول أنبا أنطونيوس:

[الذي يطلب من الرب باجتهاد ومحبة بحسب وصاياه وتعاليمه، فإن الرب يكون معه و يعطيه نعمة الروح القدس... **والذين استحقوا هذه النعمة، سعوا حسب الوصية بكل قوتهم ونياتهم، فقبلوا روح البنوّة وتعلموا من الروح القدس.**

اطلبوا لكي النار التي ألقاها الرب يسوع على الأرض يلقيها في

قلوبكم لتستطيعوا أن تتدربوا في عزائمكم وحواسكم].

(الرسالة الثالثة ــ ص٢٣ ، ٢٤) .

(هـ) الروح القدس لا يعمل وحده ضد الجسد العتيق داخل النفس، بل لابد من إرادة مقاومة العالم ومن الجهاد المتواصل ، وأن تكون إرادة الإنسان على موافقة تامة مع الروح القدس ، وعلى أعلى يقظتها ، وإلا يتوقف عمل الروح القدس و يصير وجوده بلا فائدة .

يقول أنبا مقار:

[وكما أن الطفل الرضيع الذي يأتي إلى هذه الدنيا لا يبقى في قامته الطفولية طول الأيام ، ولكنه يكتسب كل يوم نمواً جديداً حسب النواميس الخفية للطبيعة التي تعمل فيه ، إلى أن يبلغ إلى عمر الرجل الكامل وملء الإدراك في خبرة الحياة ؛ هكذا أيضاً و بنفس الحال يحدث للذي يولد من فوق بواسطة الماء والروح ، فإنه لا ينبغي أن يبقى في الطفولة الروحية و يتوقف عن النمو، بل ينبغي عليه ، بالصراع واحتمال الآلام التي تهاجمه بكثرة، **أن يستخدم الصبر و يتقدم كل يوم في عراكه المتواصل ، إلى أن يصل إلى ملء القامة الروحية التي كتب عنها الرسول:** «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله ، إلى إنسان كامل ، إلى قياس قامة ملء المسيح ، كي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم ، بحيلة الناس ، بمكر، إلى مكيدة الضلال ، بل عاملين الحق في المحبة ، ننمو بكل وسيلة في ذاك الذي هو الرأس المسيح » (أف ٤ : ١٣ ــ ١٥) .

وفي موضع آخر أيضاً : « ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم ، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة » (رو١٢ : ٢)، **حتى تبلغوا منتهى المشيئة الإلهية ، محققين ملء قامة النمو الذي هو فيض الروح.** لأن في الولادة الجسدية يصل الطفل إلى ملء النمو بواسطة القوة الطبيعية التي تأتي به ، من تلقاء ذاتها ، إلى قامة الرجل الكامل ،

حيث يظهر جلياً أن العناية الإلهية العامة هي التي حددت هذه الغاية دون تدخُّل قط من إرادة الإنسان الحرة، لأن إرادة الإنسان لا تدخل في نمو الجسد.

ولكن بالنسبة للولادة من فوق ـــ الولادة حسب الروح ـــ فلا توجد هذه القوة التي تعمل بدون جهاد، إنما يلزم هنا تدخُّل الجهد الشاق والصراع والمثابرة والإرادة التي لا تكل، و بالإجمال كل وسائل الجهاد الشخصي، بمقتضى كلمة ربنا «اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق» (لو١٣: ٢٤)، وقوله أيضاً: «لأن ملكوت السموات يُغصب» (مت ١١: ١٢)، وأيضاً: «بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو٢١: ١٩)، «من يصبر إلى المنتهى... فهذا يخلص» (مت ١٠: ٢٢). و يقول الرسول: «ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا» (عب١٢: ١)، «هكذا اركضوا لكي تنالوا (الإكليل)» (١ كو٩: ٢٤)، وأيضاً: «ما أكثر ما يحتاج خدام الله إلى الصبر».

إذن، فإنه بالعمل الجاد والجهد الشخصي و بالألم والمعاناة يصل المرء إلى النمو، **فبقدر ما يتقدم المرء في ممارسة الوصايا عن حب وحرارة، بنفس هذا القياس تنشيء نعمة الروح الملازمة لجهاد الإنسان تحصيلاً أكبر في التجديد الروحي.** لأنه وإن كان من المؤكد أننا بالنعمة والغفران الإلهي نتقبل الخلاص، إلا أن هذا هو أيضاً من عمل الإيمان، والحب، والجهاد، والإستعداد الشخصي، وذلك بالتصميم على النمو والتقدم لبلوغ القياس الكامل للقامة الروحية، لأنه بالنعمة والجهاد معاً يتم لنا ميراث الحياة الأبدية.

فليس شيء يتم بعمل القوة الإلهية أو النعمة بدون الجهد، وغيرة الإنسان القوية التي تشارك بالفعل في تقدمه ونموه، كما أنه أيضاً ليس شيء يتم نتيجة العمل الشخصي أو الجهد والغيرة دون مؤازرة الروح القدس وتعضيده synergy ، الذي يجعلنا قادرين على الوصول إلى ملء قامة الحرية والنقاوة: «إن لم يبنِ الرب البيت فباطل تعب البنائين وإن لم يحرس الرب المدينة فباطل سهر الحراس» (مز١٢٧: ١). وأيضاً: «لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض ولا ذراعهم خلصتهم (مع أنه لابد من الجهاد ومناطحة

الأعداء)، لكن هي ذراعك يارب ويمينك المقتدرة ونور وجهك» (مز٤٤ : ٣).

إذن يلزم الإتحاد الكامل بين القوة الإلهية وجهادنا الخاص، و باختصار يعلمنا النبي عن أمرين:

الأول: هو أن كبرياء المتكلين على ذواتهم يؤدي إلى السقوط.

والثاني: هو أن بالإيمان والمحبة، ونحن مستندون على النعمة، نبلغ رجاء الحياة الأبدية.

ما هي إذن هذه الإرادة الصالحة التي يحثنا الرسول على اقتنائها، كل واحد لنفسه، بغيرة لا تفتر ولا تنقطع؟ أليست هي نفسها تلك التي يشير إليها الرب في التطويبات قائلاً: «طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (مت٥ : ٨)؟ وأيضاً: «كونوا أنتم أيضاً كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» (مت٥ : ٤٨)؟

فالتخلص من الخطية هو وعدٌ تحمله لنا هذه الآيات، ولكن على أساس الكف عن شهوات الشرور، وتقديس القلب، بواسطة الشركة مع الروح، الذي يكمِّل و يقدِّس إلى كل ملء الله، كل نفس استسلمت لله عن إيمان وحب].

(عن الخطاب الكبير المترجم من الفرنسية عن الأصل اليوناني).

و يقول أنبا مقار أيضاً:

[ومرة ثانية، يطلب إلى أولئك الذين حُسبوا أهلاً أن يتقبلوا روح الموعد في المعمودية، يستحثهم على السعي في التقدم قائلاً: «لذلك أنا أيضاً إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين، لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إياكم في صلواتي، كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد، روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين» (أف١ : ١٥ــ ١٩).

ورغبة منه في أن يعبّر بأكثر وضوح عن شركة الروح واقتنائه، يستطرد مبيناً النموذج الكامل لهذه العطية: «حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات...» لكي تنالوا أنتم أيضاً الملء حسب قوة روحه].
(عن الخطاب الكبير المترجم من الفرنسية عن الأصل اليوناني).

يقول أنبا مقار:

[**إن قوة نعمة الله في الإنسان وموهبة الروح القدس، التي تُحسب النفس الأمينة أهلاً لقبولها، يتبعها جهاد عظيم، وصبر كثير، وطول أناة، وتجارب وبلايا تُمتحن بها إرادة الإنسان بأصناف الشدائد كلها، فإن لم تحزن الروح في أي أمر بل تكون موافقة للنعمة في تكميل الوصايا، فإنها تُحسب أهلاً لأن تُطلق من شدائدها، وتنال ملء تبني الروح،** مع ما قيل عنه من سر الغنى الروحي والحكمة التي ليست من هذا العالم. وهذه جميعها يشترك فيها المسيحيون العائشون بالحق].

[ولكن **لم يُسمع قط أن أحداً اقتنى نفسه واقتنى روح المحبة السمائي دون أن يبتعد عن أشياء هذا العالم، ويبذل نفسه في حب المسيح...** جاعلاً عقله كله، وقاصراً اعتناءه وتلهفه، على طلب جوهر النفس العقلي، **منتظراً برجاء كامل مجيء الروح القدس عليه...**].

(العظة التاسعة - ص ٦٧، ٦٨، ٦٩).

[إن النفوس التي تحب الله وتشتهي أن تلبس المسيح بإيمان ورجاء زائد لا تحتاج إلى من يذكّرها، ولا تكون قط خالية من شهوة المحبة الإلهية... ولو أنها تصير أحياناً في فراغ (جفاف)، ولكن لأنها تكون مسمَّرة بكليتها في صليب المسيح، فإنها تشعر يوماً فيوماً بحسب اختباري بتقدمها الروحاني نحو العريس السمائي، **ولأنها تكون مجروحة بشهوة سمائية وجائعة لبر الفضائل، فإنه يكون لها اشتياق عظيم، لا يخمد، إلى الروح القدس ليضيء عليها.**

وبقدر ما تُحسب أهلاً للمواهب الروحانية، يزداد فيها الشوق

الإلهي، الذي يكون قد ملأها اضطراماً، ولا تكف عن تفتيش ذاتها باجتهاد وبلا ملل؛ وبقدر ما تحس بالترقي الروحاني، تزداد جوعاً وعطشاً إلى اقتناء النعمة...

فمثل هذه النفوس التي تحب الرب حباً حاراً لا ينطفىء، تستأهل الحياة الأبدية، وتُحسب أهلاً للإفتداء من الأهواء الدنيئة، وتنال نورَ الروح القدس بالتمام. وحضورَه الذي لا يُوصف، والشركةَ السرية بملء النعمة].

(العظة ١٠ ــ ص ٧١، ٧٢).

[فجميع الذين هم للخدمة، و يفعلون كل شيء ببشاشة وغيرة وإيمان وحب لله، فعملهم هذا يأتي بهم بعد فترة إلى معرفة الحق عينه، **لأن الرب ينكشف لنفوسهم والروح القدس يعلمهم طريقه**].

(العظة ١٢ ــ ص ٩٥).

[فكل من شاء أن يرضي الله بالحق و ينال منه النعمة السماوية، نعمة الروح القدس، وأن ينمو في الروح القدس، فهو مُطالَب بأن يغصب نفسه إلى وصايا الله كلها، و يُخضع لها قلبه النافر... و يداوم الصلاة والطلب إلى الله كل حين، حتى وبعد أن ينال رغبته و يذوق الله و يصير شريكاً في الروح القدس... والروح ذاته يمنحه هذا، و يعلمه الصلاة الحقيقية، والمحبة الصحيحة، والوداعة الصادقة، التي كان قبلاً يشتهيها و يغصب نفسه إليها...]

[فلنغصب إذن نفوسنا إلى التواضع العقلي والوداعة والمحبة، حتى ولو لم يكن للقلب إرادة في ذلك، ملتمسين ذلك من الله بالإيمان والرجاء والمحبة بلا انقطاع، بأمل وانتظار أن يرسل روحه إلى قلوبنا، حتى نصلي إلى الله ونسجد له بالروح والحق، والروح ذاته يصلي فينا، لعل الروح نفسه يعلمنا الصلاة الحقيقية التي لا نقدر على تحصيلها الآن بالإغتصاب...].

(العظة ١٩ ــ ص ١٦٣).

[فمن أراد أن يصير شريكاً في المجد الإلهي، و ينظر الرب في قوة نفسه بوجه مكشوف كما في مرآة، عليه أن يطلب المعونة من الله بشدة قوته، وبحب لا يخمد، ورغبة لا تتوقف، بل ومن كل قلبه ليلاً ونهاراً... **وهو لا يمكنه أن ينال ذلك، إلا إذا حرم نفسه من لذة العالم، ومن شهوات القوة المعادية** (١بط ٢: ١١، يو٨: ٤٤)].

(العظة ٢٥ــص ١٨٢).

[فلنُصلِّ، إذن، نحن بكامل ثقة الإيمان والحس، لننال روحه القدوس... حتى لا يعود يتسلط علينا خداع هذا العالم الحاضر، بل نكون في ملء ثقة الروح... ولا نيأس، لأن نعمة الله ترتضي بقبول الخاطئين التائبين... **فلنأتِ بقلب مستقيم منفصل عن هموم الأشغال، فيعطينا شركة الروح.**

وإرادة الإنسان هي كمعين طبيعي... **وتمام عمل الروح القدس يستند بكليته على إرادة الإنسان، وكذلك إذا وجهنا إليه كل إرادتنا، فإنه ينسب العمل كله إلينا، فإنه إله عجيب في كل الأمور و يفوق كل إدراك**].

(العظة ٣٧ــص ٢٥٩).

يقول أنبا أنطونيوس:

[اتفاق الجسد (الأعمال الجسدية من صوم وسهر وضبط حواس) مع النفس في التوبة ضرورة. فإذا نال العقل هذه النعمة، عند ذلك يطلب بالروح القدس، و يبتدىء يطرد عن النفس كل المصاعب التي تأتي عليها من شهوات القلب. **لأن الروح القدس إذا صار للعقل شركة معه، من جهة حفظ الوصايا التي يتعلمها، فإنه يرشده لينزع الأوجاع** (الأهواء النفسانية) **عن النفس الواحدة بعد الأخرى،** التي تكون قد امتزجت بالجسد، أو التي تكون في النفس خاصة من أعلى الرأس حتى أسفل القدمين:

+ العينان تنظران بطهارة واستقامة، ولا يبقى فيها شهوة غريبة.

+ والأذنان تسمعان بالسلام من جهة كل الخليقة، ولا تحتملان النميمة.

+ اللسان يتكلم بالخير و بطهارة... لأن العقل إذا تقوى وابتدأ يأخذ من الروح، فإن اللسان يتطهر و يفحص كل كلمة ينطق بها، حتى لا تكون فيها إرادة جسدانية.

+ واليدان لا تعملان بحسب هوى النفس، ولكن الروح يعدُّهما لرفع الصلاة وعمل الرحمة والعطاء، فيتم القول: «إن رَفْع يدي كقربان المساء» (مز ١٤١: ٢).

+ والبطن يصير مدققاً و يتحرز من المآكل والمشارب، و يتخلص من الشهوات والشبع التي تختلط بها قوة العدو، والتي تكون قد تسلطت على البطن بسبب النفس الشهوانية. لأن كل الذين يطلبون الطهارة، فإن روح الله يهديهم إلى الإستقامة (العفة). وهكذا يتم القول: «فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله» (١ كو ١٠: ٣١).

+ والرجلان يضبطهما القلب الذي يكون قد امتلأ بالنعمة، ويحركهما بإرادة الروح القدس لتخدما في الأعمال الصالحة.

+ لأن الذي يطلب الخلاص بالحقيقة و يتمسك بالطهارة، **فإن الروح القدس ينزع عنه حركات (الخطية) براحة، والروح القدس يصير ملجأً له وقوة، و يطفىء عنه كل الشرور المتحركة عليه. وهكذا يرجع الجسد تحت سلطان الروح القدس**].

[**فإذا دامت النفس على الصبر، والإستماع الحسن للروح القدس الذي يجتذبها للتوبة، فإن الله يترأف على تعبها** وأتعاب الجسد، الذي هو كثرة الصوم، والسهر، والهذيذ في الكتب المقدسة، والصلاة بغير فتور، والخدمة لجميع الناس، بقلب طاهر ومسكنة الروح، وهكذا ينجيها الرب من جميع التجارب ويخلصها برحمته].

(الرسالة الأولى ــ ص ١٢، ١٣، ١٤).

[أطلبوا لكي النار التي ألقاها الرب يسوع على الأرض يلقيها في قلوبكم، لتستطيعوا أن تتدربوا في عزائمكم وحواسكم].

(الرسالة الثالثة ــ ص ٢٥).

[وروح الله لا يسكن في نفس أو جسدٍ خاطىءٍ، **لأنه قدوس و بعيد عن كل غش**].

(الرسالة الرابعة ــ ص ٢٧).

[إن كل من لا يبغض ما يختص بالأرض وكل أعمالها من كل قلبه، و يرفع عقله إلى العلا نحو الآب، فلا يستطيع أن يخلص. أما من استطاع ذلك، فالرب يترأف على أتعابه، و ينعم عليه بالنار غير المنظورة غير المادية، لتحرق كل الأوجاع التي فيه وتطهّر عقله، وعند ذلك يسكن فيه الروح القدس، و يكون معه].

(الرسالة الخامسة ــ ص ٢٩).

[إن محبة الرب تتعاهد ضمائرنا، وتساعد كل الذين قد جعلوا أفكار قلوبهم مرتبطة بتذكار كنيسة الأطهار ليل نهار، **هؤلاء يكون الروح القدس مذكراً لهم دائماً، يطلب عنهم، لأنهم قد صاروا له أولاداً، لأنه هو ولدهم بالله**].

(الرسالة الثانية عشر ــ ص ٦٢).

[إن كل إنسان، رجلاً كان أو امرأة، فيه قوة محبة كائنة للحركة، إما جهة الإلهيات وإما جهة الجسديات، فالإلهيون يحبون اللاهوتية، والجسديون يحبون الجسديات، **أما أنتم فبسبب أن اللاهوتية فيكم، فإني أحبكم بكل قلبي وروحي لإقتنائكم الله فيكم**. وقد صرتم عندي في مكانة عظيمة، ولذلك أطلب من أجلكم لكي **تزدادوا في محبته لتنمو اللاهوتية فيكم**].

(الرسالة الثالثة عشر ــ ص ٦٥).

(و) عدم الإذعان للروح القدس خسارة عظيمة، وأي مقاومة أو عناد يُنهي بسرعة على حالة النعمة التي يكون فيها الإنسان، حيث يدخل الإنسان في تأديب مُرّ، و يذوق معنى التخلي وهجران النعمة، تلك التي توقعنا في يد الشيطان. علماً بأن الإستمرار في معاندة الروح القدس، وإهمال إنذاراته، قد ينتهي بهجران لا عودة فيه، وسقوط نهائي من النعمة.

* * *

يقول أنبا مقار:

[فسبيلنا أن نجتهد، و بغاية التبصر نسعى في عمل خلاصنا، بخوف ورعدة، **ومهما كنتم أنتم الذين صرتم شركاء في روح المسيح، فلا ترتفعوا في نفوسكم على أي وجه، سواء كنتم حقراء أو عظماء، ولا تتكبروا على النصيحة، ولا تعاندوا روح النعمة، لئلا تُنفوا من الحياة التي كنتم شركاء فيها**].

(عظة ١٢ ــ ص١٠٣).

[**سؤال: هل يسقط من له موهبة النعمة؟**

جواب: إن اتَّبع الإهمال يسقط لا محالة، لأن اعداءنا لا يتوانون في إثارة الحرب علينا (١بط ٥ : ٨) ولا يتوقفون (عن المقاومة) قط.

سؤال: هل تبقى النعمة في الإنسان بعد سقوطه؟

جواب: الله يشاء أن يعود الإنسان إلى الحياة، و ينصحه بأن يعود ثانية إلى البكاء والتوبة، فالنعمة تبقى لتجعلك محصناً بزيادة، بتوبتك عن الأشياء التي ارتكبتها].

(العظة ١٥ ــ ص١٠٩).

[**فها قد ترى أن الذين قد تجددوا وذاقوا الموهبة السماوية يسقطون، لأن الإنسان له إرادة لإرضاء الروح، وإرادة لإحزانه**].

(العظة ٢٧ ــ ص٢١٣).

[أولئك أيضاً الذين ذاقوا نعمة الله، وصاروا شركاء الروح القدس؛ إن لم يصونوا أنفسهم صيانة تامة، فإن النور ينحجب عنهم انحجاباً كاملاً و يصبحون أشر مما كانوا عليه أولاً في حال دينونتهم، ليس أن الله هو الذي تحول أو ضعف أو أن الروح ينطفىء، بل الأشخاص ذواتهم لا يوافقون النعمة فيُطرحون و يقعون في مصائب... «أبعد ما ابتدأتم بالروح تُكمّلون الآن بالجسد» (غل٣ : ٣)].

(العظة ١٥ ــ ص١٢١).

و يقول أنبا أنطونيوس:

[إذا تسلحت النفس بالصبر الدائم والشهادات التي من أنفاس الله، فإن الروح القدس يرشد العقل إلى تطهير النفس والجسد كليهما... **فإن غفل الإنسان عن هذه الشهادات والتعاليم التي سمعها، فحينئذ تقوى عليه الأرواح الردية، وتنجس جسده، وتشككه في كيف تأتي إليه المعونة**].

(الرسالة الأولى ـ ص١٢، ١٣).

[لأن بولس الرسول يقول: «لا تطفئوا الروح» (١تس٥: ١٩)... واعلموا ياأولادي أن الروح لا ينطفيء منا، إلا بالكلام الباطل، والمزاح، وأعمال أُخر كثيرة لا يمكن أن أكتبها واحدة فواحدة].

(الرسالة الحادية عشر ـ ص٦١).

[وأنا أبوكم، أجتهد أيضاً معكم، وأطلب من أجلكم، **لكي تقبلوا هذا الروح**، لأني أعرف أنكم كاملون **وقادرون على قبوله**. لأن كل من يفلِّح نفسه بهذه الفلاحة، فإن الروح يُعطى له في كل جيل وإلى الأبد ـ **وأعرف أناساً قبلوه، ولما لم يكمِّلوا هذه الفلاحة، لم يثبت فيهم**].

(الرسالة الثامنة ـ ص٥٠، ٥١).

(ز) إن وجود الروح القدس في النفس لا يمنع حصول التجارب والأحزان والضيقات المتنوعة، بحسد الشيطان، بل إن الروح القدس يستخدمها لمصلحة النفس، وتنمية إيمانها، وترسيخها في المحبة. لذلك ينذرنا الآباء بشدة، أن لا نرفض التجارب، أو نحزن لمقاومة الشيطان لنا، بل بالحري نزداد عناداً وثباتاً ورجاءً، حتى يفرح بنا الروح القدس، ويحارب عنا، ثم يُدخلنا الراحة الأخيرة.

يقول أنبا مقار:

[**إن قوة نعمة الله في الإنسان وموهبة الروح القدس التي تُحسب النفس الأمينة أهلاً لقبولها، يتبعها جهاد عظيم**، وصبر كثير، وطول أناة، وتجارب، وبلايا، تُمتحن بها إرادة الإنسان بأصناف الشدائد كلها، **فإن لم تحزن الروح**

في أي أمر، بل تكون موافقة للنعمة في تكميل الوصايا، فإنها تُحسب أهلاً أن تُطلّق من شدائدها، **وتنالّ ملءَ تبني الروح**، مع ما قيل عنه من سر الغنى الروحي، والحكمة التي ليست من هذا العالم، وهذه جميعها يشترك فيها المسيحيون العائشون بالحق].

(العظة التاسعة ــ ص٦٧، ٦٨).

[إن حرية الإرادة التي في قدرة الإنسان محصورة ومحدودة في مقاومة الشيطان فقط، وليس لها قدرة السيطرة على الشهوات مطلقاً، لأن داود النبي يقول: «إن لم يبنِ الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون، وإن لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارسون» (مز١٢٧ : ١). لأنه لا يمكن لأحد أن يمشي على الحية و يدوس الأسد والتنين، إلا إذا جاهد أولاً في تطهير نفسه، ثم نال قوة من القائل: «ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو» (لو١٠ : ١٩). **لأنه لو كانت الطبيعة البشرية قادرة على أن تقاوم مخاتلة الشيطان بدون سلاح الروح القدس الكامل، ما كان الرسول بولس قد قال: «وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أقدامكم سريعاً»** (رو١٦ : ٢٠)، وأيضاً: «يبيده الرب بروح فمه» (٢تس٢ : ٨). ولهذا أمرنا المسيح أن نطلب من الله: «لا تدخلنا التجارب **لكن نجنا من الشرير»، فإن لم يكن لنا عون آخر عال نخلص به من سهام الخبيث المتوقدة ونُدعى به للبنوة، فكل سيرتنا لن تجدي نفعاً**].

(العظة ٢٥ ــ ص١٨١).

[النفس إذا كان لها إقامة في شركة الروح القدس، فإن طول إقامتها في نار الروح ونوره الإلهي يحصّنها ضد أية مضرة من أي روح شرير، لأنه إذا اقترب من النفس فإنه يحترق بنار الروح السمائي].

(العظة ٣٠ ــ ص٢٣٣).

[ومتى صار قلب الإنسان وكأنه قد ذبل (بالتجارب)، وكاد يعثر في كل تجارب العدو، حينئذ يرسل الله، محب البشر والمعتني بخليقته، **قوة مقدسة**،

ويثبّته، ويُخضع قلبه ونفسه وجسده وكل أعضائه إلى نير البارقليط. لأنه هو قد قال: «احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (متى ١١: ٢٩)].

[ومتى تَجَرب بكل أنواع (التجارب)، **فإن الروح القدس يبدأ يعلن له الأشياء السمائية**(١)، أي كل ما يعود بالإستحقاق والعدل على القديسين، وعلى كل الذين وضعوا رجاءهم في رحمته].

(الرسالة إلى أولاده: ١١، ١٣).

ويقول أنبا أنطونيوس:

[فإذا دامت النفس على الصبر والإستماع الحسن للروح القدس الذي يجتذبها للتوبة، فإن الله يتراءف على تعبها وأتعاب الجسد، التي هي كثرة الصوم، والسهر، والهذيذ في الكتب المقدسة، والصلاة بغير فتور، والخدمة لجميع الناس، بقلب طاهر ومسكنة روح، وهكذا ينجيها الرب من جميع التجارب ويخلصها برحمته].

(الرسالة الأولى ــ ص١٦).

[وتشبه النفس، التي تسكنها نار الله وحرارة الأعمال الصالحة التي اشتعلت بها قلوبهم ــ تشبه طيراً ذا جناحين يطير بهما مرتفعاً في السماء...، **فأجنحة النفس المتعبدة لله هي قوة نار الله التي تطير بها النفس إلى العلا، فإذا عدمت هذه النار، لا يصير لها استطاعة للإرتفاع كالطير الذي نُزع جناحه!!...**

فلا تَدَعوا قوة هذه النار تُنزع منكم، لأن حروباً كثيرة كائنة لكم من الشيطان لأجل هذه النار المعطاة لكم من الرب لكي ينزعها منكم، لأنه يعلم أنه لا قوة له عليكم، ما دامت نار الله فيكم... لهذا يقاوم بشدة النفوس المتعبدة لله عبادة حسنة، بأوجاع كثيرة، يلقيها في النفس ليطفىء هذه النار التي هي قوام كل فضيلة؛ فإذا انغلب الشيطان وارتد خائباً، فإن روح الله يسكن فيهم، وإذا سكن الروح القدس فيهم، يريحهم من جميع أعمالهم (جهاداتهم ضد

---

(١) لذلك يسميه الآباء روح الإستعلانات.

الخطيئة)، ويجعل نير الله حلواً لديهم جداً، ويجعل فرح الله فيهم نهاراً وليلاً، و يربي عقولهم و يغذيها!!

ولأجل محبة ربنا للبشر، يطلق على محبيه تجارب مضادة، حتى لا يتعظم قلبهم، بل يثبتوا في الجهاد، وحينئذ يصير بدل القوة ثقل وضعف، وعوض الفرح حزن، وعوض الراحة والهدوء قلق، وعوض الحلاوة مرارة. **وبكثير مثل هذه يصاب مُحبُّ الله، فإذا تقوى في الجهاد وغلب، فإن روح الله يكون معه في كل شيء و يقويه!!]**.

(الرسالة الثامنة عشر ـ ص١٠٥، ١١٢).

[**لأن التجارب لا تأتي بقوة إلا على الذين قد قبلوا الروح القدس،** لأنهم، عند قبولهم الروح، تأتي عليهم التجارب من الشيطان، لكون **الروح القدس يطلقها عليهم،** لأن الشيطان ليس له سلطان أن يغصب أحداً من المؤمنين إلا أن يُعطى ذلك من جهة الروح القدس].

(الرسالة التاسعة عشر ـ ص١١٤، ١١٥).



ثالثاً: الروح القدس يختم النفس بخاتم العهد
و يعطيها ميثاق الروح

وهكذا بعد أن يجتاز الروح القدس بالنفس كل الإختبارات اللازمة لخلاصها، وتحتمل التجربة بصبر وطول أناة، يزكيها الروح القدس ويملأها من خمره الجديدة، و يضع على رأسها إكليل البر، فتحس النفس بنهايتها السعيدة، كما أحس بولس الرسول، وتشهد الشهادة الأخيرة الحسنة، فلا تكف عن التسبيح والترتيل والشكر.

يقول أنبا مقار:

[كذلك النفس التي تستنير بحسن المجد الذي لا يوصف، حسن مجد النور الذي لوجه المسيح، وتشترك في الروح القدس بالكمال، **وتُحسب أهلاً لتكون مسكناً لله** وكرسياً له، حيث تصير كلها عيناً وكلها نوراً وكلها وجهاً وكلها مجداً وكلها روحاً، **والمسيح نفسه قائدها** وسائقها وحاملها وساندها، و يد الإنسان (المسيح) من تحت الكاروب يقودها بزمام الروح ويهديها في الطريق].

(العظة الأولى ــ ص٨).

[**كذلك النفوس المقدسة، تنقاد وتهتدي في طريقها بروح المسيح، إذ يرشدها إلى حيث يشاء، فإن شاء أقامت في التأملات السمائية، وإن شاء** لبثت في الجسد (الأعمال)، وإن شاء لازمته في خدمته. لأنه كما أن أجنحة الطائر هي له بمنزلة الرجلين، كذلك نور الروح السمائي، **فهو** يتخذ من الأفكار المناسبة أجنحة للنفس، **ويهدي الطريق أمامها، و يوجهها حيث يستحسن هو]**.

(العظة الأولى ــ ص١٤).

[ريح الروح القدس الذي ينسم على [illegible]وس، **وينعش الذين هم في النور الإلهي،** وينفذ في جوهر النفس كله وأوكارها. وكذلك **يروّح ويرطب أعضاء الجسد براحة إلهية لا توصف**].

(العظة الثانية ــ ص ١٢).

[أما طرائق عمل الروح القدس في النفس فهو تارة يعطيها أن تمرح **فرحاً لا يوصف،** وتارة يجعلها **كعروس تتنعم بألفة عريسها** بملذات إلهية، وتارة يجعلها تكون **كالملائكة بالخفة** غير منحصرة بالأمور الأرضية، وتارة يجعلها **تسكر بالروح بالأسرار الإلهية،** وأحياناً تصير حاملة لهموم كل جنس البشر، تندم عنهم، **وتتشفع في ذرية آدم، حيث يلتهب فيها الحب من جهة الطبيعة البشرية،** فتنوح وتولول عليها، وأحياناً يتقد فيها **فرح الروح لمحبة الإنسان،** دون أن تفرق بين الجيد والرديء، وأحياناً **تتضع جداً بالروح، لتعيش تحت كل شخص، حاسبة نفسها أقل وأدنأ الكل.** وأحياناً **تحارب بأسلحة الروح، كبطل يهجم على أعدائه،** و يقاتلهم بحرارة و يظفر بهم، **وأحياناً تستريح النفس،** وتصير في هدوء عظيم وسكون وصمت، منهمكة بملذات روحانية، وأحياناً **تعلمها النعمة بفهم وحكمة لا توصف،** بمعرفة الروح الفائقة].

[**وهكذا، ليس لفاعلية الروح القدس في النفس انقطاع، بل من فعل إلى فعل،** حتى تصل النفس إلى كمال الروح، و يتم تطهيرها من أهوائها الفاسدة، وتتحد بالروح المعزي بألفة لا توصف، وتختلط بالروح تماماً، وتُحسب النفس أهلاً لأن تصير روحانية في ذاتها بهذا الإختلاط].

(العظة ١٨ ــ ص ١٥٦، ١٥٧).

[النفس التي لا يكون **مطبوعاً عليها صورة الروح القدس السمائي بالنور الذي لا يوصف** (١)، فإنها لا تليق بالأمجاد السماوية، لأن الذي دُعي إلى الوليمة وليس عليه لباس العرس طُرد خارجاً، لأنه **لم يكن حاملاً للصورة**

---

(١) و يُرمز إليها بالهالة المنيرة التي تُرسم حول رأس القديس.

السمائية، لأن هذه هي علامة الرب وختمه المختوم على النفس ــ أي الروح القدس بنوره غير الموصوف].

(العظة ٣٠ ــ ص ٢٣٢).

[قد أتى ربنا يسوع المسيح ليحوّل ويجدد ويخلق ثانية النفس التي انعكست بالشهوات الدنيئة والمعصية، بحيث أنه يمزجها بروحه الإلهي، ليصنع لها عقلاً جديداً، وعيوناً جديدة، وآذاناً جديدة، ولساناً جديداً روحانياً، وبالإختصار يصير المؤمنون به بشراً جديداً، وإناءً جديداً، بعد أن يمسحهم بنوره، ليصب فيهم من الخمر الجديدة، أي روحه القدوس، كما قال إن الخمر الجديدة توضع في زقاق جديدة (مت ٩ : ١٧)].

(العظة ٣٧ ــ ص ٢٨٠).

[والروح القدس يعين هؤلاء، و يصونهم، و يرشد أنفسهم إرشاداً محسوساً به. كذلك فإن الروح القدس يلهم القديسين والأشخاص الموشحين به التسبيح، والترتيل، والصلاة لله بنقاوة قلب].

(العظة ٤٧ ــ ص ٣٠٠، ٣٠٢).

[ومتى صار قلب الإنسان وكأنه قد ذبل (بالتجارب)، وكاد يعثر في كل تجارب العدو، حينئذ يرسل الله، محب البشر والمعتني بخليقته، قوة مقدسة، و يثبته، و يُخضع قلبه ونفسه وجسده وكل أعضائه إلى نير البارقليط، لأنه هو قد قال: «احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١ : ٢٩)].

(الرسالة إلى أولاده : ١١).

[ومتى تجرب بكل أنواع (التجارب)، فإن الروح القدس يبدأ يعلن له الأشياء السمائية، أي كل ما يعود بالإستحقاق والعدل على القديسين، وعلى الذين وضعوا رجاءهم في رحمته].

(الرسالة إلى أولاده : ١٣).

[وبعد هذا كله يقطع البارقليط عهداً مع نقاوة قلبه وثبات نفسه وقداسة

جسده وتواضع روحه، فيجعله يتجاوز كل الخليقة. ويعمل فيه الروح القدس، بحيث أن فمه لا يتكلم بأعمال الناس، ويرى المستقيم بعينيه، ويضع حارساً لفمه، ويرسم طريقاً مستقيماً لخطواته، ويقتني برَّ يديه، والمثابرة في الصلاة مع تعب الجسد والسهر المتكرر. هذه الأشياء يرتبها البارقليط فيه بقياس إفراز، وليس بتشويش، بل بهدوء].

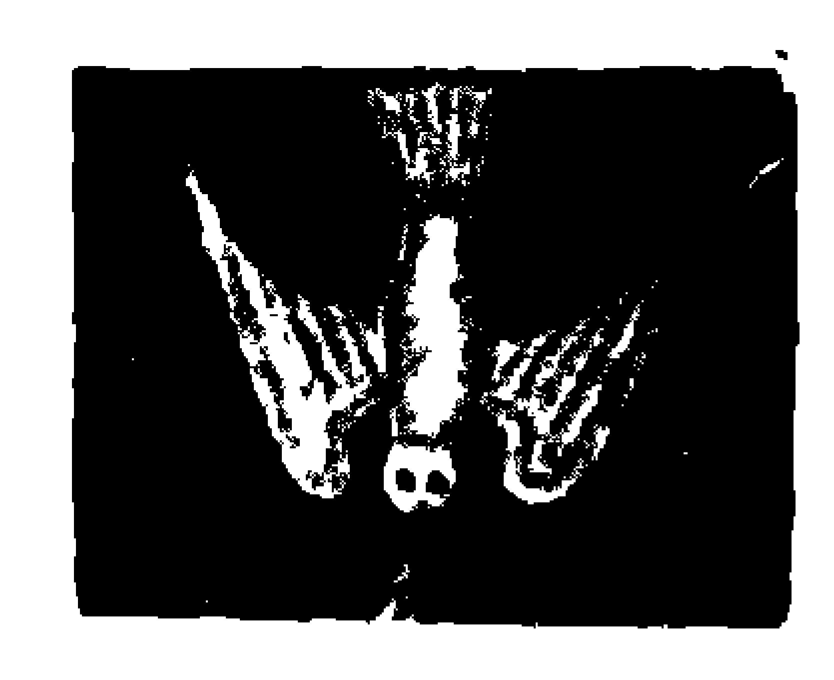
(الرسالة إلى أولاده: ١٤).

ويقول أنبا أنطونيوس:

[اعلموا ياأولادي الأحباء بالرب، أن الروح القدس أزلي سرمدي، يفوح رائحة زكية حلوة، لا توصف بلسان، كما قيل. من هم الذين عرفوا لذة الروح وحلاوته، إلا الذين استحقوا أن يحل فيهم. وهذا معلوم أن كثيرين لم يستحقوه، لأن روح التوبة لا يسكن في نفوس التائبين إلا بعد أتعاب كثيرة جداً. فإذا سكن فيها، يسلمها الروح القدس، ويحل فيها].

[وأيضاً الروح القدس لا يسكن في نفس متكبرة، بل في أنفس المتواضعين، الذين أفكارهم جميعها في الكمال. فإذا سكن في هؤلاء هذا الروح، فإنهم يرسلون للرب شكراً عظيماً وتمجيداً أكثر، لأنهم استحقوا حلول الروح القدس فيهم].

(الرسالة التاسعة عشر ــ ص ١١٢، ١١٣).



الفصل الثاني

الروح القدس في تعاليم مار إسحق

إن تعليم مار إسحق في جملته يعتبر امتداداً لتعليم القديسين الدين سبقوه، حيث يقرر ذلك في كتاباته النسكية التي تركها، معتبراً نفسه تلميذاً لمن سبقوه، و بالأكثر للقديس أنبا مقار الكبير. وهو يذكر أنه يستقي معرفته بتدقيق من كتاب أنبا مقار الذي كان بين يديه (وهو مفقود الآن).

ومار إسحق يُعتبر من القديسين القلائل الذين تركوا لنا منهجاً متكاملاً في الحياة النسكية. وقد خصَّ الروح القدس وعمله داخل النفس بجزء كبير من تعاليمه وإرشاداته، التي ضمَّنها كتبه الأربعة المعروفة. ونحن نقدمها مع تعليقات بسيطة قبل كل قول، عسى أن تجد منفذاً لقلب القارىء، فتحرك نفسه لإقتبال هذه النعمة الفائقة القدر.

(١) الصلاة وعمل الروح القدس

حزء أول ــ ميمر أول

(أ) الصلاة ومعونة الروح ــ «النعمة هي الملكوت» :

+ الصلاة إذا كانت بدافع الحب الإلهي تشجع الضمير وتُلبس العقل قوة، ومنها يتكون **الرجاء** الذي يلهب الضمير، ويجعل المجاهدين يصبرون على كل الضيقات وكل شرور الأرض، و يستهينون بها إزاء الخيرات الموعود بها. **وعلى هذا المنوال تظل النعمة وقوة الروح تشجع الضمير من وقت إلى وقت، و يراها كما في مرآة.**

+ والصلاة الكاملة تنير الطريق الضيق الصاعد فوق هذا العالم وترفع النفس نحو السماء. **وبالصلاة تنحدر (تنسكب) النعمة، هذه التي تسمى الملكوت.**

+ **والإحساس بالنعمة يجعل الإنسان ينسى كل ما على الأرض، حيث يتأكد الإنسان أن القوة هي من الله**، وبينما الإنسان على الأرض، تكون سيرته في السماوات. **ويحس الإنسان أن له مقوياً ومعيناً سمائياً غير منظور** يعضده في كل وقت و يرفع الإنسان فوق طبيعته.

جزء أول — ميمر ثانٍ

(ب) المجاهدة في الصلاة بتغصب والحصول على النعمة ومعونة الروح القدس:

+ إغصب نفسك قليلاً، وأنت تجد نعمة عند الله.

لأنك بقدر ما تغصب ذاتك في الصلاة، تقترب منك المعونة الإلهية، وتأخذ قوة من الروح القدس الخفي.

(جـ) تكريم الصلاة وتوقيرها يؤهل للحصول على النعمة وعلى عمل الروح القدس:

+ **بقدر الكرامة التي يقدمها الإنسان لله في الصلاة بحركات الجسد و بالضمير معاً، تأتيه نقاوة الحركات وإستضاءة، و يؤهّل لنعمة كثيرة من العلاء بتدبير الله.**

+ الإهتمام بوقار الصلاة ورفع اليدين و وقوف متعفف وسجود منسحق، هذه تعتبر زي الصلاة الحسن، وبقدر ما يزيّن **(الإنسان) نفسه بهذا الزي، فإنه يؤهّل سريعاً لعمل الروح القدس.**

+ **إذا لم نوافق الأفكار** والمناظر التي تتشكل في فكرنا وقت الصلاة وقاتلناها (بنشاط)، **فإن النعمة تؤازرنا.**

٢ — الجهاد وعمل الروح القدس

جزء أول — ميمر ثانٍ

+ **لا تصدق يا أخي أنه بدون جهاد الأعمال يمكن أن ينعتق الإنسان من الآلام (الشهوات المريضة) أو يشرق عليه نور النعمة.** لأننا رأينا أنه لا تُعطى المواهب إلا لأشخاص محبين للجهاد (عمّالين) قد تعرّوا من الإنسان العتيق.

٣ ــ جهاد الفضيلة يؤهل لفعل الروح القدس

جزء أول ــ ميمر ثالث

+ فضيلتان تؤهلان الإنسان لموهبتين:

الصلاة بغير فتور ولا طياشة، مع هدم لمح أفكار الشهوات (الآلام) ومجاذبات الشياطين حال ما تظهر في الفكر أو يحس بها القلب. هاتان الفضيلتان تلدان وتمنحان موهبتين إلهيتين، تشملان جميع مواهب الروح الأخرى، و يعتبرهما الأب إشعياء (الإسقيطي) أنهما تفوقان كافة الفضائل لأنهما أرفع منها جميعاً. هاتان الموهبتان هما:

الأولى: حركة روحانية داخل النفس تتأجج بنار الروح القدس لحب الله الكامل.

والثانية: رؤية نور مجد المسيح. «بنورك نعاين النور» (مز٣٦: ٩).

٤ ــ الجهاد ضد الأفكار الشريرة وعمل الروح القدس

+ إذا تجلد المتوحد وثبت في السكون ولم يرتخ في الجهاد، يبتدىء يجد الراحة قليلاً قليلاً وتعينه النعمة على الدوام، وتطرد الشياطين من أمامه **بفعل ومشورة الروح القدس «اللاصق به»**.

٥ ــ الجهاد بالأعمال الجسدية وعمل الروح القدس

جزء أول ــ ميمر رابع

+ كما أنه لا يستطيع إنسان أن يشعل النار المادية المنظورة من دون نوع من أنواع الوقيد، هكذا **من دون العمل المحسوس بالجسد لا يؤهَّل الإنسان لنار النعمة الإلهية في قلبه، ولا يمكن أن يقتني حرارة الحب الإلهي ومعرفة الله.**

٦ ــ احتمال الضيقات وعمل الروح القدس

+ الذي يشقي ذاته من أجل الله **ويجاهد وهو خائف من الخطية يستحق أن يرى عجائب الله.** لأن المتضايق من أجل الله يحمله الله على كفه أينما كان.

ولا يدنو منه شر بنوع التجربة إلا لكي يُظهر الله عنايته به !!، كما يقول القديس باسيليوس: [**من ذا الذي نال روح الله بالإتساع وكثرة المآكل !**].

٧ ــ احتقار أباطيل العالم ومحبة الآخرين يلازمها الروح القدس

+ كلما يهان العالم عندك، تزداد فيك المحبة نحو الآخرين، ويلازم هذا نعمة الروح القدس.

وكلما ازداد فيك التمسك بالعالم، نقصت فيك محبة القريب.

٨ ــ من احتمال التجارب، يؤهل الإنسان لعناية الروح القدس

+ من يقرع باب الكتب بحكمة، باب الفضيلة ينفتح أمامه، ومن يدخل باب الفضيلة، باب التجارب ينفتح عليه.

من يدخل باب التجارب من أجل الله، تحيط به عناية الله وتلتصق به الملائكة.

ومن يصبر على المجاذبات التي تصادفه في هذا الباب، يؤهّل لعناية الروح القدس.

٩ ــ الإتضاع يحرك الروح القدس

+ إذا لم يتضع الإنسان لا تقترب منه المعونة الإلهية.

لأن نعمة الله قائمة عن بُعد تراقب الإنسان على الدوام خصوصاً وقت الصلاة. فإذا تحرك فيه فكر اتضاع تقترب منه النعمة في الحال ومعها ربوات من المعونات. **وهذه تُمنح وقت الصلاة أكثر من بقية الأوقات.**

١٠ ــ السؤال بالليل والنهار بدموع يؤهل لعطية الروح القدس

+ الذي يقف أمام الله بالليل وبالنهار يسأل الله غفران خطاياه بدموع وحزن، يجود عليه بقوة بالروح القدس لكي يكمل في محبته ويحفظ وصاياه.

حتى وإذا لم يكن قد استحق بعد **لدموع النعمة**، وحتى ولو امتنعت عليه **دموع ندم النفس**، فإن حزن قلبه وندامة ضميره تقوم له بدل الدموع، ولكن على أن لا يهدأ من الصلاة والطلبة.

١١ ــ ترتيل المزامير والإمتلاء من الروح القدس

جزء أول ــ ميمر سادس

+ الذي يداوم ترتيل المزامير، بدون طياشة، يمتلىء من الروح القدس.

١٢ ــ الصلاة بحرارة الروح تحرق الشهوات والأفكار

+ حرارة الصلاة والهذيذ بالله تحرق الآلام (الشهوات المريضة)، والأفكار الشريرة كما بنار إلهية.

١٣ ــ الثبوت الدائم في الصلاة والروح القدس

جزء أول ــ ميمر سابع

+ إثبت في الصلاة أكثر من أي خدمة أخرى، **لتنال دالة...، ومعونة من النعمة، وقوة إلهية تحل عليك.**

١٤ ــ إذا كثرت النعمة تزداد جرأة الإيمان

جزء ثاني ــ ميمر أول

+ إذا كثرت النعمة في الإنسان، أحب البر والتقوى، وهان عليه الموت في سبيلهما، ولا يعود يبالي بمؤذيات الجسد، مهما بلغت، لأنه يقيسها مقابل الراحة المزمعة.

١٥ ــ سُكنى الروح القدس والتعزية بالتجارب

جزء ثاني ــ ميمر رابع

+ إذا سكن الروح القدس النفس، فإنه لا يعزيها بالإسترخاء والراحة؛ بل بالتعب والضيقات الدائمة، يعلمها و ينشطها ويحكّمها للمعرفة، لأن إرادة الروح القدس أن يكمّل بالآلام والأتعاب تدبير محبيه، أما الذين يسعون وراء حياة الراحة، فهؤلاء ليس روح الله يسكن فيهم بل روح الشيطان، هوذا بولس الرسول يفتخر أنه كان يموت كل يوم. وهذا الأمر هو الذي يفرز و يفصل ما بين بني الله و بني العالم، فبنو الله بالأتعاب يعيشون أما بنو العالم فبالراحة والتنعيم.

١٦ ــ القراءة المستنيرة تؤهّل لعمل الروح القدس

حزء ثاني ــ ميمر خامس

المبتدئون في السيرة الروحانية إذا كان قصدهم مستقيماً، فإنهم إذا ابتدأوا بالقراءة فإن النعمة تبتدىء تعمل معهم.

١٧ ــ الروح القدس يعمل في الصلاة الحارة النقية

جزء ثاني ــ ميمر سادس

+ **ليس هناك وقت أقرب وأوفق لعمل الروح القدس من وقت الصلاة**، لأن فيها يتكلم الإنسان مع الله، وفي هذا الوقت حيث التضرع والطلب تكون حركة النفس والفكر مُنجمعة إلى الله شاخصة فيه، فيُبتلع الضمير بالكلام مع الله. في هذا الوقت يبتدىء الروح القدس يجود على النفس، بمعرفة، حسب درجة الإنسان.

١٨ ــ الروح القدس البارقليط وقوة الإيمان المعزي

جزء ثاني ــ ميمر ثامن

+ **الإيمان هو نور يشرق داخل النفس، بعمل النعمة**، و بشهادة الضمير يستند القلب، فيثق بالرجاء بيقين، بدون انقسام أو أي ظن، وليس من التقليد أو سماع الأذن. والقديسون **بقوة الإيمان** يتدبرون بتنعم... **وقوة هذا الإيمان التي تحل عليهم في كل وقت وكل مكان هي هي من البارقليط**. وبهذه القوة ــ أي البارقليط ــ تشتعل كل النفس كما من حرارة النار، وتجسر على الأشياء الخطرة بثقتها بالله واتكالها عليه.

١٩ ــ عمل الروح القدس المفاجىء

جزء ثاني ــ ميمر تاسع

+ **إن النعمة قد تفتقد الإنسان «بغتة»**، فتفيض أحياناً الدموع من عينيه بغير توقف، أو يمتلىء من حزن توبة حاد يتحرك في القلب، أو فرح بغير سبب واضح، أو بلذة السجود الكثير (المطانيات).

٢٠ ــ الروح القدس وحزن التوبة

جزء ثاني ــ باب مشورات مفيدة

+ لا تـظـن أنـه مـن دون النعمة الإلهية يمكن أن يقع حزن التوبة في القلب، لأنها موهبة يقبلها الإنسان خفياً برحمة الله للإنجذاب إلى الحياة.

٢١ ــ تبادل مستمر بين عزاء الروح القدس وبين التخلية والأحزان والقتالات

باب مشورات مفيدة

+ هـذا الأمـر كـتـب عـنـه الـقـديـس أنـبـا مقار بعناية كثيرة واهتمام، لتذكرة الإخوة وتعليمهم، لئلا يسقطوا في قطع الرجاء وقت انقلاب العزاء إلى الضد.

قال أبّا مقار يوس:

[الـتقلّب يحدث لكل إنسان كتقلب الرياح، في وقتٍ بردٌ و بعد قليل حرارة. **وهـذا إنما يـكـون لتدرّجنا في الطريق وتدريبنا: وقتٌ قتالٌ ووقتٌ معونة من الـنـعـمة**، وقتٌ تدخل النفس في ألم مفسد وتتواثب عليها أمواج صعبة؛ ثم يحدث الـتـغيير وتـفـتـقدها النعمة، فتملأ القلب فرحاً وسلاماً من الله وأفكاراً عفيفة صالحة ــ وهنا يشير القديس أنبا مقار بقوله: «أفكار عفيفة صالحة» إلى أن مـا قـبـلـهـا كـانـت بـالـضـرورة أفـكاراً وحشية نجسة ــ (التعقيب هنا لمار إسحق). ثم إذا تـواترت هكذا العوارض من صالح إلى ما هو ضده لا تَضعفْ وتـقـصّـرْ وتـقطع الرجاء. كما أن في وقت افتقاد النعمة لا تفتخر بل بالحري في وقـت الفرح انتظر الضيقة ــ وقول القديس أنبا مقار: «لا تقصر وتقطع الرجاء وقـت تواتر الضيقة» ليس معناه أن نقعد ولا نحارب قبالة الضيقة ــ (التعقيب هنا لمار إسحق). أما الذي يتخلف عن هذا فهو يكون من نصيب الذئاب].

إنتهت رسالة أنبا مقار.

و يستمر تعقيب مار إسحق هكذا:

+ يـالـلـعـجـب مـن هـذا الـقـديـس أنبا مقار ــ كيف بكلمة صغيرة حصر هذا

الفصل الكثير المفهومات والمعاني، فاستطاع أن يطرد الشك بالتمام من فكر القارىء عندما قال: «المتخلف عن هذا هو من نصيب الذئاب»، و يقصد بذلك الذي يريد أن يسلك وحده في طريق لم يسر فيها الآباء القديسون.

+ وفي موضع آخر يقول القديس أنبا مقار: [إذا دنت منا الملائكة القديسون، فإنهم يملأوننا من الرؤية الروحانية، ويهرب من أمامنا جميع المقاومين، و يكون لنا عندئذ هدوء وسلام لاينطق بهما].

٢٢ ــ التوبة والروح القدس

الجزء الثاني ــ روح التوبة

+ التوبة إذا سكنت في القلب تعلِّم الإنسان اتضاع النفس والإزدراء بالذات، وهذان هما حصن كل الفضائل. كما **توحي إليه التوبة بأعمال تغصبية كثيرة خفيّة وظاهرة، تفعل في القلب وتنقيه وتعدُّه لقبول الروح القدس.**

٢٣ ــ الروح القدس والإحتراس والتدقيق

الجزء الثاني ــ روح التوبة

+ أنا أشير عليك أيها التائب المتضع لأجل الحب، **إن كنت قد ظفرت بالرحمة وتنقيت بالتوبة وبدأت تؤهَّل لأفعال الروح القدس، احترس أن لا تسيِّب حواسك، واحفظ قلبك ونُسك بطنك**، واحرص على الوداعة التي فيك، و بالأكثر احفظ لسانك، وتضرَّع بدموع كثيرة أن يحفظك المسيح خفياً وظاهراً، **ورتل مع داود النبي «روحك القدوس يارب لا تنزعه مني»** (مز٥١: ١١).

٢٤ ــ إمكانية السقوط بعد نيل النعمة

الجزء الثاني ــ روح التوبة

+ حتى ولو أن القلب يتقدس بحلول الروح القدس و يؤهَّل لإستعلان أسرار المعرفة، إذا الإنسان بدأ يستعمل الإنحلال وعدم الإحتراس، و يتهاون في التدبير، ويميل إلى الشبع، و يرجع إلى قيئه الأول، فإن القلب يظلم بالتخلية، ويخيب من النور والحياة والنعمة.

٢٥ ــ الروح القدس والإتكال على ذراع البشر

الجزء الثاني ــ في ترتيب السكون

+ لا تتكل على إنسان، لئلا تخيب من النعمة.

٢٦ ــ الروح القدس والجهاد ضد الخطايا

الجزء الثاني ــ في ترتيب السكون

+ الإنسان الذي يحارب قبالة الآلام (الشهوات المريضة) بحسب الوصايا لكي يقطعها من القلب، فإن النعمة لا تهدأ من مساعدته خفياً.

٢٧ ــ الروح القدس والصوم

الجزء الثالث ــ الباب الرابع

+ الصوم واسطة بين الناموس القديم والنعمة المجانية الموهوبة لنا من المسيح تعالى، ومن يتهاون بالصوم يتراخى و يضعف عن بقية الجهادات. وبدل النصرة يضع نفسه في خطر قبالة الإنهزام في الحروب، لأنه بدون الصوم يكون قد وفد إلى الجهاد عارياً من السلاح (الصوم)، لأن الصوم هو درع الأعضاء، والجوع هو سلاح الحفظ، الذي يجعل الفكر رصيناً ثابتاً عند مصادمة الآلام الصعبة والضوائق المحزنة!!

٢٨ ــ الروح القدس والصلاة الدائمة

الجزء الثالث ــ الباب الرابع

+ إذا أُهِّل الإنسان للصلاة الدائمة فهويكون قد بلغ إلى كمال السيرة، لأن الروح القدس يكون ساكناً فيه، لأنه إذا لم يقبل الإنسان موهبة البارقليط على التحقيق، لا يمكنه أن يصلي على الدوام براحة، لأن الروح القدس إذا سكن في إنسان، فإنه لا يفتر عن الصلاة، لأن الروح فيه يصلي على الدوام، فإن كان مستيقظاً أو نائماً لا تنقطع الصلاة من نفسه.

٢٩ ـ الروح القدس والصلاة الروحانية

الجزء الثالث ـ الباب الرابع

+ **الصلاة الروحانية هي حركة النفس الداخلية، عندما تكون في شركة مع الروح القدس؛** حيث ترتفع النفس فوق طبيعتها وتتخلف عن الشعور بالأمور الحاضرة.

٣٠ ـ الروح القدس ومعونة البسطاء المتكلين على الله

الجزء الثالث ـ الباب السادس

+ نعمة الله تحمل الناس ذوي الطهارة والبساطة، الذين ألقوا مقاليدهم في يد الله ونبذوا العالم من كل قلوبهم وساروا وراءه حسب وعده. **فتضرَّع أنت إلى الله، وابكِ تجاه نعمته، ونُح، واشقَ الليل والنهار أمامه، إلى أن يُنفِذ لك معونة نعمته.**

٣١ ـ الروح القدس والسقوط في البرودة والثقل

الجزء الثالث ـ الباب الرابع عشر

+ **أنا أتضرع إليك بمحبة** إذا أنت تجربت بهذه الأمور (البرودة وثقل الأعضاء)، التي يطلقها الله على الإنسان ليمتحنه ويختبره بها، **انهض حالاً بحرارة وغيرة، وانفض عنك (التهاون والكسل)، واغصب نفسك قليلاً، فإن النعمة تدنو منك** كما كانت أولاً، وتأتيك قوة أخرى مُخفى فيها أنواع كثيرة من المعونات، وحينئذ يتعجب الإنسان من مثل هذا التغيير و يتفلسف.

٣٢ ـ الروح القدس والتجارب

الجزء الثالث ـ الباب الرابع عشر

+ **إن الباري، سبحانه، قد رأى بحكمته أن تكون النعم بمقدار المحن!!**

فلا يمكن أن تأتي موهبة عظيمة وتسبقها تجربة ضعيفة!! والعزاء على مقدار الحزن!!

لأن هذه وتلك مرتَّبة بمقدار بعضها على البعض.

تأتي التجربة، وبعد ذلك المواهب والنعم!! أو أن النعمة تأتي أولاً وتعقبها التجربة!!

على أن التجربة لا تأتي إن لم يسبق الله و يرفع منزلة النفس عن مقدارها الأول.

غير أن النعمة لا تتقدم إلى أحد إن لم يسبق و يذُقْ التجارب، وهذه وتلك للتهذيب.

٣٣ ــ الروح القدس والصبر في الضيقات

الجزء الثالث ــ الباب الحادي والعشرون

+ كل الضيقات والأحزان التي لا تحتملها بصبر، عقابها يتضاعف عليك. **وصبر الإنسان يزيل مصائبه،** أما صغر النفس فهو أصل العذاب.

الصبر قوة تتولد من سعة القلب، وعسير على الإنسان أن يحصل عليها بدون النعمة الإلهية، التي تتحنن على الإنسان من مواصلة الصلاة والطلبات والدموع الغزيرة. **وأيضاً بمقدار اتضاعك ينعم عليك الروح بالصبر في أحزانك؛** وعلى قدر احتمالك يخف عليك ثقل شدائدك و يزداد عزاؤك؛ **ومن كثرة عزائك تزداد محبتك لله؛ وبقدر محبتك تعظم مسرتك بالروح القدس!!**

٣٤ ــ الروح القدس ونعمة العزاء

الجزء الثالث ــ الباب السابع والعشرون

+ **إذا كثر الصبر في نفوسنا، فإنه يكون دليلاً على أننا قبلنا نعمة العزاء في الخفاء** = (أي البارقليط، أي المعزِّي).

٣٥ ــ الروح القدس والحركة الأولى داخل النفس للخلاص

الجزء الثالث ــ الباب الثامن والعشرون

+ إن الحركة الأولى الحالَّة في الإنسان من قِبَل محبة الله للبشر، عملها هو أن ترشد النفس إلى الخلاص، وهي تأتي في القلب حتى قبل أن تتغير طبيعته (العتيقة)، و يتبع هذه الحركة تهاون بالعالم، وتنبع منها جميع الحركات الصالحة المؤدية إلى الحياة.

٣٦ ــ الروح القدس وسكنى النعمة في القلب

الجزء الثالث ــ الباب الثامن والعشرون

+ النعمة لا تأتي دفعة واحدة وتسكن بالكمال في النفس، بل قليلاً قليلاً، لأنه لابد أن يكون وقت للتجربة ووقت للعزاء. ولا يزال هذا يلازمنا إلى وقت الخروج من العالم.

٣٧ ــ الروح القدس ومذمَّة الناس

الجزء الثالث ــ الباب الحادي والثلاثون

+ الإنسان الذي يطلق لسانه على كل الناس بالجيد والرديء، لا يؤهَّل لنعمة الله.

٣٨ ــ الروح القدس ورفع النعمة بغتة

الجزء الرابع ــ في أنواع الأفكار

+ الإنسان الذي يلومه ضميره ثم يسوِّف ويدوس على ضميره بلا تقويم، وبعد هذا تظل عناية الله تنبهه للتوبة ولا تكف عن تأديبه؛ في وقت تقمعه وفي وقت تكرمه؛ وفي وقت ترذله وتحزنه بالعوارض والأمراض والخسارات، ثم تجذبه بالرحمة للتقويم ــ وبالرغم من ذلك كله يقيم هو مزدرياً متهاوناً بطالاً لا يتحرك لنخس النية، **ترتفع منه النعمة بغتة.**

٣٩ ــ الروح القدس وضبط الهوى

الجزء الرابع ــ مشورات نافعة

+ الذي يغلب مشيئة نفسه ويضبط هواه، هو مجاهد نشيط، والنعمة تعمل فيه بزيادة.

٤٠ ــ الروح القدس ومحبة الصلاة

الجزء الرابع ــ مشورات نافعة

+ الذي خارجاً عن الصلاة يظل ضميره منشغلاً بكلام الله، يكون قد ربط نفسه بعمل عظيم متضاعف، والنعمة تعمل فيه بزيادة.

٤١ ـ الروح القدس والصلاح المغروس في طبيعة النفس

الجزء الرابع ــ رؤوس معرفة

+ الصلاح موضوع في طبع النفس، كالنار الموضوعة في طبع الحجر والحديد وهي مفتقرة لمن يحركها. والذي يحركها هو النعمة مع حرص الإنسان واجتهاده (هذا الكلام عجيب جداً وعميق جداً).

٤٢ ـ الروح القدس والصلاة بدون كلمات منطوقة

الجرء الرابع ــ رؤوس معرفة

+ الذبيحة غير الهيولية (غير المادية: أي الروحانية) هي **سجود العقل** عندما يشخص بالصلاة، وإنما بدون كلمات منطوقة، **بل بالروح**، حيث العقل يظل مطأطئاً رأسه أمام العظمة.

+ توجد صلاة بكلمات منطوقة، ولكن غير محدودة وغير محفوظة: هذه من فعل الإرادة الصالحة. **وتوجد صلاة بكلمات غير منطوقة: هذه من فعل الروح القدس والنعمة والمعونة خفياً.**

٤٣ ـ الروح القدس وتقديس القلب والكلمة

الجرء الرابع ــ رؤوس معرفة

+ القداسة هي أن الإنسان يتقدس بقوة فعل الروح القدس بالصلاة.

+ وإلى أن يتقدس قلبنا بروح الرب، لن نقدر أن نفرز الحركات التي من الشيطان، والتي من الملائكة، والتي من الطبع، والتي من تحريك الروح القدس.

+ إلى أن تتقدس كلمتنا بالروح القدس، لن تكون مخيفة للشياطين، ولن تخضع لها الطبائع الصامتة أو الناطقة.

+ إلى أن نتطهَّر من أفعال الخطيئة، لا يحلّ في أنفسنا الروح القدس.

+ إلى أن يصفو العقل، ما يستطيع أن يشترك في فعل الروح القدس.

+ إذا امتزجت قوة الروح القدس بهذيذ العقل، يرتفع العقل إلى قدرة الدهش في الله.

٤٤ ـ الروح القدس وإمكانية الإحساس به

الجزء الرابع ـ رؤوس معرفة ـ ميمر أول

+ **الإحساس بالنعمة عقلياً** إنما يبدأ **بالإحساس بعمل التوبة** عقلياً، (يقصد الإحساس المعقول وليس الإحساس الملموس).

٤٥ ـ الروح القدس وتقديس هيكل النفس والصلاة الدائمة

الجزء الرابع ـ رؤوس معرفة ـ ميمر أول

+ عمل القديسين بني النور هو عمل ميخائيل وجبرائيل، ومن مائدة واحدة يغتذون، **وصلاة القديسين بني النور لا تنقطع لأنه قد تقدَّس هيكل نفسهم بالروح.**

٤٦ ـ الروح القدس وذبيحة جسد المسيح

الجزء الرابع ـ رؤوس معرفة ـ ميمر أول

+ **في الساعة التي يقدّم فيها الكاهن ذبيحة جسد المسيح ودمه المحيي، يحل الروح القدس ويمنح الغفران للخليقة.** والشاروبيم والسيرافيم والملائكة يقفون بدهش عظيم، و يفرحون بالأسرار المقدسة بعجب لا ينطق به.

٤٧ ـ الروح القدس والقفز في الطريق الضيق بتسرع

الجزء الرابع ـ رؤوس معرفة ـ ميمر أول

+ **ليس لنا أن نبلغ إلى الميناء الهادىء بالوثب**، ولا أن نعبر إلى بلد السلامة بدون صبر على الضوائق والتجارب المختلفة، ومقاساة شرور الشياطين والجهادات والحروب الصعبة حتى الدم؛ **ولا يمكن أن نحسّ بالحق بدون النعمة** وهداية الأب الروحاني.

+ أما الصبيان بحرارة الوثبات الطبيعية (الطموح الروحي بالنشاط المزيّف)، فإنهم بسبب حماسهم المعثر يتراءى لهم أنهم بلغوا هدفهم عندما يقرأون سيرة الآباء و يتمثلون بكلامهم أو يسمعون تعليماً يفوق قامتهم. هؤلاء تمقتهم النعمة وتحكم عليهم أن يصبروا ولا يقفزوا في الهواء ظانين أنهم يعملون العظائم، وتحكم عليهم أن يعملوا في الكرم بهدوء حتى زمان الراحة الحقيقية. **فإذا تجاسروا بزيادة، تتخلى عنهم النعمة**

فيقعوا في ربوات التجارب، و ينمحقوا بآلام الجسد، وتغشاهم ظلمة النفس، وتستهزىء بهم الشياطين.

٤٨ ــ الروح القدس وعمله بعد المعمودية

الجزء الرابع ــ رؤوس معرفة ــ ميمر ثان

+ الذي قد وُلد روحياً من العماد المقدس وتتلمذ للتدبير الملائكي، ينبغي له أن **يعمل ويجاهد مقابل الآلام، و يسأل نعمة الله أن يولد للطهارة، و يؤهَّل إلى ما هو فوق الطبع بسر استعلان الروح القدس، لكي يقبل عربون مجد كنز البنوة.**

+ **نحن نأخذ الروح القدس بعد العماد كالعربون لإبطال الخطية، ونَيْل قوة نقاتل بها قبالة الآلام والشيطان، فإذا تأهّلنا لنقاوة القلب بالجهاد مقابل الآلام** (الشهوات المريضة)، **فإن الروح القدس يزيد لنا قوة منه لكي نستطيع أن نكون فوق الطبع، وأن نقبل مجد الرب باستعلان نوره غير المنطوق به.**

+ **هذه القوة ــ قوة الروح القدس ــ كمَّلت كل الأبرار والقديسين في أجيالهم. هذا هو الروح القدس الذي دُعي من ربنا روح البارقليط، ودُعي من بولس الرسول مكمِّل القديسين، واصطلح الآباء على تسميته روح الإستعلانات.**

٤٩ ــ الروح القدس يقرع ولا يستطيع الدخول

الجزء الرابع ــ رؤوس معرفة ــ ميمر ثان

+ **ما دامت الشهوات (الآلام) ثابتة في القلب، والنفس تميل إليها وتتنازل معها، فإن الروح القدس لن يجد له راحة داخل تلك النفس، يقرع ولا يستطيع العبور للداخل، غير أنه يصبر و يثابر على قرع باب القلب كطبيعة محبته.**

٥٠ ــ الروح القدس ودعوة الخطاة

الجزء الرابع ــ رؤوس معرفة ــ ميمر ثان

+ **إفهم هذا أيضاً، أنه حتى العشارون والزناة لا تهدأ النعمة من أن تدعوهم وتوقظهم وتجذبهم للتوبة**، وتذيقهم طعم الحياة، وتصيدهم بصنارة روحانية للحياة الأبدية.

كلمة في الختام

لم نشأ أن نبوِّب أقوال مار إسحق، لأنها بوضعها الحالي تتناسب في تدرجها مع كل قارىء، و يقيناً لو انفتح قلب القارىء لاستطاع أن يكسب كثيراً جداً من هذه السطور القليلة بوضعها البسيط هذا.

و يلاحظ القارىء أن ما دونَّاه عن الروح القدس في هذا الكتاب، إنما هو خبرات أعظم الآباء النساك الذين عاشوا بالروح وتكلموا بالروح وكتبوا لنا شيئاً مما عاينوه ومارسوه، فالأمر الآن لا يختص بمعرفة ونقاش وجدل، إنما يختص بتوبة وحياة في مخافة الله بسر الروح.

يارب ارسل فيضاً من روحك القدوس على كنيستك في هذه الأيام،
واملأ شعبك من مواهب الروح،
ليذوق مختاروك بهجة الخلاص، و يفرحوا بنور وجهك، و يتهللوا بعمل نعمتك في حياتهم كل يوم،
بصلوات كل قديسيك الذين كملوا في المجد
وصلوات قديسيك الذين لا يزالون يجاهدون في الحق.
و بالأكثر املأ رأس كنيستنا البابا شنودة وكل إخوته المطارنة والأساقفة بكل ملء الروح.
حتى يسري عمل نعمتك في مجراه التقليدي إلى كل فرد في رعيَّتك المقدسة.

العظة السابعة والخمسون (*)

للقديس مقاريوس الكبير

١ ــ الروح يهبُّ حيث يشاء.

فهو يهبُّ على النفوس المضيئة المشعَّة الإلهية التي تشتاق بشدة أن تخدمه بكل اجتهاد.

فإن كانت مطيعة للروح المستحق كل سجود، فهو يعطيها مخافة الله وحرارة المبتدئين.

ومتى صار ذلك فيها، يعطيها أن تبغض العالم تماماً وكل ما يمكن اشتهاؤه فيه للهلاك: الذهب والفضة وثياب الجسد المغرية، كما أيضاً الأب والأم والزوجة والأولاد.

ثم يجعل عملَ الله للإنسان أحلى من العسل ومن شهد العسل، سواء كان تعبَ الأصوام أو سهر الليالي أو السكون ἡσυχία أو خدمة الآخرين أو الصدقة، فإن كل أمور الله تصير له حلوة.

٢ ــ ولكن متى علَّمه كل ذلك، فإنه يسلِّمه إلى التجربة.

وحينئذ كل ما كان له حلواً، يصير له ثقيلاً وصعباً.

وكثيرون من الذين لم يجرِّبوا قبل ذلك، يسقطون تحت هذا الثقل و يصيرون جسدانيين. وهم الذين يقصدهم بولس حينما يقول: «أبعدما ابتدأتم بالروح، تُكمَّلون الآن بالجسد؟ أهذا المقدار احتملتم عبثاً؟» (غل٣: ٣، ٤).

(*) وهي إحدى سبع عظات لم تترجم بعد لأي لغة، مرقمة من ٥١ إلى ٥٧؛ ترجمت من الفرنسية عن الأصل اليوناني في الپاترولوچيا جريكا.

وقد رأينا أن نقدمها للقارىء هنا في الختام، كنموذج للتركيز الآبائي على فعل الروح القدس داخل النفس.

فما احتملوه عبثاً إنما هو الأتعاب التي احتملوها من أجل الله.

لأن الإنسان الذي تلاشى عزمه تماماً وترك السعي، لم يفقد فقط أجر أتعابه، بل صار معرَّضاً لعقاب أعظم، لأنه احتقر وبدّد النعمة التي من فوق.

٣ ـ أما إذا قاوم الإنسان الشيطان في هذه التجربة الأولى وغلبه، فإن الله يعطيه حرارة متصلة رزينة وبدون اضطراب. لأن الحرارة الأولى كانت مندفعة ومشوَّشة وغير منتظمة؛ وأما الثانية فهي أفضل، وهي تولِّد الرؤيا، إذ أنها تثمر بالصبر وليس بها اضطراب، بل هي صادقة وغير مشوَّشة.

فمثل سفينة راسية في ميناء هادىء، هكذا الحرارة الثانية كلها سلام.

٤ ـ والآن أيها الأولاد، اقتنوا هذه الحرارة الثانية لكي تخف عليكم جميع الأشياء، لأن هذه الحرارة التي بحسب الله تطرح إلى خارج كل الآلام، وتطرد من الإنسان كل ثقل (ضجر)، وتجعل اللاهوتية تساكنه بحيث يصير هيكلاً لله، كما هو مكتوب «سأسكن معهم وأسير بينهم» (لا ٢٦: ١١، ١٢، ٢ كو٦: ١٦).

٥ ـ فإذا شئتم أن تعود إليكم الحرارة التي فارقتكم، فهذا ما ينبغي أن تعملوه:

ليقطع الإنسان عهداً بينه وبين الله، وليقل في حضرته:

«إغفر لي ما صنعته في تهاوني»، وأيضاً «لن أعود أعصاك بعد».

ولكي يحفظ نفسه في المستقبل من كل تهاون، يجب عليه أن لا يعطي ذاته أبداً أية راحة جسدية ولا نفسية، بل ليكشف أفكاره أمام الرب نهاراً وليلاً، وليبكِ بلا انقطاع أمام الرب وليبكِّت نفسه بكل حزن قائلاً لها: «كيف صرتِ متهاونة حتى الآن؟ كيف بقيتِ قفرة كل هذه الأيام؟».

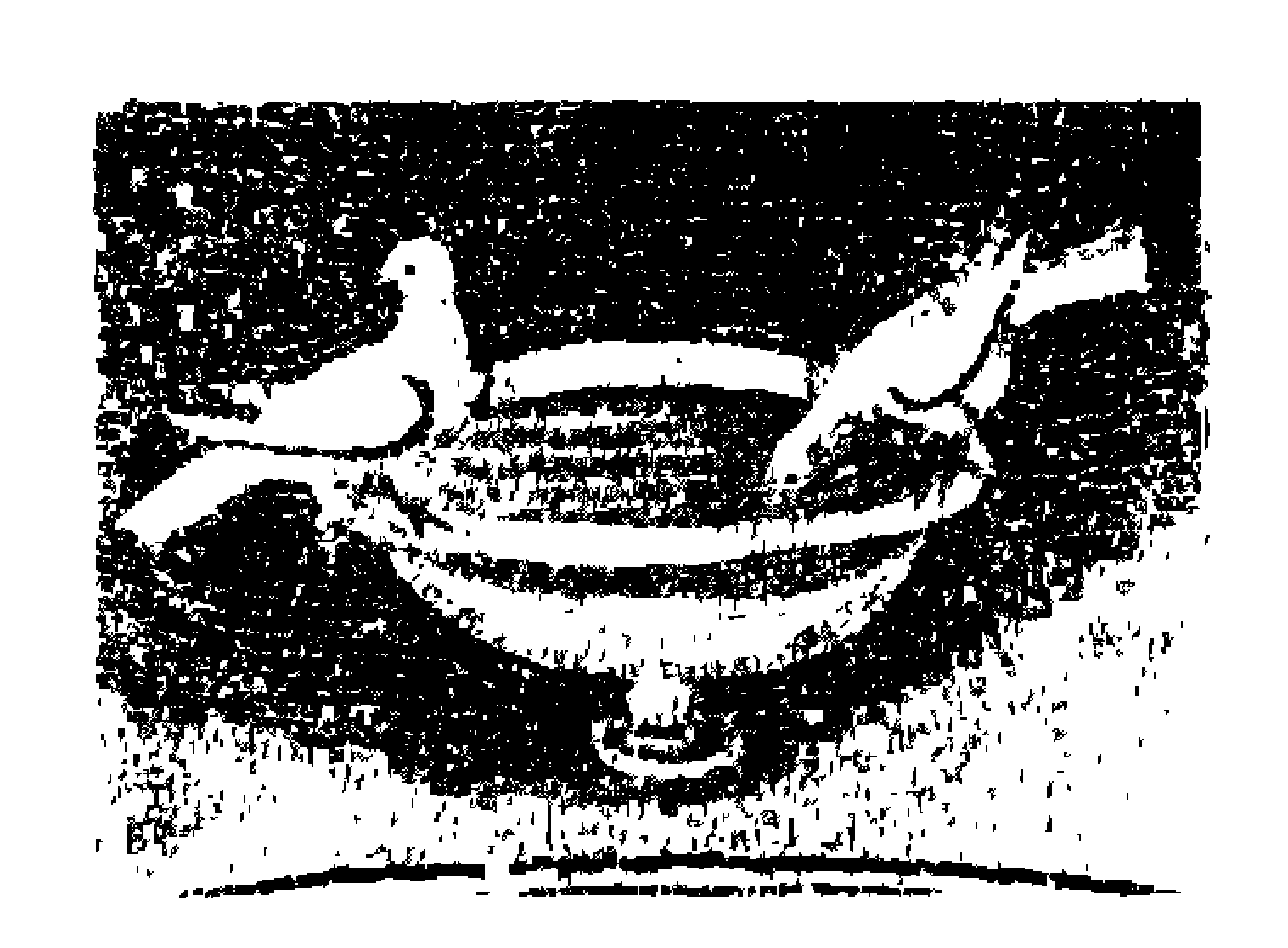
ولكي يحفظ في نفسه ذكر الدينونة والملكوت الأبدي، يجب عليه أن يبكِّت نفسه باستمرار قائلاً لها: «كيف!... أجزل الله لكِ كل هذه الكرامات وأنتِ تعيشين في التهاون؟ لقد أخضع لكِ الخليقة كلها وأنتِ لا تكونين مطيعة؟». فمتى قال هذا لنفسه مبكِّتاً إياها ليلاً ونهاراً وفي كل ساعة، فإن الحرارة الإلهية تعود إليه سريعاً ـ ولكن

حرارة أفضل على كل وجه من الأولى.

٦ ــ لما أحسّ الطوباني داود الضجر نازلاً عليه قال: «تفكرتُ في أيام القدم في السنين الدهرية وكنت أتأمل» (مز٧٧: ٥)، وأيضاً: «تذكرت الأيام الأولى ولهجت في كل أعمالك، وفي صنائع يديك كنت أتأمل، صارت نفسي لك مثل أرض بلا ماءٍ» (مز١٤٣: ٥، ٦).

فمتى استعدت الحرارة داخلك، اشتغل بالهذيذ بعظائم الله.

وحينئذ ستخلص بنعمة الآب والإبن والروح القدس إلى الدهر، آمين. □



كتاب

العنصرة

يوم الخمسين

(سنة ١٩٦٠)

المحتويات

رقم عام/خاص



العنصـــرة

أولاً ـــ في معنى العنصرة

أصل الكلمة(1):

كلمة العنصرة كلمة عبرية أصيلة، وهي ليست أرامية ولا سريانية؛ وهي تستعمل في العبرية الحديثة في ما كانت تُستعمل فيه في العبرية القديمة تماماً. وأصل الكلمة «عَسَار» ومنها كلمة «عَسَريت» التي جاءت منها كلمة العنصرة. والكلمة «عسار» معناها «اجتمع» أو «جمع»، حيث كانوا يجتمعون و يعيِّدون في هذا العيد. وهي تأتي أيضاً بمعنى «منع» أو «امتنع» لأنه يمتنع فيه العمل لأنه يوم مقدس.

وعيد العنصرة عند اليهود هو «**عيد الأسابيع**»، أو «**عيد الحصاد**»، أو «**عيد الخمسين**». وعيد الأسابيع ترجمته العبرية «هَجْشبعوت»، حيث «حاج» بمعنى عيد، و«شبعوت» = السبوعات أي الأسابيع. و يسميه العلماء و بالأخص علماء التلمود «عَسَريت»، أما عيد الحصاد فترجمته العبرية «حاج هفصير» حيث «هفصير» هو الحصاد، وأُطلق على هذا العيد في الترجمة اليونانية للتوراة كلمة «بنتيكستي» أي الخمسين.

والكنيسة استعارت هذه الكلمة (العنصرة) كما هي وأطلقتها على عيد حلول الروح القدس. ولأنه يقع في اليوم الخمسين من قيامة الرب فهي تسميه أيضاً بعيد «البنتيكستي» أي عيد الخمسين.

وكلمة «العنصرة» تشير في أصل اشتقاقها اللغوي إلى «الجمع» أو «الحفل»، لذلك فالكنيسة مُحقَّة أيضاً في جعل إسم العنصرة وقفاً على هذا العيد بالذات، لأن في

---

(1) Dictionaire de Maleh

هذا اليوم تقدّس محفل التلاميذ بحضور الروح القدس تقديساً مستمراً، فصار ذلك المحفل المقدس كنيسة مقدسة، لم يفارقها الروح القدس منذ ذلك اليوم إلى وقتنا هذا...

لا عجب إذن أن تعيّد الكنيسة عيد العنصرة، هو عيدها.

وهي لا تغفل في عيدها هذا أن تصلي مع الكنيسة المنتصرة أختها التي في السماء، فترفع في هذا اليوم بخوراً كثيراً جداً مع صلوات متواترة على أرواح المنتقلين كنوع من الشركة المتصلة وتبادل الشفاعة، لأنها ترى في ذلك كمال التعييد!

*
* *

في سفر التكوين نقرأ كيف خلق الله الإنسان من تراب الأرض؛ خلقه وأعطاه نسمة حياة على صورته ومثاله... وقصة سقوط الإنسان في المعصية وانغلابه للشر والخطية، وسريان حكم الموت في كيانه الإنساني قصة تحوي من الأسرار العميقة شيئاً لا يُستهان به، نود لو نعود إليها بالشرح والتوضيح في مناسبة أخرى لو يشاء الله ذلك،... ولكننا نعلم على كل حال أن الإنسان الأول أنسل نسلاً بعد قبوله الموت في كيانه نتيجة لخطيئته، وبذلك صار كل بني آدم في الخطية يولدون وبالخطية يموتون...

كان هذا إلى أن جاء المسيح الرب منقذ جنسنا من الخطية والموت... لأنه «هو نفسه حمل خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر» (٢)...

ولما مات المسيح رفع عنا حكم الموت «لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية» (٣) وبذلك صارت طبيعتنا البشرية حرة مرة أخرى؛ ولكن ظلت في حاجة إلى قوة جديدة تحفظها، وإلى عمل إلهي جديد يرفعها إلى مستوى القداسة اللائقة بحياة الشركة مع الله... «لكي لا يعيش (الإنسان) أيضاً الزمان الباقي في الجسد لشهوات الناس بل لإرادة الله» (٤).

---

(٢) ١بط ٢: ٢٤.　　(٣) رو ٦: ١٠.　　(٤) ١بط ٤: ٢.

في يوم الخمسين من موت الرب وقيامته تقبّلت الطبيعة البشرية هذه القوة الروحية الجديدة، تقبّلتها بصورة ظاهرة، فحلّ الروح القدس على التلاميذ جهاراً بصوت مسموع ومنظر أخّاذ، ودخل وملأ الطبيعة البشرية فجدّد خلقتها وقوّاها ورفع من مستواها الروحي بشكل عملي إعجازي فائق، أدهش الذين عاينوا حوادث ذلك اليوم العظيم الخالد...

في يوم الخمسين حدث فعل خَلْقي جديد في طبيعة الإنسان، ظهرت مفاعيله في سلوك التلاميذ وفي إمكانياتهم وفي لغتهم وفي مفهوماتهم وفي علمهم، الأمر الذي حيّر رؤساء الكهنة والحكام؛ ولكن لم يقتصر هذا التغيير المفاجىء الشديد على التلاميذ، بل المدهش حقاً أنه انتقل إلى كل من آمن واعتمد وقبل وضع اليد، حتى فُهم جيداً أن حلول الروح القدس على التلاميذ كان عملاً تكميلياً لأعمال الخليقة الأولى... لذلك نرى أن يوم الخمسين أصبح مرتبطاً باليوم السادس من سفر التكوين ارتباطاً جوهرياً من حيث خلقة الإنسان...

فالعنصرة من هذا الوجه ميلاد جديد للتلاميذ في طبيعة جديدة خلقها المسيح من جسده بموته وقيامته وعمل الروح القدس...

وحينما نتأمل في الوضع الذي كمل فيه هذا العمل الخَلْقي الجديد نندهش إذ نجد أنه لم يتم بصورة فردية كخلقة آدم الأولى، بل كان التلاميذ مجتمعين معاً «مع النساء ومريم أم يسوع» (٥) في حالة خشوع وصلاة. إذن فطبيعة الإنسان استقبلت خلقتها الروحية الجديدة على صورة كنيسة!!!

هذا معناه أن ميلاد الإنسان الجديد محصور في ميلاد الكنيسة، وطبيعة الإنسان الجديدة لابد وأن تشمل في صميم جوهرها ارتباطاً حياً وصلة وثيقة بالكنيسة... لا توجد فردية في الخليقة الجديدة!!

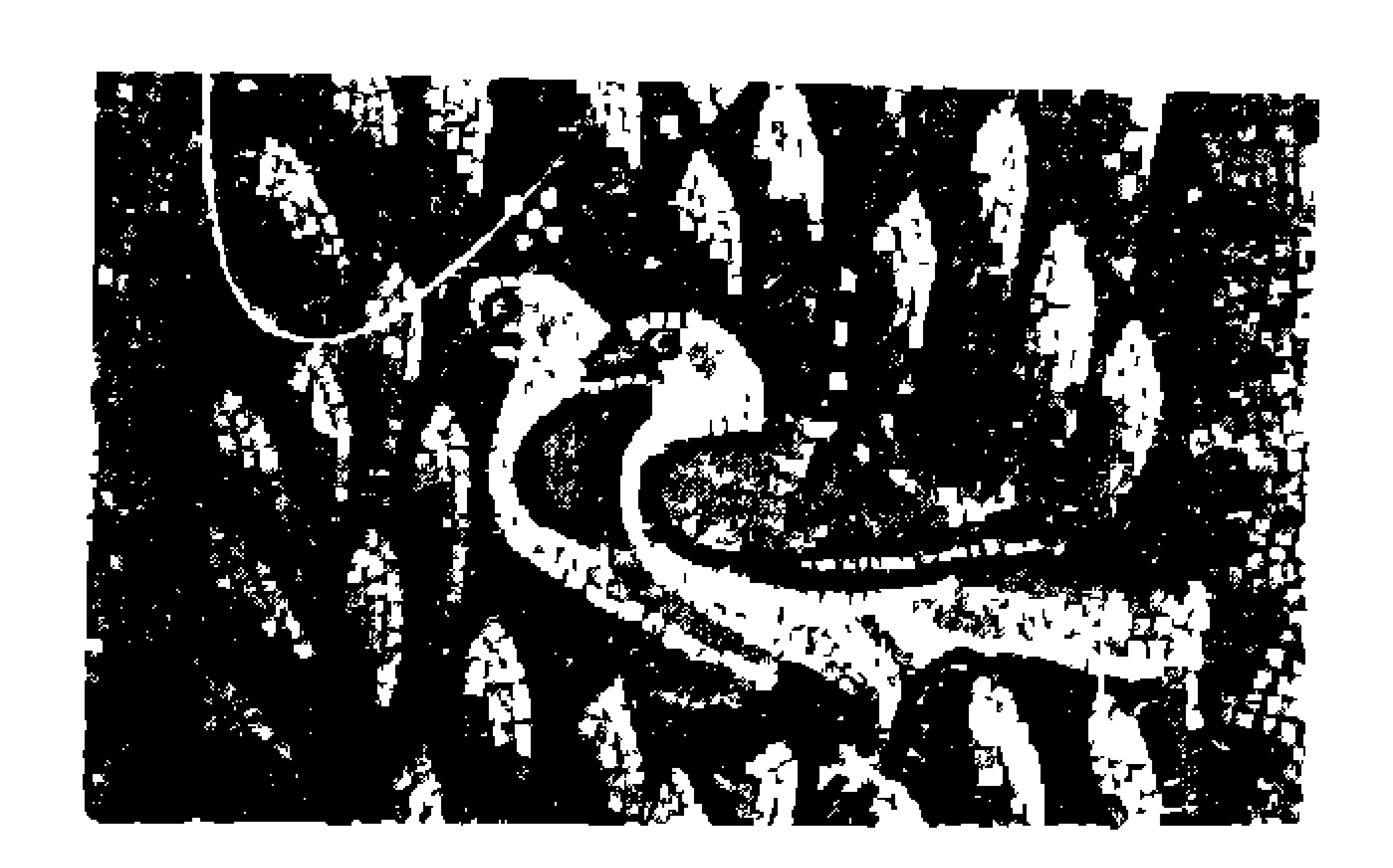
نحن نأخذ طبيعة الإنسان الجديد من الكنيسة، ولا يمكن لأحد أن يولد من الماء

---

(٥) أع ١: ١٤.

والروح و يصير خليقة جديدة في المسيح يسوع خارج الكنيسة...

العنصرة إذن عيد الكنيسة، هو ذكرى ميلادها...
ميلاد الكنيسة ليس قصة، هو حياة متحدة بطبيعة الروح القدس.
نحن نحيا في ميلاد كنيستنا، نحيا في طبيعتها الجديدة المتحدة بالمسيح والروح.
العنصرة عيد الحياة بالروح للذين يعيشون حقاً في المسيح...



ثانياً ــ في مظهر العنصرة

استُعلن الروح القدس في يوم الخمسين في مظهرين، مظهر ريح عاصف ومظهر ألسنة كأنها من نار...

«ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصف وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم(٦)».

(أ) معنى الريح في المفهوم اللاهوتي:

مما يلفت النظر في اللغتين العبرية واليونانية أن الريح والروح لهما كلمة واحدة تعبِّر عنهما، ولكن لا تقتصر الصلة بين الريح والروح في الإشتراك اللفظي فقط، بل نكتشف من حديث المسيح مع نيقوديموس في الأصحاح الثالث من إنجيل يوحنا أن هناك تشابهاً بين طبيعة عمل الريح وعمل الروح من وجهة الميلاد الجديد من الماء والروح: «الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هكذا كل من وُلد من الروح».

وأكثر من ذلك نلاحظ أن حضور الله كثيراً ما يكون مقروناً بهبوب رياح عاصفة فمثلاً في سفر أيوب نقرأ هكذا: «فأجاب الرب أيوب من العاصفة»(٧).

وفي المزمور الخمسين نقرأ: «يأتي إلهنا ولا يصمت، نار قدامه تأكل وحوله عاصف جداً»(٨).

وناحوم النبي يتكلم من جهة ذلك: «الرب في الزوبعة وفي العاصف طريقه»(٩)، وموسى مع الشعب ارتعبوا لما خاطبهم الرب: «من وسط النار

---

(٦) أع ٢: ١ــ٣.　(٧) أي ٣٨: ١.　(٨) مز ٥٠: ٣.　(٩) نا ١: ٣.

والعاصف» (١٠)، وإيليا أيضاً لم يواجه الله إلاّ بعد عبوره في الريح العاصف: «وإذا بالرب عابر وريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور أمام الرب» (١١).

أما في سفر حزقيال فنعثر على عمل الريح والروح معاً في اصطلاح واحد يعبّر تعبيراً عن وحدة سرية في المفهوم اللاهوتي بينهما إذ يقول النبي: «فقال لي تنبأ للروح تنبأ ياابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب **هلم يا روح من الرياح الأربع وهبّ** على هؤلاء القتلى ليحيوا» (١٢)، فمع أن الهبوب هو من طبيعة الريح إلا أننا نجده هنا من عمل الروح أيضاً...

من ذلك نستطيع أن نكوّن فكرة من وجهة لاهوتية عن الريح العاصف الذي اقترن به الروح القدس وقت حلوله يوم الخمسين، فهو في الواقع تعبير عن حضور الله، هو إشارة واضحة عن لاهوت الروح القدس، و بالأخص قول الكتاب عنه:

«صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة».

فهو ريح سمائي... نقرأ عنه فيما بعد أنه ملأ البيت ثم ملأ جميع الحاضرين في البيت... إذن فهو روح مالىء للمكان والزمان والكيان، الله وحده هو الذي يملأ المكان والزمان والكيان...

لذلك نجد في هذا الريح السمائي، الحاضر في المكان والمالىء الكل، حضوراً إلهياً وإنما على نمط جديد؛ ففي العهد القديم نجد بعض أمثلة فردية حلّ فيها الروح ولكنه كان حلولاً مؤقتاً ومغلقاً، مغلقاً لأنه لم يكن يستطيع أن يؤثر في الطبيعة البشرية آنذاك تأثيراً عاماً مولِّداً كما حدث يوم الخمسين وصار ينتقل إلى كل من يعمّده التلاميذ و يضعون عليه اليد...

الروح استطاع يوم الخمسين أن يدخل التلاميذ ويملأهم كما يملأ الريح المكان؛

---

(١٠) تث ٥: ٢٢، ٢٣ (الترجمة السبعينية ــ و يلاحظ أن هذا النص يُقرأ ضمن نبوات الساعة الأولى من صلوات السجدة مساء يوم عيد العنصرة). (١١) ١مل ١٩: ١١. (١٢) حز ٣٧: ٩.

لأن حجاب الخطية الذي كان يفصل الطبيعة البشرية عن عمل الروح رفعه المسيح إلى الأبد...

(ب) معنى النار في المفهوم اللاهوتي:

لو رجعنا للآيات والأمثلة التي تكلمنا فيها عن حضور الله في الرياح العاصفة نجد أن الريح فيها مقترنة بالنار دائماً... لذلك فمعنى اقتران الريح بألسنة النار في يوم الخمسين أمر ذو بال من حيث المعنى اللاهوتي...

ولكننا نجد في النار تعبيراً أقوى عن شيء ما في **طبيعة الله**، حتى قيل مرّة: إن «إلهنا نار آكلة» (١٣) بل ورأينا النار المشتعلة في العليقة تعبيراً مباشراً عن حضور الله؛ والتقليد يحدثنا عن نار العليقة أنها تعبير واقعي عن طبيعة اللاهوت...

وإذا أضفنا إلى ذلك حضور الله في عمود النار ليلاً في محلة الإسرائيليين واستجابة الرب من السماء بنار على ذبائحه المقبولة، وحضور الله في هيكل سليمان يوم تدشينه على هيئة نار، كل هذا يوجه فكرنا إلى معنى ألسنة النار المنقسمة التي ظهرت يوم الخمسين؛ فهو تعبير عن عمل **طبيعة الله** يوم الخمسين وإشارة ضمنية إلى طبيعة الروح القدس الناري.

كان التلاميذ المجتمعون في حالة خشوع وصلاة يقدمون ذبائح شكر من شفاه معترفة بفضل الرب يسوع؛ فكانت استجابة الرب من السماء كما هي العادة بنار استقرت على كل واحد منهم...

كانت النار الإلهية قديماً تأكل الذبيحة كلها، لأن الذبيحة كانت تحمل خطايا مقدمها، ولكن نار يوم الخمسين لم تحرق التلاميذ لأن خطايا التلاميذ حملها الرب في جسده على الخشبة...

---

(١٣) عب ١٢: ٢٩.

نار يوم الخمسين كانت للإنارة والتطهير...، وجدت تلاميذ مجتمعين باسم الرب بأذهان مستعدة لقبول الحق، لذلك استقرت عليهم النار على هيئة لسان... واللسان الناري يشير إلى معرفة الحق والنطق به: «متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق»(١٤).

نحن وجدنا الريح يملأ المكان كله وجميع الحاضرين، وكان هذا توضيحاً لعمل الله المتساوي في طبيعة الإنسان الواحدة...

أما النار الإلهية فنجدها تنقسم وتتوزع على كل واحد منهم بمفرده توضيحاً لتقسيم المواهب حسب قياس قامة كل واحد في الإدراك والإيمان...

إذن فالطبيعة البشرية تتجدد بالتساوي، أما المواهب فتمنح بتقسيم وامتياز وتفاوت...

ولكن لا نستطيع أن نقف عند حد الإستنارة في معنى المظهر الناري للروح القدس، فنحن لا زلنا نرى في ألسنة الروح القدس النارية التي استقرت على التلاميذ تعبيراً إلهياً عن معنى انسكاب **محبة الله الملتهبة**(١٥) في قلوب التلاميذ، وتقبل روح **الغيرة المتأججة** نحو الله «غيرة بيتك أكلتني»(١٦)، وتعبيراً عن سريان النار الإلهية في طبيعة الإنسان العقلية واشتعالها لتكون ذبيحة حية ناطقة دائمة الإحتراق: «من أجلك نمات كل النهار، قد حُسبنا كغنم للذبح»(١٧).

نار يوم الخمسين كانت نار الله، أنارت فكر الكنيسة بالحق وألهبت قلب الإنسان الجديد بالحب الإلهي والغيرة والبذل.

لقد تشاركت طبيعة الكنيسة البشرية في طبيعة الله النارية يوم الخمسين، ومن هذه الطبيعة ولد الإنسان الجديد.

---

(١٤) يو١٦: ١٣. (١٥) رو٥: ٥. (١٦) مز٦٩: ٩. (١٧) رو٨: ٣٦.

الكنيسة استوعبت في يوم الخمسين نار الله فأخصبتها هذه النار وقدّستها وهي تعطي أثرها الآن لكل المولودين منها...

لسنا في حاجة من جديد إلى ألسنة نارية كيوم الخمسين، لأننا لسنا أُمًّا بل نحن أولاد؛ لسنا طبيعة والدة بل طبيعة مولودة؛ الكنيسة هي الأم ذات الطبيعة الوالدة...

الكنيسة أُمٌّ روحانية خلقها المسيح وأظهرها في العالم حديثاً بتجسده وأخصبها بالروح القدس يوم الخمسين، وهي الآن تلد بنين مقدسين من طبيعتها «المقدسة» المخصبة بنار الله: «**إن قدرته الإلهية** قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى... لكي تصيروا بها **شركاء الطبيعة الإلهية**» (١٨). نار يوم الخمسين هي **من قدرة الله**، هي قوة فائقة من عند الله جاءت فقدست الإنسان...

التقديس هو اشتراك في طبيعة الله «صرنا شركاء الطبيعة الإلهية»، «كونوا قديسين لأني أنا قدوس» (١٩)، التقديس من وجهة طبيعة الله نراه فعلاً نارياً، وبالنسبة لأقانيم الله وجدناه من اختصاص الروح القدس!!!

الروح القدس... يقدّس...

الروح القدس سبق فقدّس بطن العذراء ليتصور المسيح فيها و يولد.

وفي يوم الخمسين قدس الطبيعة البشرية ككنيسة ليتصور فيها إنساننا الجديد حسب يسوع المسيح و يولد.

نحن نولد من بطن كنيسة تقدّست «بنار الله» بالروح القدس.

أليس هذا ما وعد به سابقاً: «هو سيعمدكم بالروح القدس ونار» (٢٠)؟

حينما نعتمد الآن في الكنيسة نولد مقدسين لأن كنيستنا «مقدسة».

أليس هذا هو لقبها الأول: «كنيسة **مقدسة** جامعة رسولية أرثوذكسية»؟

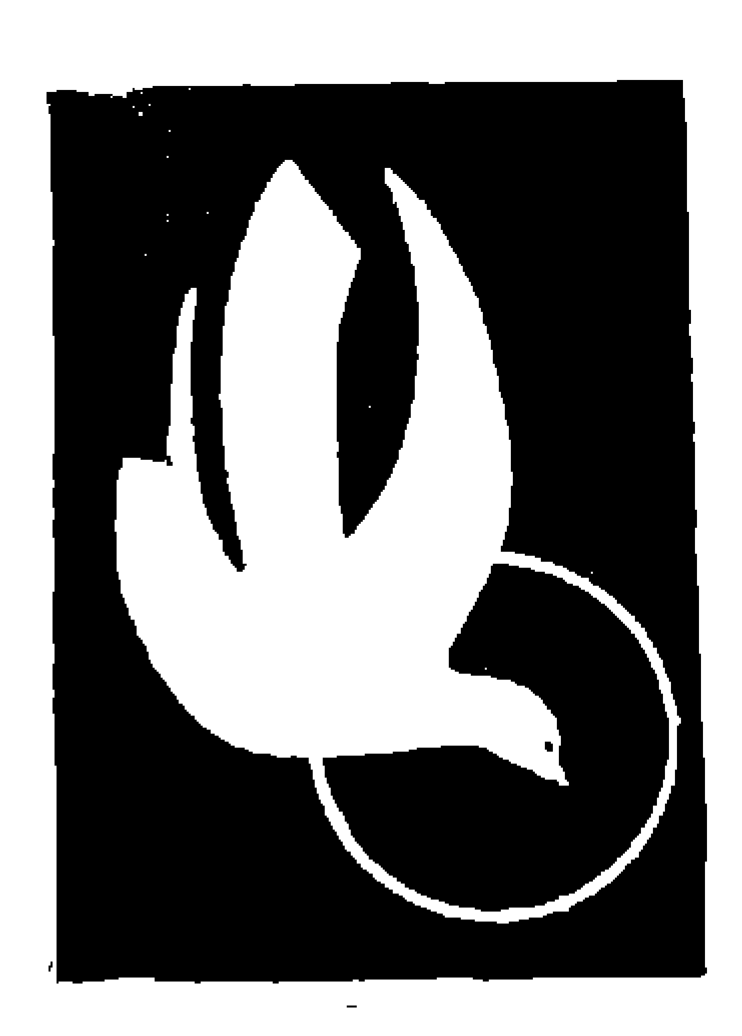
الكنيسة اعتمدت «بالروح القدس ونار»، وأما نحن فنولد من معموديتها «من الماء والروح» (٢١)...

---

(١٨) ٢بط ١: ٣و٤.   (١٩) ١بط ١: ١٦.   (٢٠) مت ٣: ١١.   (٢١) يو ٣: ٥.

النـار تحـرق كـل حيـاة أرضيـة وتبيدها، لذلك إذا هي اقترنت بالروح القدس «روح القـدس ونـار» تـعني حـتـماً حياة إلهية محضة خالية من كل ما هو أرضي... هذه هي طبيعة الكنيسة، إلهية في كل شيء و بكل معنى، خالدة...

أمـا المـاء فهو يحيي كل ما على الأرض، ولا شيء يمكن أن يحيا على الأرض بدون مـاء!! لـذلك حينما يقترن الماء بالروح القدس فهو يعني حياة بشرية على الأرض ولكن حسب الله!!... وهـذه هـي طبيعة كل من يولد من الكنيسة: يحيا على الأرض ولكن «ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (٢٢).



(٢٢) رو٨: ٤.

ثالثاً ــ في أقنوم العنصرة

(أ) أقنوم الروح القدس:

«متى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي» (٢٣).

في كتاب العهد القديم نقرأ عن أنواع من الحلول مفاجئة فردية «لروح الرب» (٢٤)، حينما كان يحل على الأنبياء متكلماً فيهم؛ ولكنه لم يكن حلولاً أقنومياً؛ بل بقوته الكاشفة للحاضر والمستقبل وفعله التنبؤي فقط... لم يكن له في العهد القديم أثر واضح دائم في طبيعة الإنسان...

أما ابتداءً من يوم الخمسين فهو يحل بكل هباته وعطاياه، يحل بشخصه كمحيي ومعزي ومبكت...

كان يُعرف في العهد القديم بـ«روح الرب»، أما في يوم الخمسين فاستُعلن اقنومه المتميز «الروح القدس»، واستعلنت صفته الخصوصية «الپاراكليت» (=المعزي). والقديس باسيليوس في رسالته عن الروح القدس يصفه هكذا:

[إن اسمه الخاص الذي يكشف عن طبيعته هو «الروح القدس» وهو ينم عن خلوّه من معنى المادة خلواً مطلقاً، وعدم تجسده بهيئة ما، كما يكشف ضمناً عن عدم قابليته للإنقسام... والإسم ينص على أنه مصدر التقديس] (٢٥).

أما عن كلمة «پاراكليت» التي ترجمتها «المعزي» فيقول القديس باسيليوس:

[يدعى الروح القدس بـ«البارا كليت» كما يدعى الإبن بـ«الوحيد»، والمسيح نفسه قال: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم

---

(٢٣) يو١٥: ٢٦.
(٢٤) أش١١: ٢، ٦١: ١.
(25) St. Basil, *On the Spirit*, Hom. IX, N.P.N.F , 2nd Ser., VIII, p. 15.

إلى الأبد» ــ حيث هنا كلمة «مُعزِّي» ترجمة لكلمة «پاراكليت»] (٢٦).

وفي الحقيقة نجد أن عمل الروح القدس وتعرفنا عليه كأقنوم قد بدأ قبل يوم الخمسين، إذ نقرأ عنه أنه حل على العذراء بصفته الأقنومية لتحمل في بطنها الإبن متجسداً...

ثم نقرأ عنه في عماد الرب لما حل عليه في الأردن يمسحه للخدمة. ثم مرة أخرى أنه أقام الرب يسوع المسيح حياً من بين الأموات.

من هذا نتبين العلاقة الوثيقة التي بين الروح القدس والمسيح؛ فسواء قديماً في النبوات، أم حديثاً في الميلاد والعماد والقيامة، نجد الروح مُعلِناً المسيح!!

ونحن في العنصرة لم نستقبل الروح القدس لنتعزى به عوض المسيح؛ فالروح القدس جاء ليشهد للمسيح ويهيئنا للإتحاد به، وهو لا يزال يعمل لهذا ولن يكفَّ عن ذلك إلى الأبد: «يمكث معكم إلى الأبد» (٢٧). «لا يتكلم من نفسه... ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» (٢٨).

فغاية الروح القدس هي أن يُعرِّفنا المسيح؛ كما أن غاية المسيح أن يُعرِّفنا الآب؛ فكما أن «ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي (بالمسيح)» (٢٩)، كذلك أيضاً «لا أحد يقدر أن يقول أن يسوع رب إلا بالروح القدس» (٣٠).

إذن فليس للروح القدس عمل منفصل عن عمل الإبن؛ بل إنه يعمل فينا ليكون إنساننا الجديد له «سمات الرب يسوع» (٣١)، وليكون «المسيح حياتنا» (٣٢)، وليصير لنا «فكر المسيح» (٣٣)، و«يحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (٣٤)، وأن نكون «أعضاء المسيح» «من لحمه وعظامه» (٣٥)... غاية الروح القدس فينا هي

(26) St. Basil, *On the Spirit*, Hom. XIX, N.P.N F., 2nd Ser., VIII, p. 30.

(٢٧) يو١٤: ١٦. (٢٨) يو١٦: ١٣، ١٤. (٢٩) يو١٤: ٦.

(٣٠) ١ كو١٢: ٤. (٣١) غل٦: ١٧. (٣٢) كو٣: ٤.

(٣٣) ١ كو٢: ١٦. (٣٤) أف٣: ١٧. (٣٥) أف٥: ٣٠.

المسيح... أن يشهد فينا له، وأن يشهد لنا أمام الآب... أن يقدسنا في المسيح و يقدمنا بالمسيح إلى الآب... لهذا ولهذا فقط أرسله المسيح من عند الآب!!

إن الروح القدس هو الأقنوم الثالث؛ هو الرب المحيي؛ نحبه ونعبده في شخصه مع الإبن والآب بلاهوت واحد.

قلنا: إنه أقنوم العنصرة، أي الأقنوم الذي استُعلن لنا يوم الخمسين بكمال بهائه وضيائه وعظمته... روح الحق الذي يعلمنا أن نسجد بالروح والحق؛ لهذا رتبت الكنيسة الرشيدة المؤيَّدة بالروح القدس أن تكون صلوات عيد العنصرة والجميع سجوداً: «ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له، الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (٣٦).

جميع الناس يسجدون لله ولكن قليلين من يسجدون لله بالروح والحق!
الكنيسة تعيِّد للعنصرة وهي ساجدة إكراماً للأقنوم الثالث الذي علمنا الحق!
العنصرة عيد السجود لله بالروح والحق...

(ب) علاقة الروح القدس بالآب والإبن:

«ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي» (٣٧).

لسنا في صدد بحث لاهوتي؛ ولكن قول المسيح **«أرسله أنا إليكم من الآب»** أجبرنا أن نتتبع المعنى اللاهوتي في كلمتي «الإنبثاق» و«الإرسال».

لو تعمقنا معنى الإنبثاق نفهمه أنه دوام الإنبعاث كانبعاث النور من مصدره أو كانبعاث الروح من مصدر الحياة، حتى أن كلمة «انبعاث» في الأصل العبري تحمل

(٣٦) يو٤: ٢٣، ٢٤. (٣٧) يو١٥: ٢٦.

تماماً معنى «**الإنبثاق**».

وقد رجعنا إلى القديس باسيليوس في إحدى رسائله عن الروح القدس فوجدناه يتكلم عن الإنبثاق هكذا:

[الروح القدس الذي من نبعه تستمد كل الخليقة صلاحها هو متصل بالإبن ولا يُدرَك إلا متصلاً به، أما كيانه فيأخذه من الآب الذي ينبثق منه... الإبن هو الذي يعلن الروح القدس؛ **الروح القدس ينبثق من الآب في الإبن**... الروح القدس يُستعلن في الإبن و به] (٣٨).

وقول القديس باسيليوس ينير عقلنا جداً وخصوصاً في جعل الإنبثاق شديد الوضوح أنه من الآب فقط ولا يمكن أن يكون من الآب والإبن، إذ جعل الإنبثاق فعلاً غائياً أي له غاية، وغايته تنصبُّ في الإبن: منبثق **من** الآب **في** الإبن.

إذن لا يمكن أن يكون منبثقاً من الآب والإبن، وإلا لزم أن يكون منبثقاً منهما في آخر أو إلى آخر، ومن يكون هذا الآخر؟

لا يمكن أن يكون العالم أو الإنسان، لأن هذا معناه: إما أن يكون العالم أو الإنسان قائماً أزلياً كأزلية الإنبثاق! وإما أن الإنبثاق نفسه ــ المتعلق بالعالم أو الإنسان (غير الأزلي) ــ هو أيضاً غير أزلي، وكلا الوضعين خطأ.

أما إذا قيل أن الروح القدس منبثق من الآب والإبن إلى لا شيء، فهنا تُصاب كلمة «الإنبثاق» بعجز كلي يفقدها معناها ومبناها، كأن تقول مثلاً: إن النور منبثق من المصباح إلى لا شيء، فالنور إن لم يكن له ما يستقبله كيف يدعى نوراً وكيف يُقال أنه منبثق؟

كذلك الروح القدس هو روح ونور وحق وحياة وحب منبثق من الآب ومستقر في الإبن، مُعلَن في الإبن ومستعلَن أيضاً بالإبن؛ وعلى هذا الأساس استطاع المسيح أن

(38) *St. Basil's Letters*, XXXVIII, 4, N.P.N.F., 2nd Ser., VIII, p 138.

يرسله من عند الآب!!

(جـ) إرسال الروح القدس إلى الكنيسة:

لقد استُعلنت الكنيسة أول ما استُعلنت في تجسد الإبن؛ لأن اتحاد اللاهوت بالناسوت هو في الواقع أصل ومعنى وحقيقة الكنيسة (اجتماع الله بالناس).

لذلك فظهور الله في جسد إنسان هو أول استعلان لطبيعة الكنيسة، وتحقيق وجودها عملياً على الأرض.

الروح القدس كان واسطة هذا الإتحاد السري الذي تم بين اللاهوت والناسوت؛ فقد تسلمنا من التقليد الشريف أن بطن العذراء حملت نار اللاهوت كما حملت العليقة نار الله وهي مشتعلة فيها دون أن تحترق «لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس» [39].

فإذا نحن نظرنا إلى المسيح المولود من العذراء من وجهة اللاهوت الكنسي لتيقّنا أنه هو هو الكنيسة في معناها الإلهي المطلق، وما بقي علينا بعد ذلك إلا أن نبحث كيف نتحد بهذه الكنيسة، أو كيف نصير نحن **كنيسة!**

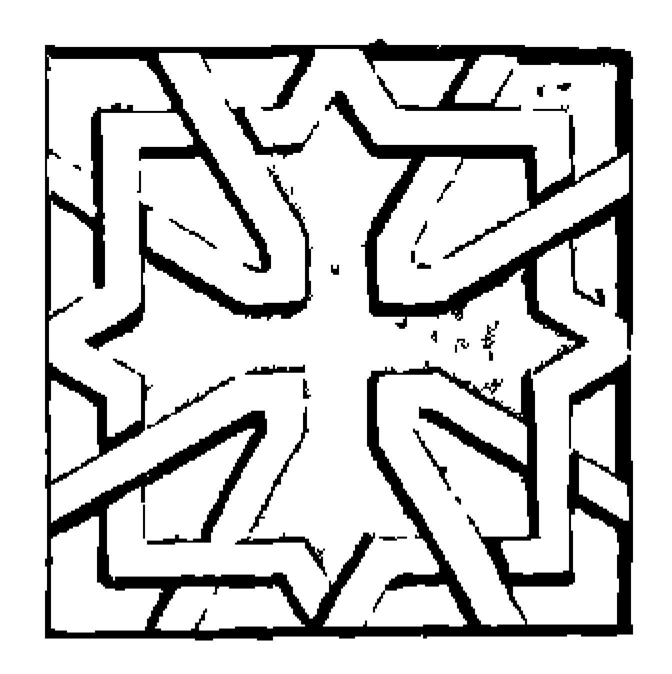
معروف أن جسد المسيح الإلهي هو الكنيسة: «إياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل» [40].

إذن الإتحاد بالكنيسة يعني بلا شك الإتحاد بالجسد الإلهي... لا يمكن الإتحاد بالجسد الإلهي إلا بتوسط الروح القدس... و يشترط أن يتم هذا الإتحاد بفعل الإيمان؛ لذلك فهو لا يتم بالعيان المنظور أو المحسوس وإنما سرًّا... إذن فمجيء الروح القدس أمر لازم لإتحادنا بالكنيسة، واختفاء جسد المسيح المنظور أمر لازم لتكميل هذا الإتحاد بالإيمان... بهذا نفهم قول المسيح: «إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي؛ ولكن إن ذهبت أرسله إليكم» [41].

(٣٩) مت ١: ٢٠. (٤٠) أف ١: ٢٢، ٢٣. (٤١) يو١٦: ٧.

هذا حق ومنطقي أيضاً أن لا يأتي الروح القدس ليعمل الكنيسة الجديدة الجامعة طالما كانت الكنيسة الوحيدة جسد ربنا يسوع قائمة منظورة على الأرض.

كان يلزم بالفعل أن ينطلق المسيح بجسده المنظور وبشخصه المعزي فيرسل معزّياً آخر مساوياً له أي الروح القدس «وأنا أطلب من الآب أن يعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد» (٤٢)، لكي بتوسطه يصنع من جسده الإلهي السري الكنيسة الجامعة.



(٤٢) يو١٤: ١٦.

رابعاً ــ في سر العنصرة

(أو ماذا تم بين المسيح والكنيسة بحلول الروح القدس)

لما انسكب الروح القدس على التلاميذ حصل تجديد واضح في طبيعتهم؛ بل نستطيع أن نقول أن طبيعتهم تغيَّرت معالمها تغييراً كلياً؛ لقد صاروا شيئاً جديداً أو بلغة الكتاب صاروا أناساً آخرين[43]... وأصبح التلاميذ المجتمعون في العلية قوة جديدة من نوع لم تألفه البشرية قبل ذلك...

ويهمنا أن نلاحظ أن التغيير أو التجديد لم يكن فردياً بل جماعياً...

لم يكن هذا نتيجة قوة مبهمة حلّت عفواً على التلاميذ فألهبتهم للخدمة أو منحتهم ألسنة جديدة وشجاعة للعمل، كما يظن بعض المحدثين؛ ولكن كان هذا نتيجة تغيير جوهري أصاب طبيعة التلاميذ في صميم كيانها؛ أما هذه المواهب وهذه التغييرات التي ظهرت على التلاميذ في حياتهم وسلوكهم فكانت مظاهر ونتائج ثانوية تنبيء بما حدث في الطبيعة البشرية ممثلة في التلاميذ والرسل الذين تعتبرهم الكنيسة الأولى «كنيسة الرسل».

أما ماذا حدث لطبيعة الكنيسة الأولى وقت حلول الروح القدس فنستطيع أن ندركه من الملابسات التي رافقت حلول الروح القدس ومن النتائج التي ترتبت على هذا الحلول:

(أ) الهيئة التي حل بها الروح القدس يوم الخمسين:

لم يحل الروح القدس بهيئة حمامة كما حلَّ في وسط مياه الأردن ليعطي قوة العماد بالماء والروح، بل حلَّ بألسنة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم... إذن فنحن أمام «عليقة مشتعلة بالنار» حسب الرمز، أو طبيعة إلهية متحدة بطبيعة بشرية حسب شرح الرمز أو صورة النبوة بميلاد المسيح من العذراء كما تسلمنا من التقليد الشريف!!

---

(٤٣) ١صم ١٠: ٦.

إذن حلول الروح القدس يوم الخمسين لا يشير إلى منح قوة روحية مجردة أو منح عطايا ومواهب جزافاً، بل الأمر جد خطير فهنا إشارة سرية إلى أنه حدث اتحاد غير منظور بين طبيعة إلهية وطبيعة بشرية، وماذا تكون الطبيعة الإلهية إلا جسد المسيح السري بالذات الذي سبق المسيح وأشار إلى أخذه وأكله والإتحاد به والثبوت فيه!! كان لا يمكن ولا يستطيع التلاميذ أن يتقبّلوا الطبيعة الإلهية بدون المسيح بل ولم يكن ممكناً أن يتقبّلوا الروح القدس كأقنوم إلا على أساس الإتحاد بجسد المسيح، فالجسد الإلهي هو الطريق الوحيد الذي يوصلنا بالله، و يوصل الله بنا «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده» [٤٤].

إذن غاية التجسد الإلهي قد بلغت ذروتها يوم الخمسين حينما صار الكل في المسيح: «ملء الذي يملأ الكل» [٤٥]. فالجسد الإلهي المعبَّر عنه بـ«ملء اللاهوت جسدياً» [٤٦] صرنا منذ يوم الخمسين «مملوئين فيه» [٤٧].

لقد اتحد المسيح بالكنيسة فاكتسبت الكنيسة كل ما للمسيح... لقد صار وكمل في العلية ما بُدىء به في بيت لحم. لقد ولد المسيح في بيت لحم لتولد الكنيسة في العلية...

(ب) النتائج التي ترتبت على حلول الروح يوم الخمسين:

بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين قامت الكنيسة فوراً وانطلقت تخدم المعمودية وتجدد الآخرين؛ بأي سلطان فعلت الكنيسة هذا؟ هل خدمة المعمودية كانت بسلطان الروح القدس؟ إن كان الأمر كذلك فكيف يستقيم معنى الآية: «الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس» [٤٨]...

إذن لا يمكن أن يكون الروح القدس هو الذي يعمد بالروح القدس!! بل المسيح

(٤٤) عب ١٠: ١٩، ٢٠. (٤٥) أف ١: ٢٣. (٤٦) كو٢: ٩.
(٤٧) كو٢: ١٠. (٤٨) يو١: ٣٣.

نفسه هو صاحب السلطان في التعميد... هو يعمِّد بالروح القدس...

وما هو العماد إلا الشركة مع الرب، شركة إتحاد فعلي في موته ودفنه وقيامته؛ فمن الذي يستطيع أن يعطي سلطان الموت والدفن والقيامة إلا صاحب السلطان فيها!!

إذن فالكنيسة انطلقت تعمد لا بقوة مجردة هبطت على التلاميذ، ولا كهبة خاصة من الروح القدس، ولا حتى بسلطان الروح القدس؛ ولكن المسيح نفسه بشخصه هو الذي كان يعمِّد بالروح القدس بسلطانه الشخصي غير المنظور... وهو لا يزال يعمِّد حتى الآن... فيجب أن تفرِّق الكنيسة بين الكاهن الذي يخدم السرَّ و بين المسيح مُجري السر بسلطانه الشخصي بتوسط الروح القدس.

ومن هذا يتضح لنا أن النتائج التي أسفر عنها حلول الروح القدس يوم الخمسين وأهمها وأخصها قدرة الكنيسة على العماد الذي يتضمن إعطاء طبيعة جديدة مخلوقة في المسيح؛ يشير إشارة واضحة صريحة أن الكنيسة قبلت يوم الخمسين شخص المسيح، مسيح الأردن، المسيح المعمِّد. و بذلك كملت شهادة الوحي التي أشار إليها يوحنا المعمدان يوم أن رأى المسيح: «وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس»(٤٩).

القديس أغسطينوس يوضح هذا المعنى و يؤكده:

[ربما يدهشكم أن تقرأوا عن يسوع أنه «هو الذي يعمد بالروح القدس» ثم يعود الكتاب يقول: «مع أن يسوع لم يكن يعمد بل تلاميذه»، فما هو هذا الأمر هل هناك نص خطأ وقع ثم عاد الوحي فصححه؟ حاشا، أم أن كلا النصين صحيح وأن يسوع فعلاً كان يعمِّد ولا يعمِّد؟ الحقيقة هي أن المسيح كان يعمِّد بقوة سلطانه بينما كان تلاميذه يعمِّدون الجسد بأيديهم، وهو لم يكف عن التعميد لأن تعميده كان تطهيراً ــ والتطهير لا يُرى ــ و يسوع لا يزال

(٤٩) يو١: ٣٣.

يعمِّد حتى الآن، لأنه طالما نحن نعتمد فيسوع هو المعمِّد.

إن سلطان المعمودية الذي أخذه الرب «هو سيعمد بالروح القدس» لم يعطه لأي خادم بل احتفظ بسلطانه حتى أن كل الذين اعتمدوا من أيدي خدام (كهنة) لا يجوز أن ينسبوا معموديتهم للخدام بل للرب نفسه.

إن سلطان التعميد لم ينتقل من الرب إلى أي إنسان، غير أن خدمة التعميد قد صارت للآخرين، السلطان ذاته لم ينتقل إلى أحد أما الخدمة فأعطاها للصالح وغير الصالح] (٥٠).

لذلك نجد الكنائس القبطية القديمة تحتفظ في بيت المعمودية فوق جرن المعمودية مباشرة وإلى جهة الشرق بصورة للسيد الرب خارجاً من ماء الأردن وعليه الروح القدس بشبه حمامة لتعبِّر عن شهادة إيمانها أن المسيح هو الذي يعمِّد طبقاً لشهادة الوحي التي نطق بها يوحنا «الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس».

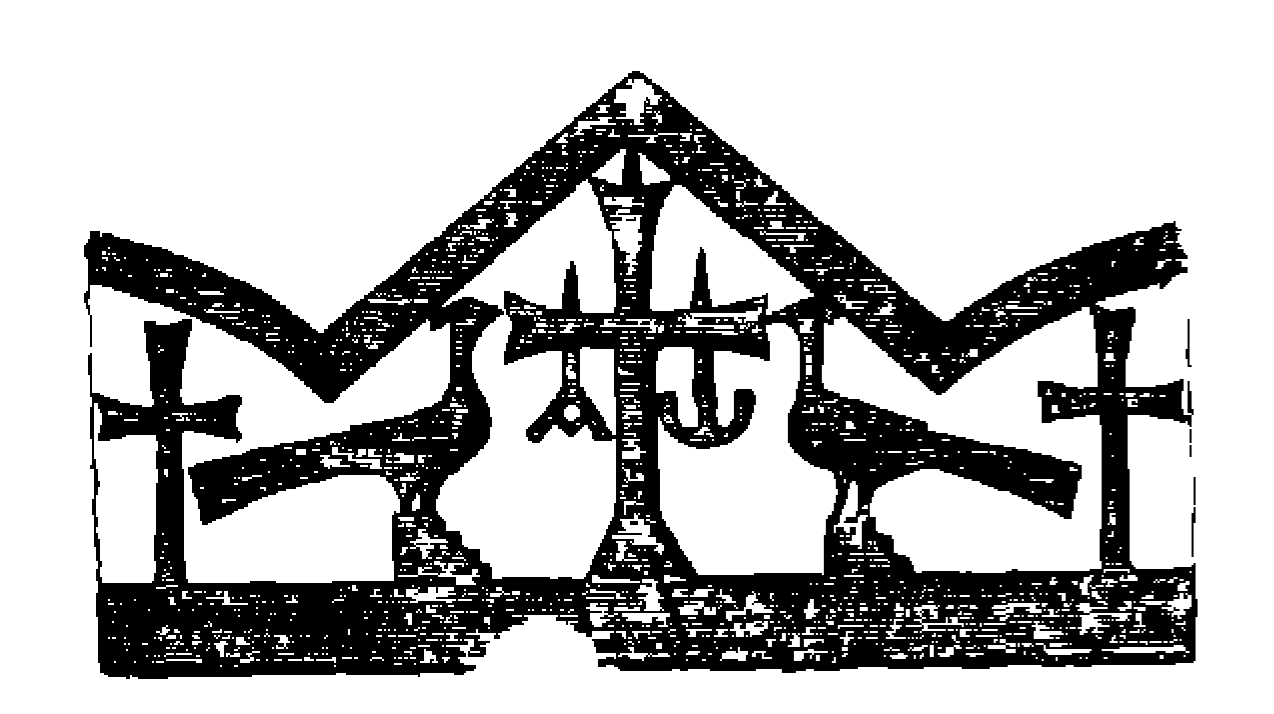
هذا هو سر العنصرة، هذا هو الذي تم يوم الخمسين بين المسيح والكنيسة: المسيح اتحد بالكنيسة، بجسده الإلهي، فصار للكنيسة طبيعة جديدة مخلوقة في المسيح يسوع؛ وقبلت الكنيسة تبعاً لذلك شخص يسوع الممسوح بالروح القدس، مسيح الأردن، خادم الجليل، واعظ الناصرة.

الكنيسة بعد أن حلَّ المسيح فيها صارت تعمِّد مباشرة، لم تكن هي التي صارت تعمِّد بالماء والروح القدس بل مسيحها شخصياً، رأسها غير المنظور.

حينما مُسح المسيح بالروح في الأردن ليباشر خدمة التعميد صار هو المعمِّد منذ ذلك اليوم إلى ساعتنا هذا وإلى نهاية كل الدهور: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى

(50) St. Augustine, *Hom. Gosp. of John*, Tract. XV, 3, V, 9, 11, N.P.N.F. 1st. Ser., VII, p. 100. 34, 35.

الأرض... فاذهبوا... وعمدوهم... وها أنا معكم» [٥١]. أما الكنيسة فصارت تلد له بنين من بطنها التي هي المعمودية المقدسة بعد أن «تتمخض بهم» [٥٢] (تعظهم بكلمة الخلاص) إلى أن «يتصور المسيح فيهم» (أي يكمل إيمانهم بالمسيح).



(٥١) مت٢٨: ١٨ــ ٢٠.

(٥٢) غل٤: ١٩.

خامساً ـ في إنسان العنصرة

هذا هو محور العنصرة، قوة يوم الخمسين، عمل الروح القدس، غاية المسيح من بيت لحم حتى الجلجثة، موعد الآب الذي تكلم عنه جميع الأنبياء!!

الإنسان الجديد الذي نلبسه في المعمودية هو عمل الأقانيم الثلاثة الإلهية في طبيعتنا البشرية لتجديد خلقتها من الصورة الآدمية الترابية إلى الصورة المسيحية الإلهية.

نحن نخلع في المعمودية آدميتنا العتيقة بناموسها، لنلبس مسيحيتنا الجديدة ببرّها... «إذاً إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً» (٥٣).

(أ) عمل الآب في الإنسان الجديد:

إن كل حوادث يوم الخمسين لم تكن جديدة على فكر المتتبعين للنبوات؛ فقد سبق الله وأوحى إلى أنبيائه بطرق منوعة عن إتيان يوم جديد فيه يتغيَّر قلب الإنسان وفكره وروحه؛ ولكن لم يخص الله الأنبياء مثلما خص يوئيل النبي بالحديث والتنبؤ عن يوم العنصرة، حتى دُعي من دون جميع الأنبياء بني العنصرة.

تكلم يوئيل النبي عن مجيء اليوم الذي سيسكب فيه الله روحه على كل بشر؛ وظلت هذه النبوة بصفة خاصة تُدعى **«موعد الآب»**، لأنها تختص بوعد الله إرسال روحه في إرسالية عمومية للإنسان: «هذا ما قيل بيوئيل النبي: يقول الله و يكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من **روحي على كل بشر...**» (٥٤).

و يعود السيد المسيح يذكِّر تلاميذه قبل صعوده مباشرة بهذه النبوة التي على ما يُظن كان قد شرحها لهم وفسَّرها بتدقيق، ودعاها «موعد الآب»: «وفيما هو مجتمع معهم

---

(٥٣) ٢كو٥: ١٧. (٥٤) أع٢: ١٦، ١٧.

أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا **موعد الآب** الذي سمعتموه مني» ([55]).

وحدث لما حل الروح القدس واندهش الحاضرون لما رأوا وسمعوا من حوادث ذلك اليوم العظيم، أن تذكر بطرس الرسول كلام المسيح عن هذه النبوة بالذات، فقام وأخذ يشرح وعد الآب بيوئيل النبي: «فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم: أيها الرجال اليهود والساكنون في أورشليم أجمعون... هذا ما قيل بيوئيل النبي» ([56])، وأخذ يشرح لهم موعد الآب كما سمعه من المسيح... واستطرد إلى أن أكّد أن الروح القدس الذي يرونه و يسمعونه هو من الآب أرسله المسيح حسب وعده: «وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ **موعد الروح القدس** من الآب، سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه» ([57]).

لذلك فنحن نعتبر أن الخليقة الجديدة التي أكملها يسوع فينا على صورته في المعمودية بالروح القدس هي أصلاً وعد الآب.

وحتى هذه الصورة الجديدة التي أخذناها في المعمودية التي هي صورة ربنا يسوع المسيح «في البر والقداسة والحق» ([58])، لو تعمقنا أصولها لوجدناها هي أيضاً من عمل الآب؛ بل هي امتداد لبهاء صورة الله الآب غير المنظور. فنحن نقرأ لبولس الرسول في الرسالة الثانية لكورنثوس: «المسيح الذي هو صورة الله» ([59])، ثم نعود فنقرأ له في نفس الرسالة كيف نتحول نحن بواسطة الروح القدس إلى هذه الصورة المجيدة عينها!!... «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» ([60]).

وربما نستكثر على أنفسنا ولا نعقل بالمرة كيف أن صورتنا تكون ممجدة أو أنها تزداد في المجد على شبه صورة الإبن، أو بالحري على شبه صورة بهاء مجد الله الآب. ولكن

---

(٥٥) أع ١: ٤، لو٢٤: ٤٩. (٥٦) أع ٢: ١٤-١٦. (٥٧) أع ٢: ٣٣.
(٥٨) أف ٤: ٢٤. (٥٩) ٢ كو٤: ٤. (٦٠) ٢ كو٣: ١٨.

أليست خلقتنا الأولى تمت وكملت لتكون على صورة الله: «نعمل الإنسان على صورتنا»(٦١) متكلماً بصيغة الجمع مشيراً إلى الأقانيم الثلاثة؟!! أية صورة مجيدة هذه! إنها أُخفيت عن أعيننا بسبب الخطية...

ولكن نحن في المعمودية نغتسل ونتطهر من وسخ الخطية؛ الروح القدس يقدسنا ويجددنا لنحمل مرة أخرى صورة خالقنا في المجد والكرامة «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم **الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه!!!**»(٦٢).

ولكن الإنسان الجديد لا يُستعلن تماماً الآن بالرغم من أننا نلبسه لبساً، فهو يظل كامناً فينا نحسه ويحسه الآخرون فينا، ولكن لا نراه. نحن نعيش فيه ولكن في سرّ، إلى أن يُستعلن تماماً بمجيء الرب: «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو»(٦٣).

ولو عدنا إلى حادثة تجلي الرب نقرأ هكذا: «وإذا رجلان يتكلمان معه **وهما موسى وإيليا اللذان ظهرا بمجد**»(٦٤)، حينما نخلع هذا الجسد الترابي، يظهر أيضاً مجد الداخل، هو مخفي عن أعيننا الآن إلى أن نخلع العتيق تماماً... سنخلعه يوم مجيء الرب فنوجد معه في المجد!! «لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد»(٦٥).

و يلذّ لنا أن نعود بهذا المجد إلى مصدره ومنبعه؛ فالإنسان الجديد المجيد الذي يخلقه فينا الرب يسوع، هو في الواقع استجابة لمشيئة الله الآب «أن تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق **بحسب الله**»(٦٦).

والمجد الذي سيقوم به هذا الإنسان الجديد عند استعلان ومجيء الرب يسوع هو بعينه المجد الذي قام به يسوع من الأموات؛ أما المجد الذي قام به المسيح فهو بعينه مجد الآب!!... «كما أُقيم المسيح من الأموات **بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً** في

---

(٦١) تك ١: ٢٦. (٦٢) كو٣: ٩، ١٠. (٦٣) ١يو٣: ٢.
(٦٤) لو٩: ٣٠، ٣١. (٦٥) كو٣: ٣. (٦٦) أف ٤: ٢٤.

جدة الحياة» (٦٧) .

الآن كم هو جليل حقاً أن نكتشف عمل الآب في خلقة إنساننا الجديد!! أما هذا العمل الجليل فينحصر نوعاً ما كما رأينا، فهو إعادة صورة مجده في جبلتنا حسب سابق حكمته في خلقتنا لإعدادنا للحياة معه «في المجد».

(ب) عمل الإبن في الإنسان الجديد:

١ ـ أثر موت المسيح في حياتنا:

إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض أولاً وتموت؛ فلا ينتظر أن نحصد قمحاً جديداً...

فإن كان لنا أن نفتخر بإنساننا الجديد الذي نناله بالروح القدس في المعمودية فما ذلك إلا على أساس القوة التى حصلنا عليها بموت الرب والتي بمقتضاها استطعنا أن نخلع العتيق!... هذه القوة اللازمة لخلع العتيق تساوي في عمقها اللاهوتى القوة اللازمة لانبعاث الإنسان الجديد!!؛ هذه الحقيقة تتضح لنا أكثر حينما نعلم أنه لكي نحيا ولكي نصير خليقة جديدة، مات الرب على الصليب!!

ونحن نعلم أن «الموت الذي ماته (الرب) قد ماته للخطية» (٦٨) . إذن فموت الرب رفع عنا الخطية التي هي سبب موتنا... وهكذا نرى أن موت الرب أحيانا: «ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح» (٦٩) .

في المعمودية نحن نشترك في موت الرب، والإشتراك في موت الرب هو نفسه اشتراك في حياته بلا شك.

٢ ـ المسيح يجاهد معنا بعد المعمودية:

قوة موت الرب لا تزال تهبنا سلطة أيضاً على الخطية حتى بعد المعمودية، المعمودية

(٦٧) رو٦: ٤.　　(٦٨) رو٦: ١٠.　　(٦٩) أف٢: ٥.

لا تلغي الخطية ولكن الروح القدس يهبنا قوة ضد الخطيئة تستمر معنا كل أيام حياتنا...

نحن نجحد الشيطان والخطية في المعمودية، و بعد المعمودية نجاهد ضدهما «إحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية... لا تملكنَّ الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته... فإن الخطية لن تسودكم» (٧٠).

في المعمودية نحن نتحرر من سلطان الشيطان بقبولنا المسيح إلهاً، نحن نجحد الشيطان علناً تحقيقاً لقبولنا المسيح إلهاً.

المسيح في المعمودية يطرد عنا الشيطان كما كان يطرده من الذين عليهم الأرواح النجسة في الجليل أو في الناصرة. سلطانه لا يزال بيده...

المسيح في المعمودية يمارس خدمته الأولى، يشفي كل مرض وكل سقم في الكنيسة و يطرد الأرواح النجسة...

المسيح لما اعتمد في الأردن وحلَّ عليه الروح القدس، أصعده الروح إلى البر ية ليجرَّب من إبليس؛ نحن نأخذ المسيح في المعمودية وفي الحال يشهد لنا الروح أننا صرنا أولاد الله، ولكن بعد ذلك يُصعدنا الروح إلى بر ية العالم لنجرَّب من إبليس!...

نحن لا نزال بعد المعمودية نكمل قوة المعمودية، التو بة هي قوة المعمودية!

في المعمودية نأخذ صورة المسيح في إنساننا الجديد، و بعد المعمودية ننمِّي حواس هذه الطبيعة الجديدة، وندرِّبها في البر والقداسة والحق كما يحق «للإنسان الجديد المخلوق حسب الله» (٧١). مركز المسيح بالنسبة للإنسان الجديد هو الأصل الذي تنحدر منه الصورة؛ وهو مجد هذه الصورة؛ والطبيعة التي تستمد منها صفاتها، والقوة التي تتخذ منها كيانها الدائم ووجودها في الحاضر والمستقبل.

الإنسان الجديد المخلوق في المسيح يسوع حسب الله في البر وقداسة الحق سيظل في

(٧٠) رو٦: ١١، ١٢، ١٤.
(٧١) أف ٤: ٢٤.

صراع دائم ضد العالم والجسد والشيطان؛ بعد المعمودية...

إبليس ترك المسيح بعد تجربة الجبل إلى حين، إبليس عاد إلى المسيح ليجربه فينا، المسيح فينا لا يزال يواجه العدو، هو يحارب عنا، ولكنه لا يستطيع أن يحارب عنا بدوننا...

صراعنا مع العدو مضمون النصرة إن كنا نلتفت إلى المحارب عنا «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمِّله يسوع» [٧٢].

هذا الصراع الدائم «من أجلك نُمات كل النهار» [٧٣] هو صراع لذيذ سمّاه بولس «الجهاد الحسن» [٧٤]، بولس أكمله بالإيمان وعبر... سوف نرى في بعض الكلمات القليلة القادمة حينما نتكلم عن المسحة المقدسة، أن صورة الإنسان الجديد مختومة بختم المسيح والختم يحمل صورة صاحبه.

نحن معتبرون مِلكاً ليسوع المسيح، كغنمة مُشتراه لتقدِّم ذبيحة طاهرة، أو كعبد مُشترى لخدمة سيده، أو كجندي صالح يحارب حروب الرب...

ولكن الختم لا يحمل صورة رمزية مكتوبة بأحرف ميتة بل صورة حية ناطقة متحركة «به نحيا ونتحرك ونوجد» [٧٥]؛ ختم المسيح هو صلة حية نستمد منها كل ما للمسيح حسب قياس قامتنا الروحية، نحن ننمو في المسيح، وليس لنمونا نهاية إلى أن نبلغ «إلى قياس قامة ملء المسيح» [٧٦]، إلى أن نصل إلى حدود صورة المسيح فينا عينها «من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» [٧٧].

وهنا نقف وقفة قصيرة نكشف فيها سر ارتباطنا بالمسيح بتأملنا في «حروف الجر» التي استخدمها بولس الرسول بوفرة ليعبِّر بها عن صلتنا السرية واتحادنا الخفي بيسوع المسيح الذي نستمد منه كياننا المسيحي ووجودنا:

---

(٧٢) عب ١٢ . ٢ .
(٧٣) رو ٨ : ٣٦ .
(٧٤) ٢ تي ٤ : ٧ .
(٧٥) أع ١٧ : ٢٨ .
(٧٦) أف ٤ : ١٣ .
(٧٧) ٢ كو ٣ : ١٨ .

دُفنّا معه، متحدين معه بشبه موته، إنساننا العتيق **صُلب معه، متنا مع** المسيح، سنحيا أيضاً **معه**، أنتم أحياء لله **بالمسيح**، لا دينونة الآن على الذين هم **في** المسيح، الله اختارنا **فيه** قبل تأسيس العالم، الله عيّننا للتبني **بيسوع** المسيح، سبق رجاؤنا **في** المسيح، أحيانا **مع** المسيح، أقامنا **معه**، أجلسنا **معه** في السمويات في المسيح (٧٨).

من هذه التعبيرات اللاهوتية التصوفية يتبين لنا أن صلتنا «بالمسيح» أو «مع المسيح» أو «في المسيح» هي صلة عجيبة ليست من نوع مألوف لدى الفكر، لا يستطيع العقل أن يحيط بمعناها تماماً، نحن نستطيع أن نحسها فقط في أعماقنا، نحسها بالروح في الصلاة فنتحقق من صدق هذه التعبيرات ودقتها، بولس الرسول كان يصف حالة داخلية تملأ كيانه؛ إسمع وتأمل ما يقول بولس الرسول كأنه يصف رؤيا:

ـ «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (٧٩).
ـ «أما نحن فلنا فكر المسيح» (٨٠).
ـ «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (٨١).
ـ «لتمتلئوا إلى كل ملء الله» (٨٢).
ـ «لأننا أعضاء جسمه من لحمه وعظامه» (٨٣).
«لأنكم كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (٨٤).

بماذا نستطيع أن نعلّق على هذه المشاعر والأحاسيس الإلهية إلا أن نقول: آمين...

وليس بولس فقط بل وآباء الكنيسة عاشوا في هذه الحقائق، لبسوا المسيح لبساً وتغيروا إلى تلك الصورة عينها!!

إسمع القديس إغريغوريوس النزينزي يقول: [إن أجزاءنا التي لا تتغير إلى هذا

---

(٧٨) رو٦: ٤ـ١١، ٨: ١؛ أف١: ٤ـ١٢؛ ٢: ٥، ٦.
(٧٩) غل٢: ١٩. (٨٠) ١كو٢: ١٦. (٨١) أف٣: ١٧.
(٨٢) أف٣: ١٩. (٨٣) أف٥: ٣٠. (٨٤) غل٣: ٢٧.

الشكل تبقى عديمة الشفاء...] (٨٥).

و يشترك معه أيضاً القديس إغر يغور يوس النيسي: [نحن نعلم أن كلمة الله صار هو المسيح الرب؛ وكل من يدركه يصير مثله] (٨٦).

و يشترك مع الإثنين القديس يوحنا ذهبي الفم: [الذي يعتمد للمسيح لا يولد من الله فقط بل إنه يلبس المسيح أيضاً، ولا نأخذ هذا على المعنى الأدبي كأنه عمل من أعمال المحبة، بل الأمر حقيقة، فالتجسد جعل اتحادنا بالمسيح واشتراكنا في الألوهة أمراً واقعاً] (٨٧).

و بولس كان حقاً يعيش في المسيح لأن المسيح كان حياته!! فهو لم يقل أن المسيح أحياه فقط بل قال: «لي الحياة هي المسيح» (٨٨)، بل قال أيضاً بصراحة و وضوح «متى أُظهر المسيح حياتنا» (٨٩). فإن كان بولس الرسول يحيا في المسيح، أليس هو شريكاً إذن في الحياة الأبدية مع الله؟ «هبة الله هي حياة أبدية بالمسيح» (٩٠).

«إننا ورثة أيضاً، ورثة الله، و وارثون مع المسيح» (٩١). و يوحنا الرسول يدعّم المعنى و يوضح كليّة صلتنا السرية بالمسيح، باعتبار المسيح هو نفسه الحياة، الحياة الأبدية بقوله: «الحياة أُظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا... شركتنا هي مع الآب ومع إبنه» (٩٢).

أما حواس الإنسان الجديد وسلوكه فلا يرى بولس الرسول أنها تستمد تجديدها فقط من المسيح، بل إنها تعمل بالمسيح، أو على الأصح أن المسيح يعمل بها، فهي حواس المسيح أكثر من أن تكون حواسنا «يسوع المسيح الذي صار لنا حكمة من الله و براً وقداسة وفداءً» (٩٣).

---

(85) *Letter CI to Cledonius*, P G 37, 181

(86) *Antirrheticus Adv Apollin.*, 53. P G 45, 1251

(87) Cited in: *Orthodox Spirituality* by a Monk of the Eastern Church London, 1957, p 58

(٨٨) في ١: ٢١. (٨٩) كو ٣: ٤. (٩٠) رو ٦: ٢٣.

(٩١) رو ٨: ١٧. (٩٢) ١ يو ١: ٢، ٣. (٩٣) ١ كو ١: ٣٠.

إذن تأمل معي أيها القارىء في قيمة التجسد الإلهي وفي قيمة معمودية الرب وفي قيمة موته، وفي قيمة قيامته، وما آلت إليه كل هذه من نحونا... حتى وكأنما لم تحدث حركة ما في السماء أو على الأرض منذ أول الدهور حتى هذا اليوم الخمسين إلا وكانت تعمل لبناء الإنسان الجديد في المسيح بالروح القدس.

كم هي عميقة ومتسعة وعجيبة حدود خلاصنا! وكم هي سهلة أيضاً!!

«كيف ننجو إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟» (٩٤).

(جـ) عمل الروح القدس في الإنسان الجديد:

أولاً: الروح القدس والماء: أو الميلاد الثاني.

نحن أمام قضية نيقوديموس: كيف يولد الإنسان ثانية؟

نترك هنا الكلام للقديس يوحنا ذهبي الفم ليرد على هذا السؤال:

[وكما أن قوة النار حينما تتسلط على عروق الذهب الغشيمة المختلطة بتراب الأرض، فإنها تتحول حالاً إلى ذهب نقي؛ هكذا أيضاً بل وأكثر من هذا يعمل الروح القدس في المعمودية في الذين يغسلهم؛ إذ يحولهم إلى ما هو أنقى من الذهب عوض الطين، فحينما يحل الروح القدس «كالنار» في نفوسنا يحرق أولاً «صورة الترابي» ليعطي «صورة السمائي» فتصير كعملة جديدة بهيّة متلألئة خارجة من أفران الصهر] (٩٥).

[أما كيف يُخلق الإنسان جديداً من الماء بواسطة الروح، فبنفس القوة والسر اللذين بهما خُلق الإنسان أولاً من تراب!! وكما تقوّى التراب وتشدد بإرادة الله وصار أعضاءً وأجهزة جسدية كاملة، هكذا وأكثر أيضاً يعمل الروح القدس بالماء صانعاً أموراً عجيبة وفائقة للعقل.

---

(٩٤) عب ٢: ٣.

(95) St Chrysostom, *On Gospel of John;* Hom X, 2, N P.N F., 1st Ser , XIV, 36

إذن فلا تشك في عمل الماء والروح في الإنسان الجديد بسبب أنك لا ترى ؛ فأنت أيضاً لا ترى نفسك التي فيك](٩٦).

و يعود نفس القديس يتكلم عن الميلاد الثاني أيضاً :

[ليس بأم وأب ، ليس باضطجاع بشر ولا بآلام المخاض نولد ثانية ، ولكن من الروح القدس تُصنع أنسجة طبيعتنا الجديدة ، وفي الماء نشكل ومن الماء نولد سرًّا كما من الرحم... الرحم يحتاج إلى زمان كثير يتشكل فيه الجسد أما الماء والروح فمنهما تتشكل حياة الروح في لحظة في طرفة عين !! «المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح»](٩٧).

(١) الروح القدس صانع هياكلنا الجديدة وموحدها :

نحن نعلم أن كل مولود يأخذ شكل والده ؛ ففي المعمودية ممن نولد وعلى أي شكل يكون إنساننا الجديد؟

الروح القدس هو الذي يصنع هيكل إنساننا الجديد ، يصنعه من جسد المسيح السري الذي يملأ السماء والأرض... المسيح دخل العلّية **والأبواب مغلقة**(٩٨) ، دخلها بجسده بلحمه وعظامه(٩٩) ، ولما ظن التلاميذ أنه روح أراهم جسده ولمسوه ؛ لحم المسيح وعظامه يمكن أن يُرى و يُلمس ويمكن أن لا يُرى ولا يُلمس .

نحن نولد من هذا اللحم ومن هذه العظام عينها : «نحن من لحمه وعظامه» (١٠٠) !!

الروح القدس يخلق هذا الهيكل الجديد من الجسد غير المنظور، و بعد أن يخلقه يملأه : «أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم».(١٠١). الروح القدس لا يخلق هيكلنا الجديد جزافاً ولكن حسب صورة ابن الله ؛ ليس من جهة منظر الجسد ولكن

---

(96) St. Chrysostom, Hom on G. of John , Hom XXV, 1, 2, N.&P.N F. 1st. Ser , XIV, 88

(97) Ibid , Hom XXVI, 1, N &P N F., 1st Ser , XIV, 90

(٩٨) لو٢٠ : ١٩، ٢٦ . (٩٩) لو٢٤ : ٣٩ . (١٠٠) أف٥ : ٣٠ . (١٠١) ١ كو٣ : ١٦ .

من جهة سمات الروح في كل شيء، و بالأخص في الوداعة والطهارة والحق: «تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (١٠٢). الروح القدس يقدّس طبيعتنا الجديدة باستمرار لتحمل صورة المسيح: «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة إبنه» (١٠٣).

أما القديس أغسطينوس فلا يكتفي بمجرد التشابه، بل يرى أن خلقتنا الجديدة هي امتداد حقيقي في شخص المسيح:

[لنفرح ونسر ونقدم الشكر لإلهنا لأننا لم نصر فقط مسيحيين، بل صرنا مسيحاً، أتفهمون هذا أيها الإخوة وتدركون مقدار النعمة التي حلت علينا (بالمعمودية)، إعجبوا وسُروا جداً، لقد صرنا مسيحاً] (١٠٤).

إذن فعل الروح القدس الأساسي في إنساننا الجديد هو إعطاؤنا كل ما للمسيح لنصير مناسبين للإتحاد الدائم فيه.

لذلك بعد أن يلدنا الروح القدس في المعمودية، و يشكلنا بطبيعة إبن الله، لا يسعه إلا أن «يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله»: «ورثة مع المسيح» (١٠٥)، إذ أنه لا يرانا ذواتاً مستقلة عن المسيح، بل يرانا قائمين في وحدة مع المسيح؛ يرى المسيح فينا و يرانا في المسيح...

والعلاّمة اكليمندس الإسكندري يرى أن العامل الرئيسي في الإبقاء على هذه الوحدة المتكاملة في المسيح هو الروح القدس: «ليس بعد بربري أو يهودي أو يوناني ولا بعد رجل وامرأة بل الإنسان الجديد المخلوق ثانية بالروح القدس» (١٠٦).

والقديس إيريناوس يعبّر عن هذه الوحدة بمبدأ لاهوتي معروف في كل كتاباته مضمونه: إن المسيح استطاع بالروح القدس أن يمركز البشرية في جسده وفي شخصه

(١٠٢) أف ٤: ٢٤. (١٠٣) رو ٨: ٢٩.

(104) Augustine, Hom on Gosp of John Tract XXI, 8, N &P.N F., 1st Ser, VII, p.140.

(١٠٥) رو ٨: ١٦، ١٧.

(106) Protrept XI, 112, 113 Sources Chrétiennes, 2, 180

فصار المسيح رأساً وجسماً وشخصاً للإنسان الجديد المخلوق منه(١٠٧).

والقديس يوحنا ذهبي الفم يرى أنها مقدرة إلهية فائقة أن يجمع المسيح المتضادات والمتخالفات و يوحدها بالروح القدس في جسده:

[ما معنى هذا؟ معناه أن المسيح جعل الكل وجمع أشتات المتخالفات في جسد واحد](١٠٨).

ونحن نرى مقارنة ذات اتجاه خَلقي وذات غاية متقابلة بين آدم الأول وآدم الثاني (المسيح): فآدم الأول كان الشخص الذي انقسمت منه وانقسمت بواسطته البشرية، وتعددت وتلونت وتخالفت إلى أشكال وأجناس وألسنة وأمم. وكان ذلك بسبب الخطية بتوسط الشيطان.

وجاء آدم الثاني المسيح الرب. وجمع البشرية مرة أخرى في شخصه، وصالحها في طبيعته ووحّدها في وحدته؛ وذلك بسبب بره وقداسته بتوسط الروح القدس.

والقديس كيرلس الإسكندري عمود الدين يضيف إلى هذا المعنى قولاً جديداً يجيء في موضعه، حتى لا يتسرب إلى الذهن أنّ تمركز البشرية في شخص المسيح الذي ينادي به إيريناوس يحمل مثلاً نوعاً من ضياع شخصياتنا وملاشاتها في انجماعها وتوحدها بشخص المسيح فقال: إن الكنيسة التي هي جسم البشرية الجديد، ولو أنها ذات طبيعة واحدة في المسيح إلا أنها تشمل في تكوينها أشخاصاً بشريين متميزين منفردين متعددي الفضائل، غير أنهم متأصلون جميعاً في جسد المسيح الواحد يتغذون من ذات الطعام الواحد(١٠٩).

(٢) الروح القدس عامل مباشر في تكوين الشخصية الجديدة:

الروح القدس حينما يملأ هيكلنا الجديد يملأه بمواهب وقدرات جديدة؛ هذه المواهب

---

(107) Adv. Haer , IV, 33, 14—15; P G VIII, 1082.

(108) Hom LXV, N.&P.N.F 1st. Ser., XIV, 241

(109) De Trinitate, 1, P.G 75, 697

هي التي توجّه الشخصيات وتطبعها بطابع خاص...

ليست موهبة كالأخرى، فمع أن الروح واحد لكن المواهب كثيرة جداً ومتعددة... «فلواحد يعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد. ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات، ولآخر نبوة، ولآخر تمييز أرواح، ولآخر أنواع ألسنة، ولآخر ترجمة ألسنة؛ ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء» (١١٠).

ولكن بالرغم من هذا التمايز المتعدد النواحي في الشخصيات الموهوبة بالروح القدس، إلا أنها تعمل بقيادة الروح الواحد لحساب المسيح!! فنحن، من ناحية، نجد الروح القدس يوحّد البشرية كلها في جسم واحد فيزيل جميع الفوارق الجنسية ويرفع الحواجز العنصرية، فتذوب كلها وتصير البشرية كأنها عُجنت من جديد عجينة واحدة متجانسة؛ وذلك بفعل الإتحاد في جسد المسيح السري.

ومن ناحية أخرى، نجد نفس الروح القدس يعمل على خلق شخصيات متمايزة، بأن يهب لشخص ما لا يهبه لآخر، ويقسم الأعمال تبعاً للمواهب؛ وإنما بحكمة ومقدار، حتى يصير من هذه المتمايزات وحدة أيضاً، وحدة عمل وبنيان تهدف كلها لغرض واحد وهو اكتمال هذا الجسد الواحد السري أي الكنيسة...

ثانياً ــ الروح القدس والميرون:

(أ) مسحة الروح القدس:

طبعاً يعرف القارىء أن الميلاد الجديد للإنسان الذي يقال له عند العامة «التنصير» يتم بواسطة إجراء سر المعمودية، يتلوه سر مسحة الميرون، غير أن سر مسحة الميرون يلزم حسب الطقس الكنسي أن يُجرى للمعتمد مباشرة بعد صعوده من الماء.

والروح القدس عامل أساسي في كلا السرين؛ في الأول يلد الإنسان، وفي الثاني

(١١٠) ١كو١٢: ٨ــ ١١.

يحل على المعتمد ليملأه. في الأول يشترك المعتمد في جسد المسيح السري، وفي الثاني يشترك الممسوح في مسحة المسيح على الأردن!! والروح القدس واسطة الإتحاد في السر الأول بالتطهير، وفي السر الثاني بالتقديس ومنح المواهب الروحية للنمو.

سر المسحة بالميرون المقدس هو مثيل مباشر لمسحة المسيح بالروح القدس بعد خروجه من مياه الأردن، هذا من جهة الطقس. أما من جهة الأثر الفني، فالروح القدس بواسطة رشم الزيت المقدس يجعلنا شركاء في مسحة المسيح، أو بالحري يجعل المسيح الممسوح بالروح القدس حياً وعاملاً فينا!!

في هذا المعنى يتكلم القديس كيرلس الأورشليمي بكلمات إلهية قائلاً:

[قد صرتم مسحاء إذ قبلتم الروح القدس، وكل شيء قد صار عليكم بحسب الرسم، إذ أنكم رسوم المسيح؛ فإنه لما استحم في نهر الأردن وصعد منه، انحدر الروح القدس عليه جوهرياً؛ وإستراح المثيل على مثيله؛ ونحن أيضاً بعد أن صعدنا من جرن الينابيع المقدسة، مُنحت لنا المسحة رسمياً كما مُسح بها المسيح، أعني الروح القدس... ولكن أنظر واحترس من أن تظن ذاك الميرون بسيطاً لأنه كما أن خبز الشكر بعد استدعاء الروح القدس ليس خبزاً بسيطاً ولا عمومياً بعد الدعاء، بل هو جسد المسيح، هكذا هذا الميرون المقدس، لا يعود ميروناً بسيطاً ولا عمومياً بعد الدعاء، بل هو موهبة المسيح وحضور الروح القدس فاعلاً فعل ألوهيته، فتمسح به كل جبهتك وسائر حواسك، والمسيح يكون هو الذي رسم. فإن الجسم يُدهن بالميرون الظاهر ولكن النفس تُقدّس معاً بالروح القدس المحيي](١١١).

الروح القدس ظهر في عماد المسيح بهيئة حمامة؛ الحمامة في الرمز الإنجيلي تشير إلى رسالة الحياة الجديدة، كما حملتها حمامة الفلك أيام الطوفان حينما جاءت بغصن الزيتون في فمها بعد انتهاء الفيضان علامة على ظهور الحياة الجديدة على الأرض.

---

(111) St Cyril of Jerusalem, On the Mysteries Lecs, XXI, 1, 3, N &P N.F, 2nd Ser., VII, 149—150

الحمامة التي استقرت على المسيح كانت إشارة إلى إنتهاء عهد الموت، موت طوفان الروح و بدء حياة جديدة بالروح القدس. في هذا المعنى يقول القديس افرآم السرياني:

[إن سفينة نوح كانت تبشر بمجيء المزمع أن يسوس الكنيسة في المياه، وأن يرتد أعضاؤها إلى الحرية باسم الثالوث الأقدس، وأما الحمامة فكانت ترمز إلى الروح القدس المزمع أن يصنع مسحة هي سر الخلاص] (١١٢).

الميرون الذي تستخدمة الكنيسة هو زيت شجرة الزيتون؛ لم تخرج الكنيسة قط عن ربط الرمز بالمرموز إليه، وتحقيق إشارات ونبوات الروح عملياً، فأوراق الزيتون التي حملتها حمامة الفلك علامة على بدء الحياة الجديدة على الأرض، استخرجت الكنيسة من ثمرتها زيت المسحة، وهيَّأته للحمامة غير المنظورة أي الروح القدس، لكي يعطي به حياة جديدة بالروح...

كلمة المسحة تشير إشارة لفظية وعملية لكلمة المسيح... الآب مسح إبنه بالروح القدس بعد العماد؛ كذلك يعمل الروح القدس في سر المسحة؛ إنه يُشركنا في مسحة المسيح كقول القديس كبريانوس:

[من اعتمد ينبغي أن يمسح أيضاً لكي يصير بواسطة المسحة ممسوحاً لله و يأخذ نعمة المسيح] (١١٣).

الإبن أرسل الروح القدس من عند الآب كوعد الآب!
الآب مسحنا بالروح القدس لنكون أعضاء في جسد إبنه!
سر المسحة يثبِّتنا في الثالوث الأقدس... إنه سر التثبيت:
«ولكن الذي يثبتنا معكم **في المسيح وقد مسحنا هو الله** الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا» (١١٤).

---

(112) Hymnen de Fide 49, 4 — CSCO 154, p 155.

(113) Letter 70, 11, 2

(١١٤) ٢كو١: ٢١، ٢٢.

(ب) ختم الروح القدس: أو الختانة الروحية، جلجال العهد الجديد:

أول من تكلم عن فعل الروح القدس في الإنسان كختم هو بولس الرسول؛ وأول فكرة عن **الختم** كانت مرادفة **للختان** الذي أجراه إبراهيم في لحم غرلته كأمر الرب له، كعلامة أو شهادة دائمة على إيمان إبراهيم بالله.

«وأخذ علامة الختان ختماً لبر الإيمان» (١١٥).

إبراهيم أخذ ختم إيمانه في الجسد بختانة عضو التناسل الذي هو عضو حياة الجسد. وكان هذا رمزاً لختم الإيمان الذي سيكون بختانة القلب في الداخل الذي منه مخارج الحياة الروحية!!

«لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختاناً بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح هو الختان» (١١٦).

إبراهيم آمن بالله الذي يحيي الموتى فحُسب إيمانه برًّا. «ولكن لم يُكتب من أجل إبراهيم وحده أنه حُسب له، بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيُحسب لنا، الذين نؤمن بمن أقام يسوع من الأموات. الذي أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم من أجل تبريرنا» (١١٧).

نحن نؤمن أن يسوع المسيح مات وأنه قام أيضاً؛ نحن نعتمد لنبرهن على إيماننا عملياً فنشترك معه في الموت والقيامة.

إن معموديتنا إذن هي شهادة إيماننا. لذلك صارت المسحة بالميرون المقدس بعدها عبارة عن ختم سري بالروح القدس، ختانة روحية في القلب، علامة أبدية غير منظورة أننا قد تبررنا بالإيمان!!

هذا الختم نأخذه الآن في هذا الدهر عربون ميراثنا في الحياة الأبدية «الذي ختمنا

---

(١١٥) رو٤: ١١. (١١٦) رو٢: ٢٨، ٢٩. (١١٧) رو٤: ٢٣-٢٥.

أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا» (١١٨). هذا الختم عينه محفوظ لنا إلى اليوم الأخير «لا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء» (١١٩).

وسيظل هذا الختم العلامة التي تميِّز أولاد الله الوارثين مع المسيح ليُحفظوا من الضربات الأخيرة على الأرض: «وقيل له أن لا يضر عشب الأرض ولا شيئاً أخضر ولا شجرة ما إلا الناس فقط الذين ليس لهم ختم الله على جباههم» (١٢٠).

صورة الختم:

يقول القديس كيرلس الأورشليمي:

[لا تنسوا الروح القدس في أوقات استنارتكم لأنه يكون حينئذ مستعداً أن يختم نفوسكم بختمه] (١٢١).

ما هذا الختم ياترُى؟

لو تتبعنا كلمة ختم وهي ترجمة ΣΦΡΑΓΙΣ [Sphragis = CΦPΑΓIC] في اللغة اليونانية ـــ وهي اللغة التي كتب بها بولس الرسول رسائله: نجدها ـــ خصوصاً من الناحية الطقسية الفنية ـــ تعني علامة خاصة تُصنع على الجبهة، إما للحيوانات الطاهرة المعدَّة للذبيحة الإلهية، أو للعبيد الخصوصيين أو الجنود التابعين.

هذه الكلمة عينها استخدمها بولس الرسول بمعنى «سمة»: «إني حامل في جسدي سمات الرب يسوع» (١٢٢).

وهكذا نستطيع أن نتتبع المعنى الذي كان يقصده من قوله: «بولس **عبد** ليسوع المسيح» (١٢٣)، «وقد حسبنا مثل غنم للذبح» (١٢٤)، و«اشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح» (١٢٥).

---

(١١٨) ٢كو١: ٢٢. (١١٩) أف٤: ٣٠. (١٢٠) رؤ٩: ٤.

(121) Cat. XVII, 35, N.&P N F., 2nd Ser., VII, 132.

(١٢٢) غل٦: ١٧. (١٢٣) رو١: ١. (١٢٤) رو٨: ٣٦. (١٢٥) ٢تي٢: ٣.

إذن فالختم الذي يطبعه علينا الروح القدس في المسحة لابد أنه يحمل إسم وصورة المسيح كصاحب ومالك لنفوسنا؛ فلا نعود بعد ذلك أحراراً لأنفسنا بل عبيداً للذي اشترانا بدمه... «أنتم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتريتم بثمن» (١٢٦).

وماذا تكون صورة المسيح المطبوعة علينا؛ إله مصلوباً أو متألماً، أو على الأقل مقيداً ومُهاناً، يحاكم أمام هيرودس أو بيلاطس!!

حينما يختمنا الروح القدس بصورة المسيح في طقس المسحة نصير أحد ثلاثة: إما عبداً خاضعاً ليسوع المسيح يقوده في موكب نصرته؛ أو جندياً صالحاً يجاهد الجهاد الحسن؛ أو غنمة مستضعفة محفوظة ليوم الصليب!

قوة الختم:

ليس الختم هو مجرد صورة، بل هو فعل روحي يتغلغل كل كيان الإنسان الجديد حتى أعماقه «إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ» (١٢٧).

هو عملية تقديس الأعضاء بطبيعة الروح القدس النارية؛ فيها تحترق كل شوائب الفكر البشري غير الصالحة وكل الأعمال الميتة: «يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي» (١٢٨).

والكاهن حينما يقوم بإجراء طقس المسحة و يرشم الأعضاء الظاهرة بالميرون المقدس، وعددها ٣٦ رشماً، فهو في الواقع يختم الأعضاء الداخلية أيضاً التي للإنسان الجديد؛ هو يقدس الحواس جميعاً؛ هو يقدس كل عضو(٭) حتى يصير الإنسان كله «خليقة جديدة في المسيح» (١٢٩).

---

(١٢٦) ١ كو٦: ١٩—٢٠. (١٢٧) عب٤: ١٢. (١٢٨) عب٩: ١٤.

(٭) إن الخطية التي تقع على الكاهن الذي لا يدقق في رشم الأعضاء بالميرون، أو يختصرها، أو يهملها جملة، مكتفياً بإلقاء جزء من الميرون في ماء المعمودية؛ هي خطية عظيمة تحمل في معناها الإزدراء بقيمة عمل الروح القدس في الرشومات واحتقاراً لسر المسحة وأثره، وهذا قد انعكس على المعمّدين، وخصوصاً أولاد هذا الجيل، فنشأوا غير ثابتين والتهبت أعضاؤهم بالشهوة...

(١٢٩) ٢ كو٥: ١٧.

وفي هذا المعنى نجد للقديس كيرلس الأورشليمي كلمات معزّية:

[هذه المسحة احفظوها طاهرة لأنها تعلّم كل شيء إذا لبثت فيكم، لأن الروح القدس حِرْزٌ للجسد وخلاص للنفس](١٣٠).

ختانة الأعضاء:

حينما يبدأ الكاهن برشم الميرون يبدا من منتصف الرأس... وإني لمتعجب ومندهش من حكمة الكنيسة في ذلك، فرأس الإنسان يحوي المخ حيث تتجمع مراكز التفكير والتميز والحواس جميعاً!!

رأس الإنسان هو حصن العقل أول جزء اقتحمه الشيطان، وأول عضو دخلته الخطية... عندما أكل آدم من شجرة معرفة الخير والشر...

عقل الإنسان كان حصناً إلهياً منيراً، مركز المعرفة الذي يستمد به معرفة الحق الإلهي كاملاً دون انقسام أو بلبلة. ولكن بعد أن اشتهى الإنسان المعرفة المستقلة، وأن يكون كالله عارفاً، عارفاً بشخصه وبمقدرته، وهامَ وراء الإستقلال الذاتي، وحوَّل مركز تقبُّله للحقائق من الله إلى ذاته، تعرَّض في الحال لنقص في المعرفة لأنه أصبح يستمدها من خبرته الشخصية... وما الخطأ أو ما الخطية في أصولها إلا معرفة ناقصة!!

ومنذ آدم حتى اليوم والعقل هو العضو الأول الذي يقتحمه الشيطان و يصنع فيه كل خطية وكل إثم وكل نجاسة!!

أنظر أنت نفسك كيف تدخلك الخطية، و بأي مكان فيك تبدأ عملها! إنه عقلك... فإذا احتلت الخطية هذا الحصن الجبار استولت على جسمك كله، واستعبدت جميع أعضائك، وسخَّرت كل إرادتك وقوتك وإمكانياتك.

لذلك فالروح القدس بالمثل أول ما يقدس يقدس العقل؛ يختنه ختانة روحية،

---

(130) St. Cyril of Jerusalem, On the Mysteries, III, 7; Cat. XXI, 7, N &P.N.F., 2nd Ser., VII, 150

يضع عليه ختم الله حتى لا يعود يفتح أبوابه بسهولة أو بخضوع ذليل للشيطان وحيله، بل يجاهد بكلمة المسيح و يغلب بسيف الروح.

وكما ملكت الخطية على الجسد واستعبدت أعضاءه «كآلات إثم للخطية» وكان الإنسان كله «عبداً للنجاسة»، كذلك حينما يملك الروح القدس عقل الإنسان و يقدّسه يصيِّره «عبداً للبر» ويجعل أعضاءه تخدم «آلات بر للقداسة» (١٣١).

وكما التهب العقل بالشهوة فاشتعلت الأعضاء كلها تبعاً له، كذلك يلتهب العقل بحب الله والقداسة فتشتعل الأعضاء كما بنار الله فيشتهي الإنسان في هذه اللحظات لو يصير ذبيحة.

إن العقل هو حصن الإنسان الإلهي الذي خرَّبه الشيطان بالشهوات والنجاسات؛ ولكن عاد الروح القدس وأصلحه وجدده وختمه، جاعلاً فيه حارساً ليس ضعيفاً كالناموس ووصايا موسى؛ بل قو ياً جباراً هو الحق!!

الحق هو حارس العقل، الحق هو هبة الروح القدس للعقل البشري؛ الخطية استعبدت الإنسان لما ملكت عقله... أما الحق فحرر العقل من كل سلطان الخطية... «تعرفون الحق والحق يحرركم» (١٣٢)!!

يستمر الكاهن في رشم الأعضاء، فيمر على وجه المعتمد و يرشم حواسه بمثال الصليب: الأنف والفم والأذن اليمنى مع العين اليمنى ثم العين اليسرى مع الأذن اليسرى ولا يرفع أصبعه حتى يتسنى له أن يصنع من هذه الرشومات صليباً واحداً على كل الوجه!!

ثم يكمل بقية أعضاء الجسم كله ٣٦ رشماً، لا يترك عضواً أو مفصلاً أو جزءاً في الجسم إلا ويختمه بخاتم الروح.

---

(١٣١) رو٦: ١٣، ١٨، ١٩. (١٣٢) يو٨: ٣٢.

وهكذا يكمل الكاهن ختانة الأعضاء وكأنه يخلع عنها غلفتها، «وبه أيضاً خُتنتم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية» (١٣٣)، و يعطيها ختم الروح للشهادة وصورة المسيح.

بعد ذلك تصير الأعضاء كلها للمسيح، بل كما يقول بولس الرسول **تصير «أعضاء المسيح»**، لذلك فهو يقشعر حينما يتصور أن إنساناً ما يعود و يستخدم هذه الأعضاء للنجاسة فيقول: «أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاءَ زانيةٍ، ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح» (١٣٤).

حراسة الختم:

ولكن هل ختم الروح القدس الذي نناله بالميرون لا يتلوث قط! نفهم من قول للقديس أثناسيوس أن تلوث الفكر والأعضاء بعد المعمودية أمر لا مفر منه: [إن العقل هو مرآة الله الكلمة، ما أسهل أن تتلوث هذه المرآة] (١٣٥).

ولكن أمر تجديدها وغسلها هو أمر يتكفل به الروح القدس أيضاً في سر الإعتراف والتوبة.

فالقديس أثناسيوس يعود و يقول أنه كما أن المعمَّد يستنير بنعمة الروح القدس، هكذا بواسطة الكاهن ينال التائب الغفران بنعمة المسيح.

وكذلك القديس أغسطينوس يقول في ذات المعنى:

[إن الخطية التي يفعلها موعوظ تُغسل بالمعمودية، وإذا فعلها معتمد تُترك بالتوبة] (١٣٦).

فالتوبة هي ضابطة المعمودية، وحارسة أختام المسحة، وهي الحافظة على حقوق المعتمد، والضامنة لبقاء وعد الميراث!!

---

(١٣٣) كو٢: ١١.   (١٣٤) ١كو٦: ١٥.   (135) Cited in "Orth. Spt." op cit., p. 51

(١٣٦) كتاب أسرار الكنيسة السبعة ص ١٢٩ لحبيب جرجس.

المختومون: الجلجال الجديد:

حينما عبر يشوع الأردن مع بني إسرائيل تلقوا أمراً إلهياً بعدم التحرك والتزام حدود الجلجال بجوار ضفة الأردن الغربية إلى أن يختتنوا جميعاً في لحم غرلتهم: «وصعد الشعب من الأردن في اليوم العاشر من الشهر الأول وحلوا في الجلجال في تخم أريحا الشرقي، في ذلك الوقت قال الرب ليشوع إصنع لنفسك سكاكين من صوان وعد فاختن بني إسرائيل» (١٣٧).

هكذا بعدما اعتمد بنو إسرائيل في الأردن إلتزموا بالختان مباشرة إعداداً للدخول بهم إلى كنعان أرض فلسطين أرض الموعد!! وكل من وُجد غير مختون لا يصير من عداد الشعب ولا يكون له نصيب في كنعان.

ما أبدع الرمز وما أقوى التشبيه، فلم تكن كنعان أرض الراحة الجسدية إلا رمزاً لكنعان السمائية الراحة العليا، ولم يكن الأردن إلا تعبيراً عن المعمودية دائماً، وعبوره يرمز إلى اجتياز الموت الذي جازه الرب قديماً بالتابوت وحديثاً بجسده في القبر. وما شعب إسرائيل إلا رمزٌ لباكورة المفديين الذين عبروا مع الرب في الأردن قديماً وفي جرن المعمودية حديثاً.

ولم تكن الختانة في الجلجال بعد عبور الأردن مباشرة في لحم الغلفة إلا رمزاً للختانة الروحية في القلب التي تجيز لحامليها الدخول إلى الراحة الأبدية وحق الإمتلاك والميراث مع المسيح في المجد.

«وسمعت عدد المختومين مائة وأربعة وأربعين ألفاً من كل سبط... ونظرت وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده... من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة» (١٣٨).

«وهم سينظرون وجهه وإسمه على جباههم» (١٣٩).

ياإخوة كلما عيَّدتم للعنصرة تذكروا بهذه الأمور. □

---

(١٣٧) يش٤: ١٩، ٥: ٢. (١٣٨) رؤ٧: ٤، ٩. (١٣٩) رؤ٢٢: ٤.

الروح القدس وكمال استعلان الثالوث عند القديس أثناسيوس

ـــ ماهية الروح القدس كأقنوم إلهي في الثالوث المتساوي
(وحدة الثالوث المتساوي)

ـــ أثناسيوس وإرساء القواعد الثابتة للاهوت الروح القدس ووحدة الثالوث.

(سنة ١٩٨١)

المحتويات

الفصل الأول

ماهية الروح القدس كأقنوم إلهي في الثالوث المتساوي

كان أثناسيوس أول من دافع عن لاهوت الروح القدس، عندما واجه كلاً من جماعة المتقلبين(١) والأريوسيين الذين قالوا بأنه مخلوق.

ودفاع أثناسيوس يقوم أساساً على إثبات الوحدة القائمة بين الثلاثة أقانيم الآب والإبن والروح القدس أنهم إله واحد. على أن هذه الوحدة الجوهرية القائمة في الثالوث تتضح من وحدة العمل، فكما أن الإبن لا يعمل شيئاً من ذاته، كذلك الروح القدس لا يعمل شيئاً من ذاته، وإنما كل عمل هو من الثالوث «من الآب بالإبن في الروح القدس».

وأثناسيوس هو أول من أوضح هذا التعبير، وقد أخذه عنه القديس كيرلس وجعله أساساً لفهم الثالوث. وقد جاء دفاع القديس أثناسيوس متفرقاً في مقالاته ضد الأريوسية، ثم مركزاً في أربع رسائل عن «الروح القدس» موجهة إلى الأسقف سيرابيون الذي كان قد بعث إليه أثناء نفيه وهروبه في أعماق الصحاري يشكو فيها من قيام هذه الهرطقة القائلة بمخلوقية الروح القدس و يستفسر عن الرد.

وقد كتب أثناسيوس هذه الرسائل ـــ كما سبق وقلنا ـــ بين سنة ٣٥٨ــ ٣٦١م، وقد خصَّ أثناسيوس كل رسالة بناحية هامة من لاهوت الروح القدس:

في الرسالة الأولى يهتم بلاهوت الروح القدس عامة، مستشهداً بآيات الكتاب المقدس ثم بالوحدة الكائنة بين الآب والإبن والروح القدس، وهي الرسالة الهامة التي سنركز عليها.

الرسالتان الثانية والثالثة وفيها يشدد على لاهوت الروح القدس على نمط الطريقة التي يبرهن بها على لاهوت الإبن.

---

(١) τροπικοί ومعناها تصوريون Figurists

٥

الرسالة الرابعة وتتركز في تفسير قول الرب عن التجديف على الروح القدس.

ولكن ماذا كانت الرؤية العامة في الكنيسة وعند آباء ما قبل نيقية عن الروح القدس؟
ثم كيف سار منهج التعريف بالروح القدس منذ البدء حتى أثناسيوس؟

قبل أن نخوض في هذا الشوط الطويل من الإدراكات والتعبيرات التي صاغت المنهج القانوني للتعريف بالروح القدس منذ القديم، يلزم بدء كل ذي بدء أن نفرق بين أفراد طبقة المفكرين في الكنيسة الذين حاولوا باجتهاد شخصي و بدون قيادة واضحة من الروح القدس بل و بدون الإعتماد على التسليم، أن يعرِّفوا بالروح القدس و يصفوه حسب تصورهم، سواء بالنسبة للآب أو للإبن أو في الثالوث، فخرجوا عن التعريف السليم وجنحوا جنوحاً خطيراً عن الحق الواضح في الكتاب المقدس، بل ومتحدِّين معطيات الشرح البسيط الواضح الذي ورثته الكنيسة عن الرسل والآباء وجماعات الملهمين الأولين حسب التقليد الذي كان يحسه و يعيشه عامة الشعب بدون أي فحص أو برهان.

فتعاليم إنجيل يوحنا الواضحة جداً عن شخصية الروح القدس كانت قوية ومدركة بالنسبة للإنسان الجديد «مولودين من الماء والروح»، ثم ما جاء في أعمال الرسل عن أعمال ومواهب الروح القدس التي تنطق بشخصية الروح القدس وقيادته بصورة حيَّة واقعية وعملية فهو يقود و يفهم و يتكلم و يدعو و ينتخب و يرسل ويحكم ويمنع و يصرح ويملأ و يقوي كإله وكشخص حي يتعامل مع الإنسان.

لذلك نجد خطين متوازيين في البحث التاريخي عن منهج التفكير والتقنين في حقيقة الروح القدس:

أولاً: خط الرسل الذي يعطي الإيمان الواضح المحدد عن شخصية الروح القدس الإله الكامل في الثالوث المساوي للآب والإبن في المجد والكرامة والعمل، حيث ظل هذا الخط هو الذي تعيشه الكنيسة وتمارسه بدون فحص.

وحينما طُلبَ من الكنيسة رسمياً أن تقول رأيها في الروح القدس في كل المواقف الحرجة قالته بدون تردد أو تفكير ولا إلى لحظة واحدة أنها تعبد إلهاً واحداً في ثلاثة أقانيم : آب وإبن وروح قدس في لاهوت واحد .

ثانياً : وأما بعض الآباء المتأخرين عن الرسل الذين عثروا في تحديد ماهية الروح القدس ، فالسبب الذي صار منفذاً لهؤلاء المفكرين لكي يدخلوا فيه بأفكارهم وتصوراتهم المنحرفة **هو أن الرسل والكنيسة الأولى لم تحدد العلاقة أو الطبيعة التي تربط الأقانيم الثلاثة معاً ، ولم تترك قانوناً محدداً للتعبير عن الإيمان بكل أقنوم على حدة فيما يخص شخصه** ، لأن مثل هذا التحديد كان غريباً جداً عن تصور الكنيسة ، فالله واحد والثلاثة أقانيم فيه متساوية والعمل بينهما واحد ، كل واحد يعمل بشخصه ، والكل يعمل معاً كذات واحدة بآن واحد : «عمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس» ، فالعماد عمل واحد يتم باسم الله بواسطة الأقانيم الثلاثة كإله واحد ، ولكن كل أقنوم بعمله المتميز كل واحد باسمه .

لذلك حينما نعود إلى المراحل التاريخية التي عبرها منهج التعريف والتحديد لشخص الروح القدس ، لا تكون هذه المراحل للتعبير عن تاريخ مراحل فكر الكنيسة الصحيح البسيط الثابت ، بل هي في الواقع دراسة لأفكار أفراد انفردوا في حوارهم عن تقليد الكنيسة البسيط ، فخرجوا أحياناً كثيرة عن تسليم وعيها الإيماني وبدأوا يقررون حسب تصورهم ماهية الروح القدس ، سواء كانوا من أصحاب البدع اليهودية والغنوسية والوثنية أو من الذين كانوا يدافعون ضدهم الذين جاءت أقوالهم بمثابة دراسة للردود على هذه الإنحرافات ، وهم الآباء اللاهوتيون مستقيمو الرأي مثل اكلمندس وبابياس وإغناطيوس وإيرينيئوس وكبريانوس وهيبوليتس .

ولذلك نعتبر فكر العلامة هارناك ، وهو من مشاهير اللاهوتيين الألمان الذين تعرضوا لتاريخ الفكر الكنسي فيما يختص بشخص الروح القدس ، فكراً خاطئاً إذ تصور أن الكنيسة برمتها مع شعبها وقديسيها عبروا هذه المراحل الخاطئة والناقصة في فهم وتقدير

ومعايشة الروح القدس(٢).

وهذا رأي غير مقبول ولا هو منطقي، فكيف أن الكنيسة الأولى كنيسة الروح القدس والقوة، كنيسة النعمة والكرازة والفم الشاهد بالآلام والقيامة، هذه الكنيسة نفسها كيف نقول أنها كانت تعيش في جهل من الروح القدس لا تعيه ولا تُقيِّمه التقييم الصحيح؟

والحقيقة أن خط الكنيسة التي كانت تحيا وتسير بالروح القدس لم يتأثر قط بخط العلماء والحكماء(٣) والمفكرين المحاجين، الذين كانوا يعيشون و يتخاطبون في أجواء البدع والوثنية بإحساس المدافعين عن فكرة معينة ضد فكرة معينة، منفصلين عن واقع الروح القدس الحي القائم والعامل في الكنيسة، الذي يصعب بل و يستحيل حصره في كلمات وجمل يقبلها الهراطقة، دون أن يعيشوا ويحسوا بقوة الروح القدس نفسه، ودون أن يكونوا قد قبلوا المسيح أولاً و ولدوا من الماء والروح، لأن كل بحث أو دراسة عن الروح القدس بدون معايشة فعلية تقوية للروح القدس لابد وأن تأتي بانحرافات.

لذلك حينما نأتي إلى ما قدمه القديس أثناسيوس من منهج دراسي لاهوتي مشروح بدقة للروح القدس في منتصف القرن الرابع، لا يمكن أن نعتبر ذلك مرحلة نضوج لفكر الكنيسة، أو أنه كان نهاية لمراحل سابقة من الإنحرافات، ولكن الحقيقة وعين الأمر أن أثناسيوس قد استطاع أن يقدم بتقواه واستنارته الروحية فكراً لاهوتياً مُبرهَناً ودقيقاً لماهية الروح القدس في منهج مدرسي جاء مساوياً تماماً و بلا أي زيادة أو نقصان لفكر الرسل والإنجيل البسيط المُعاش والحي عن الروح القدس في جسم الكنيسة ووجدانها منذ أن عرفته الكنيسة حتى إلى ذلك الوقت، وكل ما عمله أثناسيوس هو أنه استقطب كل الهرطقات والإنحرافات وفندها وشجبها وأنهى عليها إلى الأبد.

---

(2) Adolf Harnack , Hist of Dogma: History of The Holy Spirit & of Trinity, p. 266.

(٣) [لأن ما سُلِّم بالإيمان لا ينبغي أن يُقاس بالحكمة البشرية]. أثناسيوس عن الروح القدس الرسالة الأولى فصل ١٧.

تعاليم العهد القديم من نحو الروح القدس
التي ورثها الرسل الأوائل

أولاً: من خلال أسفار العهد القديم العبرية وتعاليم الربيين

١ . كان الروح القدس له صفة دامغة فائقة وهي القداسة «الروح القدوس».
٢ . والصفة الأخرى التي تساويها وتلتزم بها هي «روح الله».
٣ . وبالتالي فإن الروح القدس بناء على الصفتين الأوليين أعطي صفة «الصلاح» المطلق، وصفة «الوجود في كل مكان» Omnipresence

أ ــ [**روحك القدوس** لا تنزعه مني] (مز٥١ : ١١)... صفة القداسة تُمنح للإنسان بسُكنى الروح القدس.
ب ــ [وأعطيتهم **روحك الصالح** لتعليمهم] (نح٩ : ٢٠) ... صفة الصلاح.
جـ ــ [أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب] (مز١٣٩ : ٧) ... صفة الوجود في كل مكان.
د ــ [وكانت الأرض خربة وخالية «**وروح الله**» يرف على وجه المياه] (تك١ : ٢) ... نسبة الروح الخاصة لله.
هـ ــ [**روحك الصالح يهديني** في أرض مستوية] (مز١٤٣ : ١٠) ... صفة الصلاح تباشر عملها لهداية الإنسان.
و ــ [وتكلم جميع **حكماء القلوب** الذين **ملأتهم روح حكمة**] (خر٢٨ : ٣) ... الحكمة صفة الروح توهب للإنسان بسكنى الروح.
ز ــ [وحي داود بن يسى وحي الرجل القائم في العلا مسيح إله يعقوب ومرنم إسرائيل الحلو **روح الرب تكلم بي وكلمته** على لساني] (٢صم٢٣ : ١، ٢) ... الروح القدس الناطق في الأنبياء بالإلهام والنبوة.

والروح القدس في العهد القديم كانت أعماله الواضحة باختصار كالآتي:
أولاً: القوة الفعالة في الأبطال الذين انتخبهم الله للدفاع عن إسرائيل.

ثانياً: كان هو الإلهام الذي يدبر حكام إسرائيل.
ثالثاً: كان ينتقل بمفاعيله وقوته وحكمته من شخص إلى شخص بوضع اليد و بوسائل أخرى.
رابعاً: كان هو إلهام الأنبياء للنطق بكلمة الله.
خامساً: كان هو قوة التقديس وقوة الدينونة في القضاء.
سادساً: كان هو البصيرة الكاشفة لأمور أواخر الدهور عند بعض الأنبياء.
سابعاً: كانت علامات حضوره تنبيء عن حضور الله شخصياً.
ثامناً: كان عاملاً فعالاً في الخلق.
تاسعاً: كان تعبيراً عن كيان الله، أي جوهر الوجود الإلهي، على مدى الأسفار.

ومن كل تعاليم الكتاب المقدس في العهد القديم من جهة الطبيعة الأساسية للروح القدس نجدها بلا شك واضحة ومحددة ومتفق عليها بالإجماع، **أن للروح القدس جوهراً إلهياً.**

ولكن من حيث فرادة شخصيته أو أقنومه، فمن الوجهة العمومية نفهم ذلك أيضاً على وجه القطع والتحديد، ولكن ليس بالوضوح الكافي سواء كان في الأسفار الأولى أو الأخيرة، فالعهد القديم ينسب للروح القدس شخصية مفردة قائمة بذاتها **مع الله نفسه** حاضرة وفعالة في العالم أو في الإنسان، أما تعاليم المسيح والرسل فبالرغم من نسبة الصفات الشخصية للروح القدس، فإنها تمتد **فتميِّز** الروح القدس عن الآب والإبن (٤).

كما يُفهم من أسفار العهد القديم عن الروح القدس أنه هو **«الله الفعال بالقوة»**، وفي هذا المجال فالروح له شخصية ذات صفات خاصة، كما تنسب إليه أعمال شخصية، فالروح في العهد القديم شخص في نطاق أنه هو الله، و بالإضافة إلى ذلك فإن الروح القدس يظهر بصفات شبه مستقلة أحياناً، التي تقترب من حدود

---

(4) Rev. Henry Barclay Swete, Dict. of Chr. Biogr., p. 114, & in Hasting's D. B., p. 196.

الشخصية المتميزة، خصوصاً عندما يُذكر في الأسفار «الكلمة» و«الروح» معاً في مقارنة. ولكن هذا التمايز ينطبق فقط على النشاطات الخارجية «للكلمة والروح» كقوتين، ولكن يبقى الكشف عن التمايز بينهما في ذات الوجود في الله إلى عصر متأخر من العهد القديم.

ـ «أرسل **نورك وحقك** هما يهديانني و يأتيان بي إلى جبل قدسك وإلى مساكنك» (مز٤٣: ٣).

«يرسل الله **رحمته وحقه**» (مز٥٧: ٣).

«أين أذهب من **روحك** ومن **وجهك** أين أهرب» (مز١٣٩: ٧).

«تحجب **وجهك** فترتاع. تنزع أرواحها فتموت. وإلى ترابها تعود. ترسل **روحك فتخلق**. وتجدد وجه الأرض» (مز١٠٤: ٢٩و٣٠).

«أرسل **كلمته** فشفاهم...» (مز١٠٧: ٢٠).

«لم أتكلم منذ البدء في الخفاء. منذ وجوده أنا هناك (الكلمة) والآن السيد الرب أرسلني **وروحه**» (أش٤٨: ١٦).

«وفي كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته (الكلمة) خلصهم، ولكنهم تمردوا وأحزنوا **روح قدسه**» (أش٦٣: ٩، ١٠).



ثانياً: من خلال الأسفار القانونية الثانية

Duetero-canonical المدعوة بالأبوكريفا

قدمت هذه الأسفار فكرة قوية وواضحة عن شخصية الروح القدس معبَّراً عنه دائماً «بحكمة الله»، مما جعل بعض كُتَّاب الكنيسة الأوائل يخلطون بين المسيح «حكمة الله» والروح القدس «حكمة الله»، وحدا ببعضهم إلى القول بأن المسيح هو نفسه الروح القدس قبل تجسده.

وهذا نشأ أيضاً بسبب عدم وضوح الفارق بين «الروح» و«الكلمة» من جهة الوحي والرؤيا في مواضع كثيرة من العهد القديم... فنقرأ أن كلمة الله كانت على نبي فتنبأ... ثم نقرأ بنفس المعنى أن روح الله كان على آخر فتنبأ.

وقد ظل الإعتقاد بأن حلول الكلمة، أي كلمة الله، مساوٍ لحلول الروح القدس على الأشخاص للتنبوء والوحي، ظل مستمراً في الكنيسة الأولى، حتى أننا نرى في قداس سيرابيون، والقديس أثناسيوس نفسه في شرحه للإفخارستيا يقول، عند التحول، إن الذي يحل على الخبز فوق المائدة المقدسة ليحوله إلى جسد الكلمة هو «الكلمة» ذاته ولم يتحدد القول بحلول الروح القدس إلا في أواخر القرن الرابع في سورية (٥).

بل ونجد صدى هذا التوازي أو التساوي بين حلول الكلمة وحلول الروح القدس وعملها في بعض الرسائل، فنسمع من بطرس الرسول:

ــ «**مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله** الحية الباقية» (١بط ١ : ٢٣).

كذلك في رسالة يعقوب الرسول «شاء **فولدنا بكلمة الحق** لكي نكون باكورة من

---

(٥) انظر كتاب الإفخارستيا والقداس للأب متى المسكين ص ٦٨٠.

خلائقه» (يع ١ : ١٨). (ومعروف أن الميلاد الثاني من السماء هو من الماء والروح القدس فالكلمة هنا حلَّ محل الروح القدس).

ــ «**وكانت كلمة الرب عزيزة في تلك الأيام، لم تكن رؤيا كثيرة**» (١صم٣ : ١).

ــ «**فيحل عليك روح الرب فتتنبأ** معهم وتتحول إلى رجل آخر» (١صم١٠ : ٦).

ــ «**وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً...**» (١صم١٥ : ١٠).

ــ «فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته **وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم** فصاعداً» (١صم١٦ : ١٣).

ــ «**وكان كلام الرب إلى ناثان قائلاً...**» (٢صم٧ : ٤).

ــ «**روح الرب** تكلم بي **وكلمته** على لساني... إليَّ تكلم صخرة إسرائيل» (٢صم٢٣ : ٢).

ــ «ثم صارت **كلمة الرب** إليَّ قائلاً...» (إر١ : ١١).

ــ «**الكلمة** التي صارت إلى إرميا من قِبل الرب قائلاً» (إر٧ : ١).

تتلخص أعمال الروح القدس في الكتب القانونية الثانية بأنه **يملأ الكون، ويحب البشرية، ويعلم ويطهر أفكار الإنسان وقلبه.**

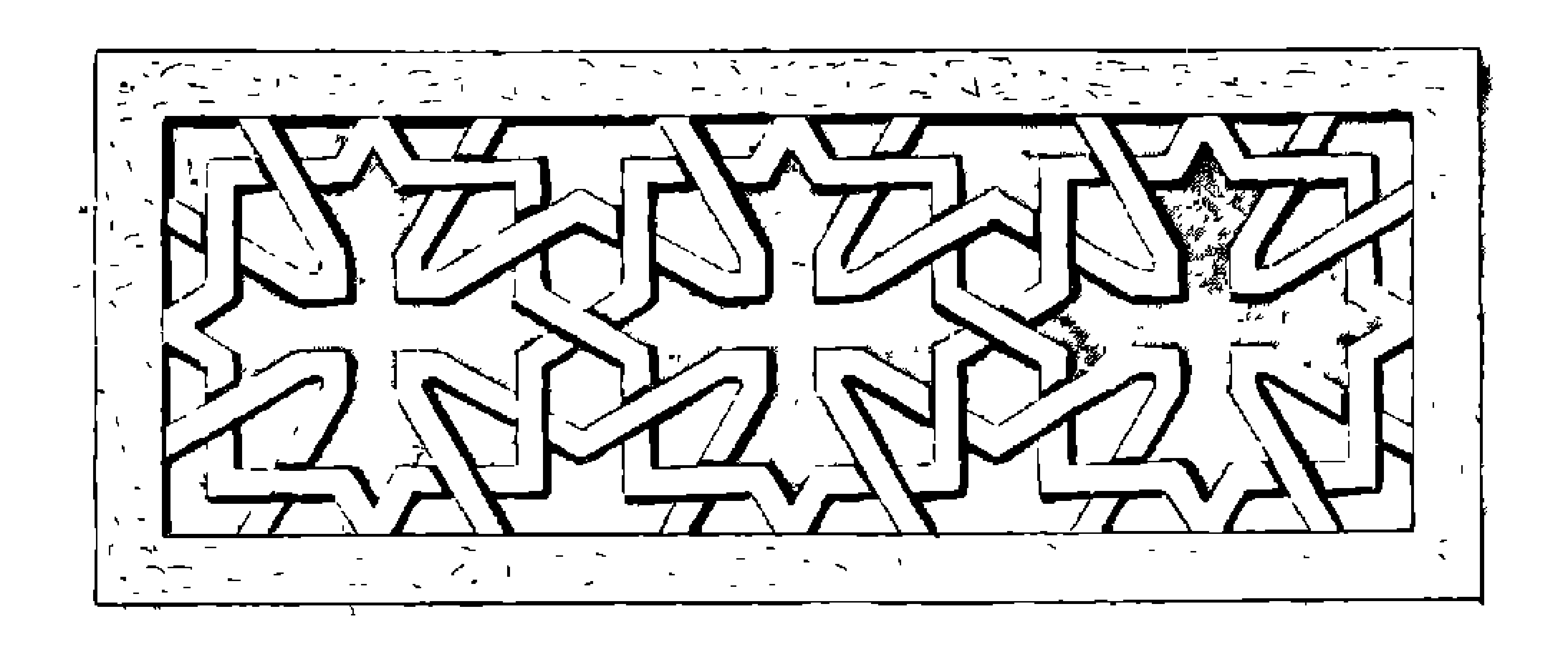
أنظر (Sir I:7; XII:1; I:4, 5, 6; IX:17) = **(سفر إبن سيراخ).**

العصور المتأخرة من الفكر اليهودي:

وقد مال الفكر اليهودي في أواخر الأيام ــ طبعاً من جراء بعده عن الله وتمسكه بالعالم والمال والأرض ــ إلى التقليل من شأن الروح القدس، حتى إذا ما وصلنا إلى الصدوقيين في أيام المسيح نجدهم يحذفون أصلاً ومن الأساس كل اعتقاد بوجود الروح «لأن الصدوقيين يقولون أنه ليس قيامة ولا ملاك **ولا روح** أما الفريسيون فيقرُّون بذلك» (أع٢٣ : ٨).

وبدخول المسيحية انهار الفكر اليهودي جملة وتفصيلاً من جهة الروح القدس، حتى أننا نجد فيلو الفيلسوف اليهودي الذي أراد أن يحيي التراث الروحي اليهودي يقصر مفهوم الروح على مجرد حكمة الله الموهوبة للحكماء أو مجرد قوة يؤثر بها الله على الموحى إليهم(٦)، وأصبح هذا المفهوم هو الإعتقاد السائد والثابت في القانون اليهودي.

وقد تسرب هذا الفكر اليهودي الخاطىء إلى الفكر المسيحي عند بعض المنحرفين حتى أيام غريغوريوس النزينزي فنسمعه يتكلم عن جماعة في أيامه يعتبرون الروح القدس مجرد «قوة» ἐνέργεια (٧).



---

(6) Philo. De Gyant, 5; De Monarch 1:9, cited by D.C.B., p. 114.

(7) D C.B., p. 114; & August , de Haer. 1 ii.

ثالثاً: بداية العصر المسيحي

يبدأ العصر المسيحي بتقدم هائل في التعرف على الروح القدس وأعماله؛ حتى أننا نجد الإنجيل يضع الروح القدس في صدر العهد الجديد، **فهو** أداة التجسد.

«**الروح القدس** يحل عليكِ وقوة العلي تظللك فلذلك القدوس المولود منك يدعى إبن الله» (لو١: ٣٥)، وهنا تجدر الإشارة بأن الوحي الإلهي يفرق بين **شخص** (أقنوم) الروح القدس و«**قوة**» العلي، إمعاناً في الكشف عن الخطأ السائد في الفكر اليهودي آنذاك أن الروح القدس مجرد قوة.

وفي إنجيل القديس متى، يقول الملاك صراحة ليوسف: «يايوسف ابن داوود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس» (مت١: ٢٠)، فالروح القدس أداة التجسد، فالجسد المولود هو بالتالي جسد إلهي، وقول الملاك **تعقيباً** على أنه **مولود من الروح القدس** أنه يدعى **ابن الله** يوضح ماهية الروح القدس بالنسبة لله.

وبعد ذلك نجد الروح القدس في حياة المسيح فعَّالاً سواء في المسحة الأولى على نهر الأردن لبدء الخدمة: «كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة» (أع١٠: ٣٨)، أو متمماً لكل الأعمال: «إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» (مت١٢: ٢٨).

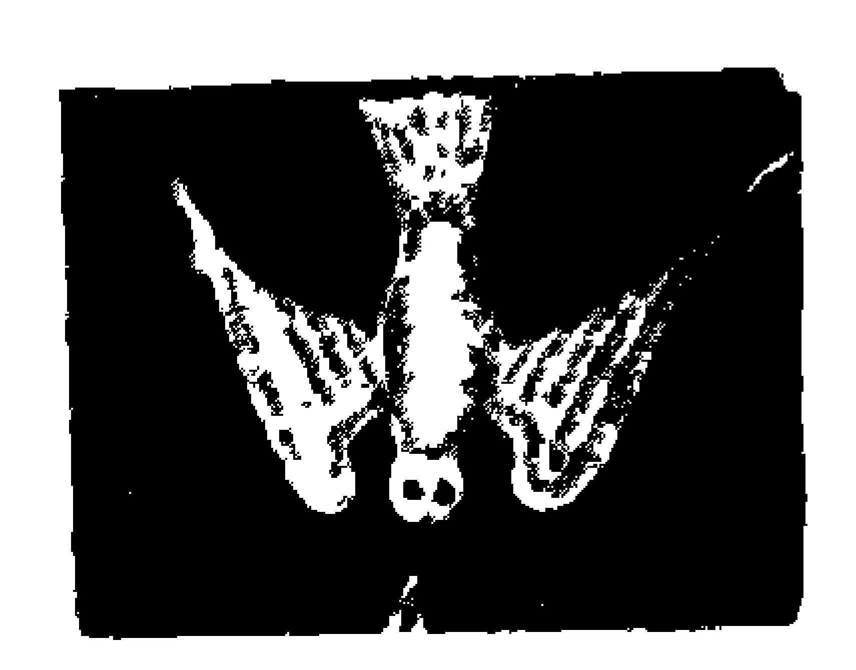
وتجدر الإشارة هنا أن المسيح باعتباره التجديف على الروح القدس خطية عظمى لا تُغفر، يشير بوضوح وتحديد أن الروح القدس «شخص» له هيبته وكرامته الإلهية.

ثم نجد كيف يبني المسيح كنيسته على أساس أنها خلقة جديدة بالروح القدس بالولادة من فوق من الروح القدس والماء، وأنها تعيش وتعمل في العالم بقوة الروح القدس:

ففي تعاليم المسيح يركز على الروح القدس (يو٣: ١ــ٨) باعتباره واسطة دخول ملكوت الله، وباعتباره القياس الوحيد للعبادة بالسجود «**بالروح**» والحق، وأنه المصدر الوحيد لإرتواء الإنسان لكي لا يعطش إلى تراب الأرض بل يصير في الإنسان ينبوع حياة أبدية! وأن قبول الروح القدس بهذا الوصف يتوقف على الإيمان بالمسيح أولاً «من آمن بي تجري من بطنه أنهار ماء حي قال هذا عن الروح الذي كان **المؤمنون** به مزمعين أن يقبلوه لأن الروح القدس لم يكن قد أعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد تمجد بعد (الصليب)» (يو٧: ٣٧ــ٣٩)، وأنه هو الباراكليت أي المعزي والشفيع للإنسان (يو١٤: ١٥).

وأن الروح القدس في التلاميذ وفي أولاد الله سيبكت العالم، أي يقف فينا ضد قوى الشر مؤازراً لنا ومحامياً عنا (يو١٦: ٧ــ١١).

وأنه مصدر قوة البشارة، فمتى حلَّ على المختارين ينالون في الحال قوة من الأعالي للشهادة (أع١: ٨).



رابعاً: عصر الرسل

١ ــ إعلان الروح القدس عن نفسه عملياً للرسل.
٢ ــ إستعلان الرسل للروح القدس لاهوتياً.

تمتلىء صفحات أعمال الرسل والرسائل بالإشارات القوية جداً والواضحة غاية الوضوح عن شخصية الروح القدس وفاعليته، سواء من الوجهة العقائدية الوصفية لشخصه أو الوجهة العملية لعمله، وأصبح هذا كله تراث الكنيسة الذي يبني عقيدتها في الروح القدس:

١ ــ إعلان الروح القدس عن نفسه عملياً للرسل (أعمال الرسل):

يبتدىء سفر الأعمال بوضع الروح القدس موضعه الجديد وتحديد عمله الشخصي في الكنيسة عوض المسيح تماماً «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد» (يو١٤: ١٦)، هذا المعزِّي لا يقول ولا يعمل ولا يرشد إلا بما هو من المسيح ولأجل المسيح فهو «لا يتكلم من ذاته بل يأخذ مما لي ويخبركم». فسفر الأعمال يقدم الروح القدس لإستمرار عمل المسيح في الكنيسة وبدونه يستحيل على الكنيسة أن تتكلم أو تتحرك أو تعلن المسيح **«لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني، ...لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض»** (أع١: ٤ــ٨).

المسيح سيبقى في السماء ولكن الروح القدس سيدوم في الكنيسة على الأرض إلى حين انتهاء هذا الدهر والمجيء الثاني للمسيح «و يرسل يسوع المُبشَّر به لكم قبلُ الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء (تكميل) التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر» (أع٣: ٢٠، ٢١). فالروح القدس هو في الحقيقة شخص الإتصال الدائم والحي والفعّال بين المؤمنين و بين المسيح، فإذا كان المسيح واضحاً في

القلب وكانت علاقة المؤمن بالمسيح صادقة وقوية وحيَّة وفعالة كانت هذه علامة على وجود وعمل الروح القدس فيه.

فالروح القدس يعمل الآن عمل المسيح و يكمله فينا، أي يمنحنا الخلاص والفداء الذي أكمله المسيح من أجلنا، يهبه لنا و يثبتنا فيه.

والروح القدس نفسه يصفه بولس الرسول من جهة هذا بأنه «روح المسيح» إمعاناً في التأكيد أنه يملك كل ما للمسيح و يدرك كل ما للمسيح، وقادر أن يعطينا كل ما للمسيح وما عمله المسيح، لذلك فبدون الروح القدس يستحيل الإيمان بالمسيح ولا معرفة أسرار المسيح ولا نوال قوة الخلاص والفداء اللذين أكملهما المسيح لنا.

بل إن بولس الرسول يقول في ذلك باختصار «أما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم، ولكن **إن كان أحد ليس له روح المسيح فذاك (أي المسيح) ليس له**» (رو٨: ٩).

ــ (أع٢: ١ــ١١، ١٦ــ١٨) هبوب الريح العاصف وألسنة النار الحالّة على رؤوس التلاميذ والتي رافقت أول حلول للروح القدس على الكنيسة هي نفس علامات ظهور الحضرة الإلهية على جبل سيناء[٨]؛ ثم موهبة النطق بلغات جديدة التي أعطاها الروح القدس للتلاميذ هي نفس عطية الله قديماً للأنبياء أن ينطقوا بكلمات الله والتنبوء، وإن كان بلغة العبرانيين، ولكن كانت لغة رصينة و بعضها كان بالشعر الموزون مع أن الأنبياء كان منهم الأميون.

وهكذا كان الوعد الذي قيل بيوئيل النبي أن يكون حلول الروح القدس على الجميع «على كل بشر» وإعطاء موهبة التنبوء والآيات والرؤى والأحلام للبنين والبنات والشباب والشيوخ والعبيد والعبدات، كل من يدعوه الرب و يتوب و يعتمد باسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فإنه يقبل العطية ذاتها لأن الموعد القدوس للجميع للقريبين والبعيدين، أي لكل الأجيال الآتية بدون تفريق زمني.

---

(٨) انظر كتاب العنصرة للأب متى المسكين ص٩، ١٠.

ــ (أع ٤ : ٣١) **«ولما صلوا تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه وامتلأ الجميع من الروح القدس وكانوا يتكلمون بكلام الله بكل مجاهرة».**

هنا تزعزع المكان يذكرنا بزعزعة جبل سيناء علامة أكيدة على الحضرة الإلهية، ثم المجاهرة العلنية بالبشارة والشهادة للمسيح هي القوة الموعود بها من الأعالي، تتم للمرة الثانية.

ــ (أع ٤ : ٣٣) **«بقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة** بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم».

هذه القوة تنتظر الكنيسة في كل أزمنة الضيق، ولقد عاشها أثناسيوس وأثبت صدق الوعد، بل أثبت قوة الروح القدس التي فيه وفي الكنيسة.

ــ (أع ٥ : ٤، ٩) «أنت لم تكذب على الناس بل على الله»، «ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب».

يلاحظ هنا في كلام بطرس الرسول لحنانيا أنه اعتبره قد كذب **على الله**، وفي مواجهة سفيرة امرأته كرر اللوم، أنهما يجرِّبان أو يكذبان على **«روح الرب»**، وهنا يكشف الوحي على فم بطرس عقيدة الكنيسة من جهة الروح القدس أنه هو الله من جهة الكيان أي الجوهر الواحد.

وكان عقاب الكذب على الروح القدس هو أنهما وقعا وماتا في الحال، وهذا يكشف عن عقيدة الكنيسة بالنسبة لخطورة عمل الروح القدس التأديبي، فما تم لحنانيا وسفيرة بالجسد جهاراً يتم بالروح سراً للذين يستهينون بسلطان إشراف الروح القدس على تدبير الكنيسة حتى في الأمور المالية.

ثم موت آريوس فجأة قبل دخوله الكنيسة للصلاة هو مطابقة عملية لقصة حنانيا وسفيرة.

ــ (أع ٥ : ٣٢) «ونحن شهود له بهذه الأمور والروح القدس أيضاً **الذي أعطاه الله للذين يطيعونه».**

هنا يوضّح الرسل شخصية الروح القدس، التي يحسون بوجودها معهم، قائمة بذاتها حتى **أنهم يستطيعون أن يميزوا بين شهادتهم وشهادة الروح القدس داخلهم** بالرغم **من أنها تخرج من أفواههم شهادة واحدة**، غير أن شهادة الروح القدس تميزها بالإضافة قوة خاصة داخلهم وإجراء معجزات علنية بواسطتهم.

ـ (أع٦: ١٠) «ولم يقدروا أن يقاوموا **الحكمة والروح الذي كان يتكلم به**».

إرتباط الحكمة مع الروح القدس الذي اختبرته الكنيسة في الشهيد استفانوس صار تطبيقاً عملياً للتقليد القديم أن الروح القدس «روح حكمة» لتدبير الكنيسة، ولا يمكن فصل الروح القدس عن الحكمة.

ـ (أع٧: ٥١) «ياقساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان، **أنتم دائماً تقاومون الروح القدس كما كان آباؤكم كذلك أنتم**»...

قساة الرقاب يعني بها عدم الطاعة لله، عدم ختانة القلب يعني بها الشر والنجاسة المبيَّت عليها داخل الضمير، وعدم ختانة الآذان يعني بها عدم القدرة على سماع صوت الله ومقاومة الكلمة، مقاومة الروح القدس يعني بها مقاومة الشهادة للمسيح والحق.

ـ (أع٨: ١٥) «اللذين لما نزلا **صلّيا لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس** لأنه لم يكن قد حلَّ على أحد منهم غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع حينئذ **وضعا الأيادي عليهم فقبلوا الروح القدس**».

صار هذا في عمق خبرة الكنيسة وتراثها أن الروح القدس يحل مع المعمودية بواسطة وضع الأيادي، الذي تسميه الكنيسة الآن بمسحة الميرون، ووضع يد الأسقف أو الكاهن، حيث يتحتم الصلاة من أجل قبول الروح القدس.

وفي تسجيلات أعمال الرسل ربما يحل الروح القدس بعلاماته وقوته قبل المعمودية فتتم المعمودية بناء على حلوله، وذلك تشجيعاً لدخول الأمم أو تشجيعاً للتلاميذ لقبول بولس شاول مضطهد الكنيسة المرعب، كما حدث لبولس الرسول (أع٩: ١٧، ١٨)، وكما حدث لكرنيليوس الأممي وأهل بيته الذين تكلموا بألسنة قبل المعمودية (أع١٠: ٤٤ــ٤٨).

ولكن معمودية الروح القدس ومواهبه لا تُغني عن معمودية الماء، بل في هذه الأمثلة الإستثنائية كانت معمودية الروح القدس مؤهلاً قوياً لإجراء معمودية الماء بدون خوف.

وقد فسر بطرس الرسول حلول الروح القدس على كرنيليوس وأهل بيته وموهبة التكلم بالألسنة التي نطقوا بها **قبل معمودية الماء بأنها معمودية الروح القدس المباشرة بدون واسطة:**

«فلما ابتدأت أتكلم حلَّ الروح القدس عليهم كما علينا أيضاً في البداءة فتذكرت كلام الرب كيف قال أن يوحنا عمَّد بماء وأما أنتم فستعمَّدون بالروح القدس» (أع ١١: ١٥–١٧).

ويلاحظ كلمة الرب التي يذكرها هنا بطرس الرسول: **«ستعمَّدون بالروح القدس»** حيث ستعمَّدون **مبني للمجهول أي المعمودية تتم بواسطة آخر غير الرسل** وغير الإنسان عموماً، وهنا يذكر الرب و يتذكر بطرس قول الرب أن الشخص الذي سيعمِّد هو الروح القدس نفسه أو الله، أي أن المعمودية ستتم بواسطة الله بالإمتلاء من الروح القدس، ولكن يتحتم تكميل المعمودية بالماء. كما نلاحظ أن بحلول الروح القدس كانوا ينطقون بألسنة جديدة تأكيداً أنه هو الروح القدس الناطق في الأنبياء وهذا كشف واضح لشخصيته الإلهية.

–(أع ١١: ٢٧) «وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم إلى أنطاكية وقام واحد منهم إسمه أغابوس **وأشار بالروح** أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة».

هنا استمرار لعمل الروح القدس الأول منذ القديم أنه ناطق بالنبوة في الأنبياء، حيث لا الأنبياء ولا النبوة انقطعت بمجيء المسيح وحلول الروح القدس، بل امتدت لتشمل الأمور السمائية المزمعة وحياة الدهر الآتي، أي البشارة بملكوت السموات والحياة الأبدية، لتصير هي اللون الطاغي لعمل الروح القدس بالنبوة في العهد الجديد.

– (أع ١٣: ٢) «وبينما هم يخدمون الرب و يصومون، قال الروح القدس

افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه...، فهذان **إذ أرسلا من الروح القدس** انحدرا إلى سلوكية ...».

الروح القدس يقتحم الخدمة ويتجلى هنا كمدبر للخدمة، والداعي للخدام، والمرسِل للخدام بصورة شخصية واضحة منقطعة النظير، إنما في إطار من الصوم والصلاة والإجتهاد في الخدمة.

وهكذا يتضح أن الروح القدس صار هو **قائد الخدمة، أي البشارة بالمسيح، ومدبرها والمتولي شئونها في الكنيسة.**

ـ (أع١٣: ٩) «وأما شاول الذي هو بولس أيضاً **فامتلأ من الروح القدس وشخص إليه** (إلى عليم الساحر) وقال أيها الممتلىء كل غش وكل خبث، ياإبن إبليس، ياعدو كل بر، ألا تزال تفسد سبل الله المستقيمة؟ فالآن هوذا يد الله عليك فتكون أعمى لا تبصر الشمس إلى حين. في الحال سقط عليه ضباب وظلمة فجعل يدور ملتمساً من يقوده بيده».

هنا الروح القدس يقتحم الموقف، ويتجلى في الخدام والخدمة كحارس للإيمان وصحة العقيدة، مؤدب بقسوة كل محاولة لإفساد طريق المسيح، إنما ببرهان ومعجزة وليس بمجرد سطوة الإنسان.

ـ (أع٨: ١٨ـ٢٣) «ولما رأى سيمون أنه **بوضع أيدي الرسل يُعطَى الروح القدس، قدَّم لهم دراهم** قائلاً: أعطياني أنا أيضاً هذا السلطان حتى أيّ من وضعت عليه يديَّ يقبل الروح القدس. فقال له بطرس لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله **بدراهم**. ليس لك نصيبٌ ولا قرعةٌ في هذا الأمر. لأن قلبك ليس مستقيماً أمام الله. فتُبْ من شرِّك هذا واطلب إلى الله عسى أن يُغفَر لك فكر قلبك. لأني أراك في **مرارة المر ورباط الظلم**».

وهذه الحادثة قد رسخت في عمق أعماق اللاشعور بل والشعور أيضاً في الكنيسة كلها وعلى مدى كل العصور، وأسمت هذه المصيبة العظمى أي شراء المواهب بدراهم «بالسيمونية». وهكذا وضع الروح القدس في قانون الكنيسة لوضع اليد بالمال أو

بالطرق الأخرى الملتوية لنوال الأسرار الكنسية المختلفة، تحذيراً لا يمحى وسابقة خطيرة أسماها بطرس الرسول «مرارة المر ورباط الظلمة».

ــ (أع١٣: ٥٢) «وأما التلاميذ فكانوا **يمتلئون من الفرح والروح القدس**».

علامة مميزة لم تفارق خدام المسيح الأتقياء المملوئين من الروح القدس حتى وفي أشد الأحزان والأهوال والضيقات، وهذه العلامة هي **الملء من الفرح مع الملء من الروح القدس، فيستحيل أن يحل الروح القدس في الخدام الأمناء إلا ومعه الفرح**.

ــ (أع١٥: ٢٨) «لأنه **قد رأى الروح القدس ونحن** أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذُبح للأصنام وعن الدم وعن المخنوق والزنا...».

هنا يقف الروح القدس بشخصه محسوساً على رأس مجمع التلاميذ، كمقرر أعلى لقانون السلوك المسيحي للأمم الداخلين في الإيمان، ويبرز الرسل شخصية الروح القدس كما أحسوه كمن يرى ويسمع ويتكلم ويقرر بمسئولية القاضي والمشرِّع للكنيسة الجديدة.

ــ (أع١٦: ٦) «وبعدما اجتازوا في فريجية وكورة غلاطية **منعهم الروح القدس** أن يتكلموا بالكلمة في آسيا، فلما أتوا إلى ميسيا **حاولوا أن يذهبوا إلى بيثينية فلم يدعهم الروح**».

هنا المنع بلغ حد الحصار إمعاناً في ظهور تدخل الروح القدس السافر كمقتحم خطة الخدمة بأكملها.

هنا يبرز الروح القدس بصورة قائد ومشرف أعلى يعطي السماح للخدام بالكلام أو يمنعه، ويعطي التصريح للخدام بالمسير أو يمنعه، شيء مدهش للعقل، فالروح القدس يضطلع بمهمة لا ترقى إلى العقل البشري، **لأنه إذ يرى الحوادث المستقبلة ويكشف المخبأ في الطريق، يتصدر مسيرة الخدام كقائد لا مثيل له في البشر، مكملاً عجز الإنسان وفقدانه رؤيته البعيدة، ليحفظ الخدام والخدمة من**

المهالك، ويمنع الخدام عن الكلام في غير زمانه أو مكانه حتى لا تُلام الخدمة أو تُحتقر.

وكل المطلوب من الخدام إنما هو شدة الحساسية لطاعة صوته أولاً بأول، وهذه إحدى خصائص الممتلئين من الروح القدس المعينين من الروح و بالروح للخدمة، إذ يكونون محمولين بالروح دائماً يسيرون و يقفون، يتكلمون و يصمتون، بتدبير النعمة.

ــ (أع١٦: ٩) «وظهرت لبولس **رؤيا في الليل** رجل مكدوني قائم يطلب إليه و يقول اعبر إلى مكدونية وأعنا. فلما رأى الرؤيا للوقت طلبنا أن نخرج إلى مكدونية **متحققين أن الرب قد دعانا لنبشرهم**» كلمة متحققين تكشف عن تدخل سافر للروح القدس.

الروح القدس يتحول سريعاً من قائد يحرك قافلة الخدمة علناً في الصحو بروح النبوة الناطق في التلاميذ، إلى قائد يحركها بالرؤيا في الليل أثناء النوم؛ فطرق قيادة الروح القدس لا يمكن حصرها وهو الذي يختار الأنسب بالنسبة للزمان والمكان وحالة الإنسان نفسه، وهكذا انتقلت الرؤيا من العهد القديم إلى العهد الجديد كإحدى وسائط التوجيه والإرشاد للروح القدس.

ــ (أع٢٠: ٢٢) «والآن هاأنا أذهب إلى أورشليم **مقيداً بالروح** لا أعلم ماذا يصادفني هناك، غير أن **الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلاً إن وُثُقاً وشدائد تنتظرني**».

الروح القدس يقيد الخادم كما تقيَّد الذبيحة و يسوقه إلى إكليل آلامه بحسب الخطة التي يرسمها لمجد المسيح والكنيسة؛ هكذا اقتيد المسيح بالروح بعد الملء والمسحة على الأردن ليجرب وحيداً على الجبال من إبليس، وهكذا يُجرّب خدام المسيح لغاية وحيدة «رئيس هذا العالم يأتي ولكن ليس له فيَّ شيء»، أي لتتجلى حياة الخادم أنها بلا لوم ولا شكوى أمام الله ــ هنا يبرز الروح القدس كشخص يقتاد بولس بالقوة.

ــ (أع٢٠: ٢٨) «احترزوا إذاً **لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح**

القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها **بدمه**».

بهذا القول صار راسخاً في إيمان الكنيسة أن الروح القدس هو الذي يقيم الأسقف وإلا فقيامه باطلاً، والروح القدس **يقيم الأسقف** ليرعى «كنيسة الله» وليس كنيسة الأسقف، والله الذي اقتنى لنفسه الكنيسة واشترى رعيتها بدمه المسفوك على الصليب يغير عليها جداً، على أسقفها وعلى رعيتها معاً كما يغير على دمه لأنه يثمنها بدمه أي بحياته.

الروح القدس تسجل في القانون الكنسي بحسب منطوق طقس الرسامة **أنه هو المدبر للنظام الكنسي يختار أعضاءه ويقودهم باعتبار أن الكنيسة أسقفاً ورعيةً هي كنيسة الله المقتناة بالدم الإلهي.**

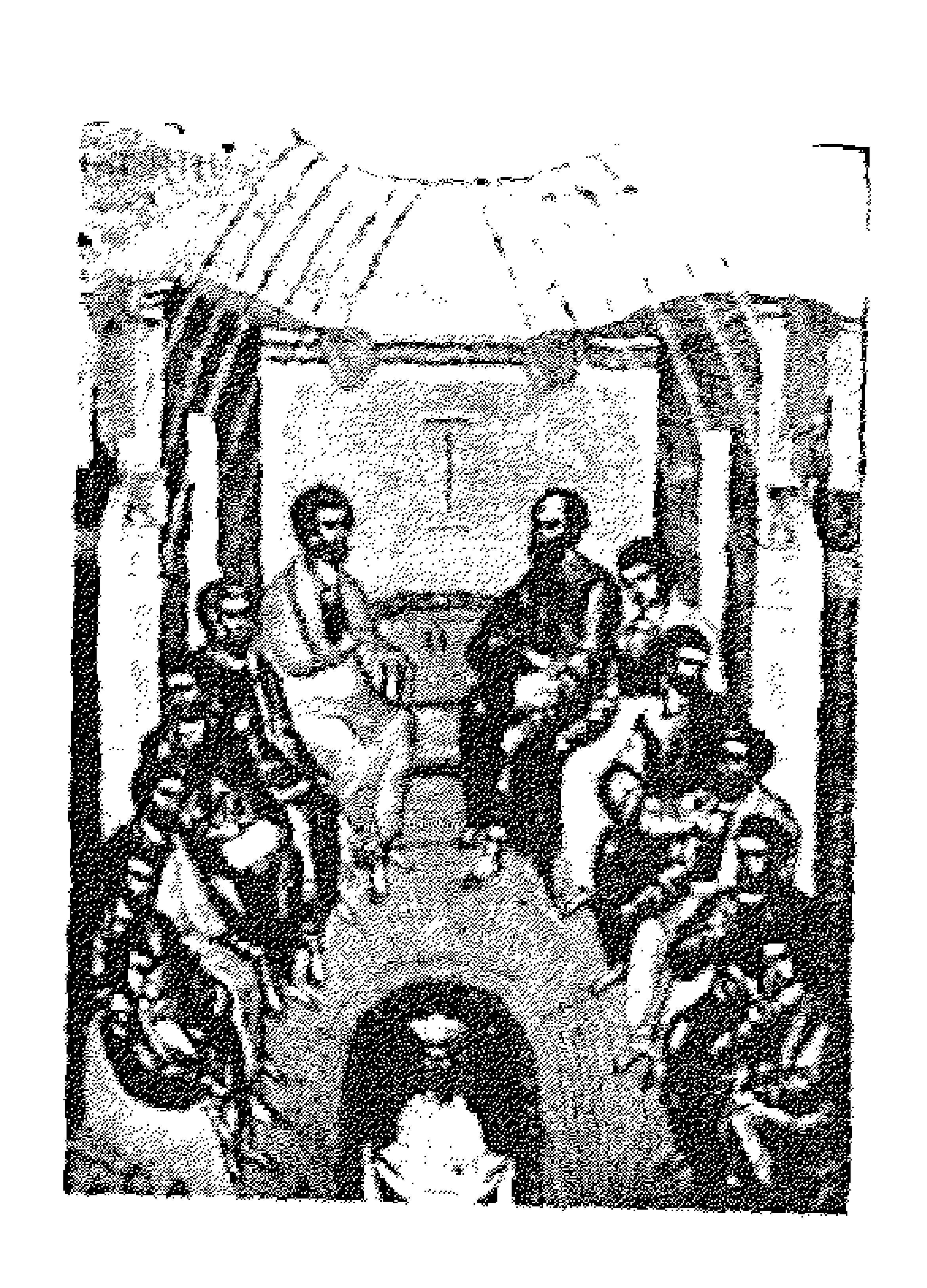
وبولس الرسول يحذر الأساقفة أن يحترزوا، أي يخافوا ويرتعبوا، لأنفسهم لئلا يزدروا بالدم الإلهي ويُحسبوا مقاومين للروح القدس إذا ازدروا أو أهملوا واجبات قداسة أنفسهم أو أهملوا واجبات الرعية من جهة التعليم ومعاضدة الضعفاء؛ أو ذهبوا وراء شهوة الذهب والفضة ويذكرهم بقانون المسيح «لأنه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ»، ونجد كل هذا في الوصايا التي تتلى على الأسقف عند الرسامة.

ـ (أع ٢١: ١٠، ١١) «... نبي إسمه أغابوس، فجاء إلينا وأخذ منطقة بولس وربط يدي نفسه ورجليه وقال: **هذا يقوله الروح القدس الرجل الذي له هذه المنطقة هكذا سيربطه اليهود** في أورشليم ويسلمونه إلى أيدي الأمم».

بنفس طريقة العهد القديم في التنبوء بالحوادث الآتية التي تخص الكنيسة، كان **الروح القدس يعمل باهتمام شديد وبلا هوادة لكي يعلن أن كل شيء في الكنيسة مكشوف وعريان أمام عيني الله، وأن كل الكنيسة وخدامها الأمناء إنما يسيرون طبق خطة إلهية سبق فعينها لنكون مشابهين صورة إبنه.** فبولس يجوز نفس ما جازه المسيح نفسه سواء من جهة التنبوء بما سيحدث في أورشليم وربما بنفس الكلمات أو فيما تم بالفعل. وصار هذا جزءاً هاماً من تراث الكنيسة ووعيها، فالشهيد أعلى رتبة من القديس.

ــ (أع٢٨ : ٢٥) «حسناً **كلم الروح القدس** آباءنا بإشعياء النبي».

هنـا اعـتقاد الكنيسة الراسخ منذ عهد الرسل حتى اليوم أن كل الأنبياء في القديم إنما كـتـبـوا ونـطـقـوا مـسوقين من الروح القدس، فالروح القدس كان يمهد للخلاص والفداء الذي بدأ يبني عليه كنيسة المسيح في العهد الجديد.



٢ ــ إستعلان الرسل للروح القدس لاهوتياً
(في الرسائل)

أ ــ الروح محيي:

ــ **(رومية ١ : ٣)** «عن إبنه الذي صار من نسل داوود من جهة الجسد، وتعيَّن إبن الله بقوة من جهة **روح القداسة** بالقيامة من الأموات».

هنا يضع بولس الرسول «الروح القدس» الذي في المسيح والعامل فينا بالقوة التي استُعلنت في ذروتها بإقامة يسوع المسيح من الأموات، مقابل الجسد الذي صار للمسيح والذي أخذه من نسل داوود. «فالروح القدس» **الذي استُعلن بقوة في المسيح بالقيامة من الأموات، هو استعلان للاهوت المسيح**، تماماً كاستعلان تجسده من العذراء من نسل داوود.

فإن كان قد تعيَّن إبن داوود بتجسده من نسل داوود فهو تعين إبناً لله بقيامته من الأموات بقوة الروح القدس الذي فيه. وسيان أن نقرأ أن الله أقامه «الله الآب الذي أقامه من الأموات» (غل ١ : ١)، أو أن قيامته كانت بقوة من جهة روح القداسة، أو أنه قام بذاته «لي سلطانٍ أن أضعها ولي سلطان أن آخذها» (يو ١٠ : ١٨)؛ فالقيامة هنا هي إعلان مباشر عن لاهوته، ولاهوت المسيح هو واحد فيه وفي الآب وفي الروح القدس.

وفي موضع آخر يقول بولس الرسول مشيراً إلى الإتحاد والتساوي القائم بين المسيح وبين الروح القدس عند تقديم ذبيحته إلى الله أبيه هكذا «فكم بالحري يكون دم المسيح الذي **بروح أزلي، قدَّم نفسه لله** بلا عيب يُطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي».

هنا المسيح كرئيس كهنة **يتقدم حاملاً دمه بالروح القدس الأزلي** إلى الله أبيه لتطهير وتقديس شعبه.

وهنا «**دم المسيح بالروح القدس**» عامل تطهير وتقديس واحد لا ينفصل، و يعمل لتوصيل الحياة الأزلية التي فيه (بروح أزلي) إلى الذين يؤمنون به.

— **(رو٨: ٩)** «وأما أنتم فلستم في الجسد بل ,, **في الروح**،، إن كان روح الله ساكناً فيكم ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح (روح أزلي) فذلك ليس له».

— **(رو٨: ١١)** «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم».

هنا ينتقل بولس إلى الإيمان بأن الروح القدس الذي أقام المسيح من الأموات إذا سكن فينا فنحن نصير أحياء «في المسيح» بالروح، ونكون من خاصته، وأننا حتماً سنقوم من الأموات، بل والآن نحسب أننا أموات بالجسد وأحياءً بالروح بسبب بر المسيح الذي يُحسب لنا من الآن.

وهكذا يؤمن بولس الرسول، وكل الكنيسة معه، أن المسيح الذي قام من الأموات يكون حاضراً فينا إذا سكن الروح القدس فينا الذي هو أيضاً روح المسيح، فنحن نعيش الآن قيامة المسيح بالروح القدس أفراداً وكنيسة، وهذا هو أيضاً اتحادنا، وهذا عين ما يقوله بطرس الرسول أيضاً:

«مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاءٍ حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١بط ١: ٣).

فقيامتنا من الأموات مع المسيح التي ننالها بسكنى الروح القدس تجعلنا شركاء الآن في حياته، أي شركاء في مجده وفي بنوته للآب بالتبني كهبة، لأننا نصير بواسطة الروح القدس متحدين به كأعضاء في جسده وهو كالرأس لنا، فلا نعود نحيا نحن بل المسيح يحيا فينا بالروح القدس.

ب ــ الروح القدس يلد (يخلق ثانية) الإنسان و يتبناه لله:

ــ «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله، إذ لم تأخذوا روح

العبودية (الناموس) للخوف **بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ ياأبا الآب.** الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، **ورثة الله** ووارثون مع المسيح» (رو٨: ١٤ــ١٧).

هنا الإتحاد بالمسيح نشأ من سكنى الروح القدس ونوال حالة القيامة من الأموات، والإتحاد مع المسيح في قيامته يصوره بولس الرسول أنه أنشأ حالة تبني لله أيضاً، لأن هبة القيامة من الأموات تعني حالة مصالحة مع الله الآب أي انتقالاً من عبودية إلى بنوة. ليلاحظ القارىء الربط الذي يهدف إليه بولس الرسول وكأنما يقول بولس: «لأن الروح القدس هو الذي أقام يسوع المسيح من الأموات و بالقيامة من الأموات تعيَّن في الحال أن المسيح هو إبن الله أي تبرهن لاهوته».

كذلك فإنه بسكنى الروح القدس فينا ننال حتماً القيامة من الأموات مع المسيح، أي الحياة الأبدية، ونُحسب في الحال أننا أبناء مع المسيح ولكن بالتبني، أي أننا نصير بالنعمة شركاء الطبيعة الإلهية، وهذا ما يسميه الآباء «بالتأله»، وفي هذا قال المسيح أن الروح القدس يلدنا لله: «إن كان أحد **لا يولد من الماء والروح** لا يقدر أن يدخل ملكوت الله» (يو٣: ٥). و بولس الرسول ينتقل من الميلاد إلى المسير فيؤكد أن: «**المنقادون** بروح الله أولئك هم أبناء الله».

«فبما أنكم أبناء أرسل الله روح إبنه إلى قلوبكم صارخاً ياأبا الآب. إذن لست بعد عبداً بل إبناً، وإن كنت إبناً فوارث لله بالمسيح» (غل٤: ٦، ٧).

جـ ــ الروح القدس يحررنا و يتدرج بنا في الكمال المسيحي بالإستنارة:

(٢ كو٣: ١٧، ١٨) «وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب فهناك حرية، ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف (بدون برقع الناموس) كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح».

هنا يقارن الرسول بولس بين عمل الناموس وعمل الروح القدس في الإنسان، فالناموس أسماه خدمة الموت، وخدمة الدينونة، خدمة الحرف، والحرف يقتل، خدمة الزائل.

والروح القدس أسماه خدمة المجد بالأولى، وخدمة البر في مجد، خدمة الروح،

والروح يحيي، وخدمة الدائم.

فإن كان وجه موسى لمع من جراء خدمة الناموس لدرجة أن الشعب طالبه بوضع برقع حتى لا ينظروا إلى وجهه، فإن قلوبنا يشرق فيها الروح القدس لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع (٢ كو٤ : ٦).

وإن كان شعب إسرائيل لم يستطع النظر إلى وجه موسى الزائل بسبب لمعانه من جراء خدمة الناموس فنحن ننظر مجد الرب بوجه مكشوف (بدون برقع) كما في مرآة ونتغير إلى تلك الصورة عينها (أي وجه المسيح) من مجدٍ إلى مجد كما من الرب الروح (أي بالروح القدس الساكن فينا). وأننا غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى (وجه موسى) بل إلى التي لا تُرى (وجه المسيح)، لأن التي تُرى وقتية (زائلة) وأما التي لا تُرى فأبدية (٢ كو٤ : ١٨).

وكما أن موسى كان عليه أن يخلع البرقع حينما يدخل لمقابلة الرب للتكلم معه (خر٣٤ : ٣٤)، كذلك الآن يسقط البرقع من قلوبنا أي الناموس والحرف عندما يشرق الروح القدس فينا بإستنارة معرفة مجد الله الذي في وجه يسوع فنتخاطب معه كبنين «ياأبا الآب».

نلاحظ هنا أن بولس يسمي الرب الذي كان موسى يدخل و يتكلم معه **بالروح القدس «وأما الرب فهو الروح»**، وأنه الآن يعمل و يشرق في قلوبنا لحساب المسيح، و بالتالي لحساب الله الآب [لإنارة معرفة **«مجد الله»** في **«وجه يسوع المسيح»**].

د ـ الروح القدس يوحِّد المؤمنين في جسد المسيح، فيصيروا جميعاً أعضاءً فيه كنيسة واحدة بالروح الواحد:

ـ (١ كو١٢ : ٣) **«لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد، وجميعنا سقينا روحاً واحدا»**.

ـ (١ كو١٢ : ٢٦) «فإن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه وإن

كان عضو واحد يكرَّم فجميع الأعضاء تفرح معه».
(١ كو١٢ : ٢٧) **«وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً»**.

كيفية جمع الأعضاء وجوهر هذا الجسد الواحد: «صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل (بروحه القدوس و بشخصه) وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين، لأجل **تكميل القديسين** لعمل الخدمة، **لبنيان جسد المسيح**»، إلى أن ننتهي جميعاً إلى وحدانية الإيمان ومعرفة إبن الله إلى **إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤ : ١٠ـ١٣)**.

تأمين وحدة الجسد: «لكي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل **يعمل على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة»** (أف ٤ : ١٤ـ١٦).

هنا الروح القدس يوظف المواهب في الأفراد لحساب ربط الأعضاء وعملها وبنيانها لتكوين وحدة روحية عضوية للكنيسة كاملة في الإيمان والحب تنمو وتتحرك وفق مشيئة الرأس المسيح!!

تأمين عمل الروح القدس: «وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق... **لأننا بعضنا أعضاء البعض. اغضبوا ولا تخطئوا... ولا تحزنوا الروح القدس الذي خُتمتم به ليوم الفداء»** (أف ٤ : ١٦ و٣٠).

تزييف عمل الروح القدس بالوحدة والفرح على أساس الخمر: «ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل **امتلئوا بالروح مكلمين بعضكم بعضاً** بمزامير وتسابيح وأغاني روحية مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب شاكرين كل حين على كل شيء في

إسم ربنا يسوع المسيح لله والآب **خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله»** (أف ٥ : ١٨ ــ ٢١) حيث مخافة الله هنا هي خاصية الوحدة كدليل على وجود الروح القدس.

ــ (أف ٢ : ١٦، ١٨ ــ ٢٢) «و يصالح الإثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به... لأن به **لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب** فلستم إذاً بعد غرباء ونزلاء بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله. مبنيين على أساس الرسل والأنبياء و يسوع المسيح نفسه حجر الزاو ية الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب الذي فيه أنتم أيضاً **مبنيون معاً مسكناً لله في الروح».**

ــ (أف ٤ : ٣، ٤) «مجتهدين أن **تحفظوا وحدانية الروح** برباط السلام، جسد واحد وروح واحد كما دُعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد».

ــ (١ بط ٢ : ٥) «كونوا أنتم أيضاً **مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية** مقبولة عند الله بيسوع المسيح».

ــ (١ كو ٣ : ١٦، ١٧) «أما تعلمون **أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم.** إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأن **هيكل الله مقدس الذي أنتم هو».**

هذه العقيدة صارت هي الأساس في مفهوم قداسة الكنيسة وهيبتها، وهي السر في أن أبواب الجحيم لن تقوى عليها، لأنها «جسد المسيح السري»، والروح القدس هو الذي يملأها ويجمع و يوحد الأعضاء فيها و يضمهم إلى شركة القديسين المعتبرين **«أهل بيت الله».**

فالروح القدس بعد أن يوحد المؤمن في جسد المسيح يوحّد المؤمنين معاً في هذا الجسد الواحد مع جميع القديسين، فالروح القدس **يهب المؤمن شخصيته المسيحية** ثم يعود **الروح القدس ويهب الكنيسة شخصيتها الإلهية وأخلاقيتها.**

هـ ـ الروح القدس يوزع المواهب على المؤمنين باعتبارهم أعضاءً في جسد واحد، لتصير المواهب جميعاً لخدمة الجسد الواحد (الكنيسة) بمشيئة الروح القدس الواحدة أي لمجد المسيح! «ذاك يمجدني»:

ـ (١كو١٢: ٤) «فأنواع مواهب موجودة **ولكن الروح واحد**».
ـ (١كو١٢: ٧ـ١٣) «**ولكن لكل واحد يُعطَى إظهار الروح للمنفعة**، فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان (ينقل الجبال) بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات، ولآخر نبوة، ولآخر تمييز أرواح، ولآخر أنواع ألسنة، ولآخر ترجمة ألسنة، **ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء،** لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة، وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة، **هي جسد واحد؛ كذلك المسيح أيضاً لأننا جميعنا بروح واحد اعتمدنا إلى جسد واحد،** وجميعنا سُقينا روحاً واحداً...».

(١كو١٢: ٢٧، ٢٨) «وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً. فوضع الله في الكنيسة (جسده) أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلمين، ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء، قدرة على التدبير، أنواع ألسنة».

وهكذا من مجموع المؤمنين غير المنسجم وغير المؤتلف، يصنع الروح القدس شخصية الكنيسة المنسجمة المؤتلفة العاملة بالروح الواحد والشاهدة بفم واحد. هنا شخصية الروح القدس الفريدة تظهر للوجود.

و ـ الروح القدس يضطلع بحفظ الوديعة الصالحة، أي التقليد المسلَّم في الكنيسة بالإيمان، وذلك من خلال سكناه في الأفراد الأمناء له:

«احفظ الوديعة الصالحة (التقليد παράδοσις) بالروح القدس الساكن فينا» (٢تي١: ١٤).

وهكذا بعد أن يبني الكنيسة بالمواهب المتآزرة من داخل الأفراد وكأنها هيكل

روحاني ذو أعضاء مترابطة، يضطلع بحفظ التقليد الإيماني الموحى به للرسل، بواسطة موهبة خاصة يهبها لبعض الأفراد الأمناء الساكن فيهم!! لضمان عمل الكنيسة في وحدة الإيمان لبنيان الخدمة حتى تنتهي الكنيسة إلى ملء قامة المسيح.

ز ــ الروح القدس بعد أن يستودع مواهبه في قلوب المؤمنين الساكن فيهم، ينتظر منهم أن يضرموها بالصلاة والأعمال الصالحة لكي تعمل عملها في الكنيسة، لأن المواهب الروحية تحتاج إلى الصلاة والأعمال الصالحة لتظل متأججة:

هنا شخصية الروح القدس لا تبتلع شخصية المؤمن ولكن تجلّيها بالموهبة.

ــ (١تي٤: ١٤، ١٥) «**لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدي القسوسية، اهتم بهذا وكن فيه** ليكون تقدمك ظاهراً في كل شيء».

ــ (٢تي١: ٦) «**فلهذا السبب اذكّرك أن تضرم أيضاً الموهبة التي فيك بوضع يديّ**».

ــ (تي٣: ٥ــ٨) «لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس الذي سكبه علينا بغنى بيسوع المسيح مخلصنا حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية. **صادقة هي الكلمة وأريد أن تقرر هذه الأمور لكي يهتم الذين آمنوا بالله أن يمارسوا أعمالاً حسنة فإن هذه هي الأمور الحسنة والنافعة للناس**».

ــ (رو١٢: ١١) «**غير متكاسلين في الإجتهاد حارين (ملتهبين) في الروح** عابدين الرب».

ح ــ الروح القدس يظل يشهد للمسيح في الكنيسة داخل المؤمنين، بواسطة المواهب التي يمنحها للأفراد، وبواسطة الآيات والمعجزات التي يجريها بواسطتهم، إنما حسب إرادته هو:

ــ (عب٢: ٤) «**شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته**».

ـ (رو١٥: ١٨، ١٩) «لأني لا أجسر أن أتكلم عن شيء مما لم يفعله المسيح بواسطتي لأجل إطاعة الأمم بالقول والفعل بقوة آيات وعجائب بقوة روح الله».

ـ (١كو٢: ٤) «وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة».

ـ (١تس١: ٥) «إن إنجيلنا لم يصر لكم بالكلام فقط بل بالقوة أيضاً و بالروح القدس و بيقين شديد».

ط ـ التنكر لشركة الروح القدس والإزدراء بها، تنكرٌ للاهوت المسيح شخصياً وبمثابة صلبه ثانية والتشهير به:

فالشهادة للاهوت المسيح شهادة للروح القدس والازدراء بالدم الإلهي ازدراء بالروح القدس والعكس صحيح، ولا يمكن فصل تكريم أو إنكار المسيح عن الروح القدس. فإرتباط الشخصين في ذاتهما وفينا لا يمكن الفصل بينهما، وهذا ما فهمه القديس أثناسيوس تماماً في موضوع التجديف على الروح.

ـ (عب١٠: ٢٩) «فكم عقاباً أشر تظنون أنه يُحسب مستحقاً **من داس إبن الله وحَسِبَ دم العهد الذي قُدس به دنساً، وازدرى بروح النعمة**».

ـ (عب٦: ٤ ـ ٦) «لأن الذين استُنيروا مرة (المعمودية) وذاقوا الموهبة السماوية (التجديد والخلقة والميلاد من فوق) **وصاروا شركاء الروح القدس** (قبلوا حلول الروح القدس بالمعمودية) وذاقوا كلمة الله الصالحة (الإنجيل) وقوات الدهر الآتي (معونة الملائكة) وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة **إذ هم يصلبون لأنفسهم إبن الله ثانية و يشهرونه**».

❋

خامساً : عصـــر مـــا بعـــد الرســـل

بـقيت صحة تعاليم الرسل واضحة فيما يختص بشخص الروح القدس ضمن الكيان أو الجوهر اللاهوتي للثالوث في تسليم قانون التعميد، «عمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس». وقد اكتشفت قوانين التعميد المبكرة جداً في تقليد القرون الأولى وهي تحمل طابع الإيمان والتعليم بوحدة الثالوث(٩).

اكـلـمـنـدس الـرومـاني : وبجوار قوانين التعميد المحلية في الكنائس تصلنا من الرسالة الأولى إلى كورنثوس للقديس اكلمندس الروماني ـ وهو تلميذ الرسل ـ صورة أصيلة مطابقة لتعليم الرسل من جهة «**انسكاب**» الروح القدس، ومن جهة «**شخص**» الروح القدس، ومن جهة «**الجوهر الإلهي**» للروح القدس :

[لقد وُهبتم جميعاً سلاماً عميقاً وفيراً وشوقاً غير محدود نحو عمل الصلاح بينما **انسكب الروح القدس عليكم بفيض**].

[بهذا نحتمي برحمته من الدينونة القادمة. لأنه أين يهرب كل منا من يده القادرة؟! أي عالم يمكنه أن يختفي هارباً من وجه الله؟! إذ يقول الكتاب «**أين أذهب من روحك، ومن وجهك أين أهرب؟!** إن صعدت إلى السموات فأنت هناك، وإن فرشت في الهاوية فها أنت» (مز١٣٩ : ٧و٨).

أين يمكن لإنسان أن يهرب ممن يحتضن كل شيء؟!].

[حي هو الله، وحي هو يسوع المسيح **وحي هو الروح القدس وحي هو إيمان ورجاء المختارين**] (١ كو٢و٢٨و٥٨).

كذلك فإن تعاليم اكلمندس تأتي في كمال انطباقها على علاقة الروح القدس بقانون الأسفار المقدسة (أنظر ١ كو٤٥، ٨، ١٣، ١٦، ٢٢، ٤٢).

---

(9) Hahn, Bibliothek der Symbole, pp. 42,66; Geb. hardt, Patr , ap. opp., fasc. 1, 2, p 15 sq.

برناباس : ونقابل في رسالة برناباس بصورة مميزة استمرار التعليق على الإلهام الموجود في الأسفار (٩ــ١٠) كذلك موضوع انسكاب الروح القدس على الكنيسة كلها (١).

إغناطيوس الأنطاكي: في رسائله المختصرة نجده يسمي الروح القدس واحداً مع الآب والإبن مع تميز خاص لشخصه (ماغنيزيا ١٣)، كذلك موضوع انبثاقه من الآب (فيلادلفيا: ٧)، وإرساله بواسطة الإبن (أفسس: ١٧)، وعمله في الحمل الإلهي الإعجازي للعذراء (أفسس: ١٨)، وفي تقديس (مسحة) أعضاء المسيح (أفسس: ٩)، (سميرنا: ١٣)، كما نجد في حالة استشهاده ذكره للروح القدس في تمجيده لله، كذلك نجد عين الأمر في استشهاد القديس پوليكارپ (إستشهاد القديس پوليكارپ ١٤ــ٢٢) و(إستشهاد القديس إغناطيوس ٧١).

الأسقف «راعي هرماس»: ولكن من بين كل ما وصلنا من كتابات عصر ما بعد الرسل للآباء الرسوليين، فإنه يندرج ما خلفه لنا «راعي هرماس» تحت أكثر الكتابات خصوبة في الإشارات للروح القدس. ولو أن طريقة عرضه لموضوع الروح القدس تجعلنا في حيرة من تحديد صلاحيتها العقائدية، إلا أنه أحياناً يشير إلى أرواح كثيرة مرسلة بواسطة الروح القدس منوط بها تعليم وإنارة بصيرة الناس، ونحن نجد إشارة إلى مثل هذا المعنى في رسالة يوحنا الأولى: «أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل **امتحنوا الأرواح** هل هي من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم، بهذا تعرفون روح الله. **كل روح** يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله... من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال» (١يو٤: ١ــ٦).

كذلك نجد إشارة إلى هذا المعنى أيضاً في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي: «يوحنا إلى السبع الكنائس التي في آسيا. نعمة لكم وسلام من الكائن والذي كان والذي يأتي ومن **السبعة الأرواح التي أمام عرشه». (رؤ١: ٤).**

وراعي هرماس يؤمن بشدة أن روح النبوة لا يزال مستمراً في عمله في الكنيسة، ويشير إلى أنه حائز لهذه العطية الخاصة بالإلهام.

و يعتقد بعض العلماء مثل «جبهارت» و«هارناك» أن راعي هرماس لم يكن يفرق بين الروح القدس و بين المسيح قبل تجسده(١٠).

القرن الثاني :

ابتدأ الزمن يتباعد عن منبع التقليد الرسولي نوعاً ما ، و بظهور جماعة المدافعين عن الإيمان المسيحي بلاهوت الكلمة و بتحقيق أن كلمة الله هو هو المسيا يسوع المسيح المتجسد في ملء الزمان ، بدأ ثقل الحوار والتركيز ينصبُّ على لاهوت الأقنوم الثاني ، و بدأت الأنظار والمحاورات تبتعد عن مركز الروح القدس إلى الدرجة التي بدأوا فيها ينسبون «للكلمة» الصفات والأعمال الشخصية للروح القدس.

الرسالة إلى ديوجنيتس : وفيها نقرأ أن **«الكلمة هو الذي يختار الأشخاص كيفما يشاء و يتكلم فيهم» «وأنه بالكلمة تخصب الكنيسة وتنمو باستمرار».**

أما **ثيئوفيلس الأنطاكي :** فيمتد ليرى **أن إلهام الأنبياء في العهد القديم هو من عمل الأقنوم الثاني ، الكلمة : «الكلمة لأنه هو روح الله الذي كان يحل على الأنبياء و يتكلم بواسطتهم»**(١١).

أما يوستين ، فإنه يحسب أن الحمل الإعجازي للعذراء هو من عمل «الكلمة» نفسه(١٢).

ولقد ظل هذا المفهوم عالقاً في فكر الكنيسة عند كثير ين من مستقيمي الرأي حتى منتصف القرن الرابع و يُقرأ بوضوح في المواضع التالية(١٣):

١ . إير ينيئوس ٥ : ١ .

٢ . ترتليان : بركسيا : ٢٦ .

٣ . كبر يانوس : de Idol van.

٤ . إيلار يون : على الثالوث : ٢ : ٢٤و٢٦ .

---

(10) Patrol. Ap. opp. fasc. 3, p. 152 cited by D.C.B. p 115.

(11) Autol., ii, 32; cited by D.C.B., p. 115

(12) Apolog . i. 33

(13) D.C B., p. 115 & Dorner, I, 1, p 392 sq.; Newman tracts, p 320; Pref. of Benedict. edition of St. Hilar., Migne, Patr. Lat. IX, p 35 sq.

كذلك نجده عالقاً في تقليد الليتورجية في أنافورا سيرابيون، حيث نجد حلول الكلمة على الخبز والخمر وليس حلول الروح القدس.

و يعزز هذا التقليد ما ورد عن القديس أثناسيوس وغيره (أنظر الإفخارستيا والقداس ص ٦٨٠ وص ٦٨١).

ثيئوفيلس الأنطاكي: ولكن من جهة أخرى تُعتبر الكنيسة مدينة لهذا المدافع الشهيد بأول تسجيل للإصطلاح اللاهوتي الشهير «الثالوث» τριάς ، فيما يختص باللاهوت في ذاته! وهذا نصه باليوناني:

[αἱ τρεῖς ἡμέραι πρὸ τῶν φωστήρων γεγονυῖαι τύποι εἰσὶν τῆς τριάδος τοῦ Θεοῦ καὶ τοῦ *λόγου* αὐτοῦ καὶ τῆς *σοφίας* αὐτοῦ.].

وهنا يذكر الثالوث بوضوح مشيراً إلى الشخصين الواضحين «الكلمة» و«الحكمة»، باعتبار الحكمة هي الروح القدس حسب التقليد القديم الموروث. و يستمر هذا الكاتب الرسولي الملهم في توضيح تحديد الأشخاص في الثالوث إنما في وحدة مطلقة.

يوستين: ولكن يخرج يوستين بفكرة جديدة تعتبر بداية انحراف خطيرة، فهو يقول: «نحن نضع روح النبوة في المرتبة الثالثة ἐν τρίτῃ τάξει لأننا نكرمه مع الكلمة»، و يقصد بروح النبوة نفس الروح القدس(١٤).

وهو صاحب نزعة غير سليمة على الإطلاق في جعل الروح القدس خاضعاً وأدنى مرتبة من الكلمة، وهو الوحيد الذي يزعم أن الروح القدس «ملاك الله وقوة الله التي أُرسلت لنا بواسطة يسوع المسيح»(١٥).

وقد وردت على لسانه في كتاباته جملة مبهمة خطيرة بلا أي معنى ولا أصل معطياً فيها «الملائكة» **المخلوقين** درجة من الكرامة ليست أقل من التي يعطيها للروح القدس(١٦).

---

(14) Apolog., i, 13; infra 60.

(15) Trypho, 116, cf. Neander, Hist of Christ. Dogma., i. 173.

(16) Apology, i.6; cf. Bull, ii.iv, chap. 8 & Kaye J M., p 52.

تلميذ يوستين المدعو تاتيان : لقد فاق معلمه في الخروج عن التقليد اللاهوتي الصحيح المسلَّم من الرسل فإنه يضع الروح القدس «كخادم» للمسيح(١٧) .

أثيناغوراس : هنا نبتدىء نقترب مرة أخرى من العقيدة الكنسية السليمة التي بدأت تأخذ قوتها وصحتها مرة أخرى من جهة الثالوث الأقدس المتساوي .

ولكن أثيناغوراس رأي في الروح القدس عملاً غريباً على المفهوم التقليدي وهو اضطلاعه بوظيفة رباط الوحدة في اللاهوت(١٨) . (وهذا الإتجاه رفضته الكنيسة بالرغم من أخذ القديس أغسطينوس به) .

والذي رفضه بشدة ووضوح هو القديس أثناسيوس في حديثه الثالث ضد الأريوسية :

[وإن الروح القدس لا يوّحد الكلمة بالآب] ، [لأن الكلمة لا يشترك في الروح القدس حتى يصير في الآب ، ولا الإبن يستقبل أو يستلم الروح القدس بل بالحري يعطيه بنفسه للجميع ، فالروح لا يوحد الكلمة بالآب... ، فالإبن هو في الآب لأنه كلمته وشعاعه] (١٩).

كذلك فإن أثيناغوراس صاحب الفضل في توضيح جديد لعقيدة الإنبثاق الجوهري للروح القدس من الله فهو يقول :

[إنه منه ينبثق وإليه يعود كشعاع الشمس أو كالنور المنبعث من النار] (٢٠).

أما خارج الكنيسة ، أي لدى مجموعات الهراطقة ، فكانت هنالك قوتان تتصارعان معاً بشدة ضد الكنيسة : جماعة المونتانيين وجماعة الغنوسيين .

أما **جماعة الغنوسيين ،** فأخذوا شيئاً ما مما تقوله الكنيسة من جهة الروح القدس ، وإنما بصورة مشوهة وعلى اتساع تحليلي ، وكان زعيمها الأول «سيمون» وهو ساحر سفر الأعمال ، وكان قبل عماده يُدعى من جميع الشعب «قوة الله العظيمة» (أع ٩ : ١٠)،

(17) Adv. Greec. B. cited by D.C.B p. 115.

(18) Athenagoras, Legat. 10; cited by D.C.B., p. 115.

(19) Athanas., Discourse III against Arian, ch. XXV, p. 407.

(20) Athenagoras, wisd. vii. 25; Legat. 10, 24; cited by D.C.B., p. 115.

لِما كان يأتيه من معجزات. وكان قد تِلق بعض تعاليم الرسل فيا يختص بأن القوة الإلهية إنما تتصل مباشرة بإسم الروح القدس كما هومدون بوضوح في سفر الأعمال (أع٨: ٩ـ١٩) ولكنه عاد من بعد عماده (من أيدي الرسل) وعزله عن الكنيسة، فادعى أن شريكته هيلانة هي «الپاراكليت» وأن القوة التي تنبثق من الله هي قوة مؤنثة.

وجاءت جماعة «أوفيت» Ophite وقالت صراحة أن هذه القوة المؤنثة هي الروح القدس، وهي تتميزعن فكر الله، يقصدون بذلك «كلمته» (٢١)، وأن الكلمة مولود منها، وهي التي كلّمته على الأردن.

أما في نظام باسليدس، فقد اعتبروا الروح القدس روحاً خادماً، وليس متحداً جوهرياً بالإبن أومساوياً له، وهكذا صارت بلبلة في الفكر خارج المحيط الكنسي.

أما في نظام فالانتين، فقال بانبثاق الروح القدس ولكن ليس بصورة مباشرة من الله (٢٢)، وإنه مساوي للمسيح؛ ولكنهم تبنوا كل الهرطقات التي ظلت متداولة حتى القرن الرابع والتي فندها القديس أثناسيوس (٢٣).

أما جماعة المونتانيين، فيُشك أنهم أخذوا بشيء من عقيدة الروح القدس في الكنيسة، لأن العالم الألماني نياندر(٢٤) قد أشار إلى أن موقف «مونتانس» و«ماكسيملا» فيا يختص بالروح القدس عندهم كان من وجهة نظر العهد القديم أكثر منه في العهد الجديد. وأنه لم يكن للفكر المونتاني تأثير كبير على الكنيسة، وسرعان ما انحل تحت ضغط الإضطهاد.

أما جماعة اليهود المتنصرين، الذين ظلوا متمسكين بتقاليدهم العتيقة ورفضوا التقليد الرسولي من جهة الإيمان بالثالوث المقدس، وهم ــ أي جماعة الناصريين Nazarenes ، أخذوا في هذا الموضوع برأي الغنوسيين فقالوا إن الروح

(21) Iren., i, 23, 30 (22) Iren., i, 2, 4, 5.

(23) Athanasius ad Serap., 1:10. (24) Neand., Ch. H., ii. 207; Epiph., Hear. 48, 11 sq.

القدس هو أيضاً قوة مؤنثة وأنها هي التي ولدت المسيح على الأردن وأن البارا كليت هو أم المسيح (٢٥).

والعجيب أن هذا الفكر أخذت به أيضاً جماعة هراطقة الإيبونيم اليهودية المتنصرة بزعامة كيرنثوس المبتدع، وقال إن الروح القدس قوة مؤنثة، وهكذا ظلت هذه السفاهة العقلية التحليلية الشيطانية عالقة بالكنيسة حتى القرن السابع — (وكان بعض أئمة هؤلاء الهراطقة قاطنين شبه الجزيرة العربية واليمن. لذلك فقد سمع بها القرآن وسُئل فيها فجحدها وقال فيها إن الله لم يلد ولم يولد **ولم يكن له صاحبة**، والقرآن على ضوء هذه الهرطقات محقٌ فيما قال).

وجماعة هراطقة المونوأرخيين (أي وحدة الرأس أو الصدر)، وهي قريبة من جماعة الإيبونيم يهودية متنصرة، وكان على رأسها ثيئودوتس المبتدع فكانت أصلاً مشغولة بجحد لاهوت المسيح وإنكار الثالوث، وزعماؤهم براكسياس ونوئيتوس وبيرللوس (بلاد العرب) وسابيليوس، **فهؤلاء جميعاً** جحدوا الثالوث القائم على أقانيم متميزة، وقد تزعم براكسياس — حسب شرح ترتوليان (براكسياس: ٩) — **فكرة أن الروح القدس هو أصل وجود الآب والإبن**.

بل وفي روما ذاتها قام **كاليستوس بابا روما** وألغى شخصية الروح القدس المتميزة في الثالوث، وأعطى إسم **الروح القدس** ليعبّر عن **جوهر الله** الذي قد يسمى الآب أو يسمى الإبن أو يسمى الكلمة (٢٦).

ومن هنا نشأت أيضاً بدعة السابلية التي امتدت وأعطت الروح القدس **شخصية**. ولكن كان عندهم الروح القدس قادراً أن يظهر نفسه في أي من الأقانيم الأخرى **فهو** إما يظهر كآب أو كإبن أو كالروح القدس (٢٧).

---

(25) Origen, in Joann., II, 6.

(26) Hippolytus, IX 12.

(27) Athanas, Or. C. Ar., iv 25.

بولس السموساطي المبتدع: وهذا المبتدع يعتبر الروح القدس ليس **استعلاناً** لشخص أو أقنوم وإنما **«خاصية»**...

و بولس السموساطي لم ينكر انبثاق وإرسال الروح القدس، وإنما حلله إلى **مجرد تأثير، وإنما تأثير غير مشخَّص أو غير شخصي. فالروح القدس عند بولس السموساطي ليس أقنوماً بل مجرد** نعمة نزلت على الرسل(٢٨). وكان حذراً في الدخول إلى التفاصيل الخاصة بعقيدة الكنيسة في هذا الموضوع، ففلت من جهة هذا الأمر من ملاحظة المجمع المقدس الذي حكم عليه في تعاليمه الأخرى وحرَّم إيمانه وقطعه.

تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية في تلك الحقبة، أي أواخر القرن الثاني حتى منتصف القرن الثالث:

إيرينيئوس: وهو يمثل معاً تعاليم مدرسة آسيا الصغرى المنحدرة من القديس يوحنا الرسول، بجوار تعاليم جنوب شرق بلاد الغال (فرنسا الآن).

وهو يُعتبر من أوائل معلمي هذه الفترة الزمنية، وهو يجحد بشدة في كل أقواله أخطاء ڤالنتينوس المبتدع الذي خلط بين إرسالية الروح القدس المحددة زمنياً بيوم الخمسين و بين انبثاق الروح القدس من الله أزلياً، أي خلط بين عمل الروح القدس في البشرية وعلاقة الروح القدس جوهرياً بالله(٢٩).

ولكن إيرينيئوس يرفض أحد التعبيرات عن الإصطلاح بالإنبثاق προβολή = emisso (٣٠)، إذ تراءى له أن هذا التعبير يحمل ضمناً نوعاً ما من الإنفصال في جوهر الله الواحد، ولذلك فإنه فضَّل أن يترك كيفية «الإنبثاق» الإلهي بدون شرح(٣١)، مكتفياً بتوضيح ذلك بالتصوير، فيقول عن الإبن وعن الروح

(28) Leontius, de sect 3; cited by D.C.B., p. 117.

(29) Iren., ad. Haer. ii, 19. 9.

(30) Ibid., ii, 13. 5, 6.

(31) Ibid., ii. 28. 6.

القدس أنهما يدا الله، الأول إبن progenies أما الروح القدس فهو الصورة للآب، الإبن هو «كلمة» الله والروح القدس هو «حكمة» figuraties الآب(٣٢)، ليس من خارج الله ولكن من داخله(٣٣). (يلاحظ هنا أن إير ينيئوس لا يتبع الخط الفكري الآبائي القديم الذي يشدد أن الكلمة هو حكمة الله).

و يبتدىء إير ينيئوس يخترع أوصافاً ومسميات أخرى للتعريف بما لا يقبل التعريف، دون أن يحترس ليمسك بخط التقليد، فينحرف و يضع بدايات خطيرة **لأفكار يمكن أن تكون كفرية، فيقول أن الإبن والروح القدس يخدمان الآب.** ثم يطبق تطبيقاً غير منسجم، فيقول كما تخدم اليدان الفكر في الإنسان، ثم يعود إذ يحس بخطورة الوصف فيصحح هكذا: ليس كالفكر المخلوق كأنه خارج عن حياة الله، **لأن روح الله ليس زمنياً، ولكنه روح أزلي كالله نفسه**(٣٤).

و يستشهد إير ينيئوس بما جاء في إشعياء أصحاح ٥٧ آية ١٦ (الترجمة السبعينية) هكذا: «لأنه هكذا قال العلي الساكن في الأعالي إلى الأبد، القدوس في الأقداس إسمه، العلي المستريح في القديسين المعطي صبراً للمنسحقين وحياة لمنكسري القلوب، لأني لن أنتقم إلى الأبد ولا أغضب عليكم دائماً **لأن روحي التي تنبثق مني تحيي كل نفس**» (إش٥٧: ١٦ سبعينية).

وإير ينيئوس يعطي تصوراً للعلاقة بين الروح القدس والإبن هكذا:

[إننا بالروح القدس نرتفع إلى الإبن، و بالإبن نصعد إلى الآب](٣٥)، و بذلك فإن عطية الروح القدس لنا هي إحدى نتائج التجسد.

والذي ليس له الروح القدس فليست له شركة في حياة يسوع المسيح(٣٦).

كذلك فإن إير ينيئوس يرى أن نفخ المسيح في تلاميذه وإعطاءهم الروح القدس

(32) Ibid., IV. 7. 4.
(33) Ibid., IV. 7. 8.
(34) Ibid., V 12.
(35) Ibid., V. 36.
(36) Fragment, 36.

(يو٢٠ : ٢٢) هو برهان على لاهوت المسيح(٣٧).

وبخصوص وظيفة الروح القدس التعليمية كالأقنوم الثالث، فعقيدة إيرينيئوس سليمة وكاملة فهي واضحة في إلهام الأنبياء والرسل(٣٨).

غير أن إيرينيئوس يعود في مواضع أخرى ليثبت أن إلهام الأنبياء كان من عمل الكلمة سواء في العهد القديم أو الجديد(٣٩).

كذلك فإن الروح القدس هو الذي يضطلع بعمل إستنارة لذهن الكنيسة بصورة مستمرة(٤٠)، و يؤكد أنه في حضن الكنيسة فقط يمكن أن يستمتع المسيحي بنور الروح القدس، وأن الروح القدس ينطلق عمله في سري المعمودية والأفخارستيا(٤١).

ترتليان: (١٦٠ــ ٢٤٠م).

صوت مدوي يظهر مبكراً من شمال أفريقيا في نهاية القرن الثاني، يمثل تعبيراً حراً ومستقلاً، هو صوت ترتليان، وذلك في معرض كتاباته ضد الموحدين Monarchians وكان يمثلهم آنئذ براكسياس.

وترتليان يُحسب كواضع لأساس التعليم الجامعي بخصوص الإنبثاق.

ولكن نجد في كتاباته ما يفيد تعبير الكنيسة الرومانية الآن: أن انبثاق الروح القدس هو من الآب والإبن(٤٢).

كما نجد في مواضع أخرى بكل وضوح تعبيره الآخر وهو الأرثوذكسي السليم: أن الروح القدس منبثق من الآب في الإبن:

"Spiritum non aliunde pute quam a Patre per Filium" (٤٣).

---

(37) Syr. fragment., D.C.B., p. 117.

(38) Ibid., III, 24. 1.

(39) Ibid., IV, 7. 2; IV. 9, 1; IV, 20. 4; cited by D.C.B., p. 117.

(40) Ibid., III. 24, 1.

(41) Ibid., III, 17, 82 & fragment 38, cited by Neander Hist. of Dogma, 1. 231.

(42) Tert., against prax, 8.

(43) Ibid., 4.

كما يقول إن الروح القدس يأخذ دائماً من الإبن، كما أن الإبن يأخذ دائماً من الآب، وهكذا فإن الثلاثة متحدون معاً في حياة إلهية واحدة.

"Ita connexus patris in Filio et Filii in paracleto tres efficit cohaerentes alterum ex altero." 44

[الآب في الإبن والإبن في الپاراكليت ثلاثة متحدون...].

ولكن يشط ترتليان في فهم العلاقة الأقنومية التي تربط بين الآب والإبن والروح القدس. فبالرغم من عقيدته أن جوهر ـ أو طبيعة ـ الأقانيم واحد، إلا أنه يقول بخضوع الروح القدس للآب والإبن(*). وكأنما يُفهم مما سبق أن قال به إيرينيئوس من أن الروح القدس والإبن يخدمان الآب، أن الخدمة هي تدني من الدرجة الوظيفية بين الأقانيم، والتسلسل في الإنحراف واضح، فإيرينيئوس يقول بخدمة الإبن والروح القدس للآب، و يقول ترتليان إن الروح القدس هو الذي يخضع للآب والإبن.

[الروح هو «اسم ثالث للاهوت»، (٤٥) (There is a 'tertium nomen divinitatis'

الدرجة الثالثة هي في الپاراكليت(٤٦)]. & a 'tertium gradus in Paracleteto').

و يعود ترتليان فيضع ضوابط لهذا التدرج حتى لا ينقسم الجوهر هكذا:

(Yet the persons are 'tres non ststu sed gradu nec substantia sed forma nec potestat sed specie') 47

[+ الأقانيم هم «ثلاثة ليس في الكيان بل في الدرجة

ليس في الجوهر بل في الهيأة

ليس في القدرة بل في النوع»](٤٧).

أما فيما يختص بعمل الروح القدس، فيتكلم ترتليان عن يقين كجزء لا يتجزأ من الإيمان، إن الروح القدس أرسل ليملأ مكان صعود المسيح، **وذلك لكي يقدس**

(44) Ibid., 25.

(*) Quasten, Patrology II, p. 36.

(45) Ibid., 30.

(46) Ibid., 9.

(47) Ibid., 2.

الكنيسة. ففي المعمودية ينزل الروح القدس من السماء و يقدس الماء معطياً للماء قوة التقديس(٤٨).

ثم إن حضور الروح القدس يُستدعى بالإضافة إلى تقديسه الماء ليحل بوضع الأيادي الذي يتبع طقس العماد(٤٩).

كبريانوس: (+ ٢٥٨ م).

يعتبر كبريانوس أكبر تلاميذ ترتليان. وهو يذكر موضوع أقنوم الروح القدس عبوراً(٥٠)، ولكنه يؤكد وحدة الأقانيم الثلاثة الآب والإبن والروح القدس، أي توحيد الله هكذا:

"De unitate Patris et Filii et spiritus sancti plebs adunata" 50

[إن أفضل ذبيحة لدى الله هي سلامنا وتوافقنا الأخوي، (وظهور) **وحدة الآب والإبن والروح القدس في تآلف الشعب** (المسيحي)](٥١).

ولكن يركز كبريانوس كثيراً على علاقة الروح القدس بالكنيسة كجسد وكأفراد في الجسد.

أما ما يتبع هذا من نمو أو فقدان في النعمة فهذا يرجع، في عقيدة كبريانوس، إلى سلوك الفرد.

وعن الروح القدس يقول: "Totus infunditur se qualiter sumitur"

«كله يُفاض بقدر ما يُقبَل» (٥٢).

ولكن لكي تكون المعمودية ذات مفعول يتحتم أن تجرى بواسطة إنسان يكون هو نفسه يملك الروح القدس(٥٣).

---

(48) Tert., De Baptismo, 4.

(49) Ibid., 8.

(50) Cyprian, De Domin. orat. 23.

(51) Ibid., 34. (52) Cyprian, Epist. 69: 14. (53) Ibid., 79: 9.

والكنيسة الجامعة باعتبارها عروس المسيح الوحيدة هي وحدها التي لها القوة على ميلاد (تجديد) أولاد الله(٥٤)، لأنها هي وحدها التي تملك ينابيع المياه الحية (يقصد التعاليم المحيية السليمة)(٥٥).

و يتبع كبريانوس خط ترتليان في تأكيده أن وضع الأيادي بعد المعمودية يكمل بالضرورة طقس المعمودية لإعطاء الروح القدس(٥٦).

كذلك فإن كبريانوس يتبع خط ترتليان في كون الروح القدس هو مصدر الإلهام للأنبياء والرسل وكتابة الأسفار جميعاً(٥٧).

هيبوليتس (١٦٠ ــ ٢٥٨ م) (٥٨):

وإذ كان هيبوليتس أسقفاً على بورتس رومانو (ربما بعد رعاية إيرينيئوس لها فترة من الزمن)(٥٩)، قيل أنه كان أول أساقفة روما ثم ضخموا الأسقفية ــ إن كانت هي أسقفية روما ــ فقالوا بابا روما !! وقد فرح مؤرخو اللاتين بهذا الإلتباس في النساخة وقالوا أنه فعلاً بابا روما لأنهم اكتشفوا أخيراً جداً أن كتاباته في تقليد الرسل عن الليتورجيا تطابق ليتورجية روما، ثم إذ لم يجدوا ما يبرهنون به على صحة تزييف نسبته لروما قالوا إن بورتس رومانو كانت قرية بجوار روما؛ وللأسف أثبتت السجلات أنه لم توجد قط أسقفية بجوار روما بهذا الإسم ولا وُجِد بابا لروما بهذا الإسم، ولما اكتشفوا

(51) Ibid., 34. (52) Cyprian, Epist 69· 14. (53) Ibid., 79: 9.

(54) Ibid., 75:14. (55) Ibid., 73:11. (56) Ibid., 73:9.

(57) Westcott, Study of The Gospels, pp. 429.

(٥٨) وهو تلميذ إيرينيئوس، والمسمى في المخطوطات القبطية «أبوليدس»، شرقي المولد، اسكندري الجنس وقد نُسب خطأ إلى روما وأُعطي خطأ لقب بابا روما في المخطوطات القبطية. وذلك الإلتباس أصله كلمة «بورتس رومانو» وترجمتها الحرفية المرفأ الروماني، وهو مرفأ عدن الآن، وكانت المرفأ الروماني الهام في مدخل البحر الأحمر. وقد قرأها النساخ الأقباط بورتس= الأول (خطأ)، رومانو= الروماني، فقرأوها «الأول» في أساقفة روما، ثم بابا روما مع أن كلمة بورتس هي مرفأ وليس بروتو= الأول وسيصدر الكاتب نبذة تاريخية مفصلة ومدعمة بالحقائق التاريخية عن هيبوليتس كأسقف عدن وأصالته كعالم قبطي اسكندري.

(٥٩) انظر كتاب مخطوط «مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة» لإبن كبر في ذكر كتاب اعتراف الآباء.

في آثار روما كرسياً حجرياً وتمثالاً لا يحمل إسم هيپوليتس وبدون ذكر أي لقب بابوي عليه ولكن وجد على ظهر الكرسي مؤلفات هيپوليتس اعتبروا هذا دليلاً على صدق امتلاكهم لشخصية هيپوليتس ، وقالوا بلاتينيته ونسبته لروما . والحقيقة إن هذا العالم اسكندري الجنس وكان أسقفاً على عدن كل أيام حياته . وبسبب صراعه ضد بابا روما ، وتصحيحه لهرطقة إثنين من هؤلاء البابوات وبما أنه كان أيضاً أسقفاً على مدينة تحت الولاية الرومانية ، اعتبروه رومانياً . وكان صراعه هذا ضد هرطقة البابا زفرينوس (١٩٩ــ٢١٧م) والبابا كالليستوس (٢١٧ــ٢٢٢م) ، كما قاوم انحراف البابا فابيانوس . وإن تسمية مؤلفات هيپوليتس الليتورجية باسم « نظام الإسكندرية في الرسامات القبطية » منذ أقدم العصور لهو دليل كافي لتدعيم علاقة هيپوليتس بالإسكندرية وليس بروما .

أما كل ما يعرفه تاريخ العقيدة والإيمان عن علاقة هيپوليتس بروما فهو مهاجمة هيپوليتس لهرطقة زفرنيوس وكاالليستوس وفابيانوس باباوات روما ، حيث كانت روما في ذلك الوقت هي مرتع ومهد هرطقة المونوأرخيزم(٦٠) ، أي «منكري الثالوث» ، كما كتب أيضاً هيپوليتس ضد نوئيتوس Noetus .

ولكن كتابات هيپوليتس عن الروح القدس جاءت قليلة ، ولكنه أكَّد على لاهوت الروح القدس بوضوح حيث يقول :

[إنه يستحيل أن نمجد الله دون أن نتجه مباشرة إلى الإعتراف بكل أقنوم في الثالوث المقدس]

[بواسطة هذا الثالوث يتمجد الآب]:

[διὰ γὰρ τῆς τριάδος ταύτης πατὴρ δοξάζεται]

[ونحن عن طريق تجسد الكلمة صرنا نعبد ونكرم ((προσκυνοῦμεν)) الروح القدس ، كذلك فإنه يستحيل علينا أن نكوِّن فكرة عن الوحدة أو

(60) Rev. Henry Barcly Swete, D. ch. B., p. 118.

الوحدانية في الله إلا بالإيمان بالآب والإبن والروح القدس (كونهم في اتحاد مطلق)](٦١).

وهيبوليتس يدحض فكرة خضوع الروح القدس للمسيح بقوله :

[إن الآب اخضع كل شيء للإبن المتجسد ماخلا الآب والروح القدس](٦٢).

ولكن للأسف لم يستطع هيبوليتس أن يرق للتساوي المطلق بين الروح القدس والآب أو الإبن ، فهو يقصر تسمية الأقنوم أو الشخص أو الوجه πρόσωπον في الثالوث كصفة شخصية على الآب والإبن فقط ، أما الروح القدس فيقصر عليه صفة النعمة ، أما الثالوث فهو متساوي في التدبير:

[أقنومان ، و بالتدبير نعمة الروح القدس هي الثالثة](٦٣).

[πρόσωπα δὲ δύο, οἰκονομίᾳ δὲ τρίτην τήν χάριν τοῦ ἁγίου πνεύματος]

ويهتم هيبوليتس بتحديد الصفة أو الوظيفة الخاصة للروح القدس في التدبير الإلهي بالإنارة أو الإستنارة هكذا :

[لأن الآب هو الذي يأمر، والإبن هو الذي يطيع ، والروح القدس يوحِّد . لأن الآب أراد ، والإبن صنع ، والروح أنار](٦٤).

[Ὁ γὰρ κελεύων πατήρ, ὁ δὲ ὑπακούων υἱός, τὸ δὲ συνετίζον ἅγιον πνεῦμα ... πατὴρ γὰρ ἠθέλησεν, υἱὸς ἐποίησεν, πνεῦμα ἐφανέρωσεν]

كما يقول هيبوليتس أيضاً إن الأنبياء يظهرون دائماً مؤيدين **بروح النبوة** ومكرمين من جهة **الإبن الكلمة** ذاته(٦٥) ، وإن إلهامهم ينبع **من قوة الآب** .

[τῆς πατρῴας δυναμεῶς ἀπονόιαν λαβόντες] (٦٦)

---

(61) Contra (Noetus 12-14), cited by D.C.B., p. 118. (62) Ibid., 8.

(63) Ibid., 14. (64) Ibid.

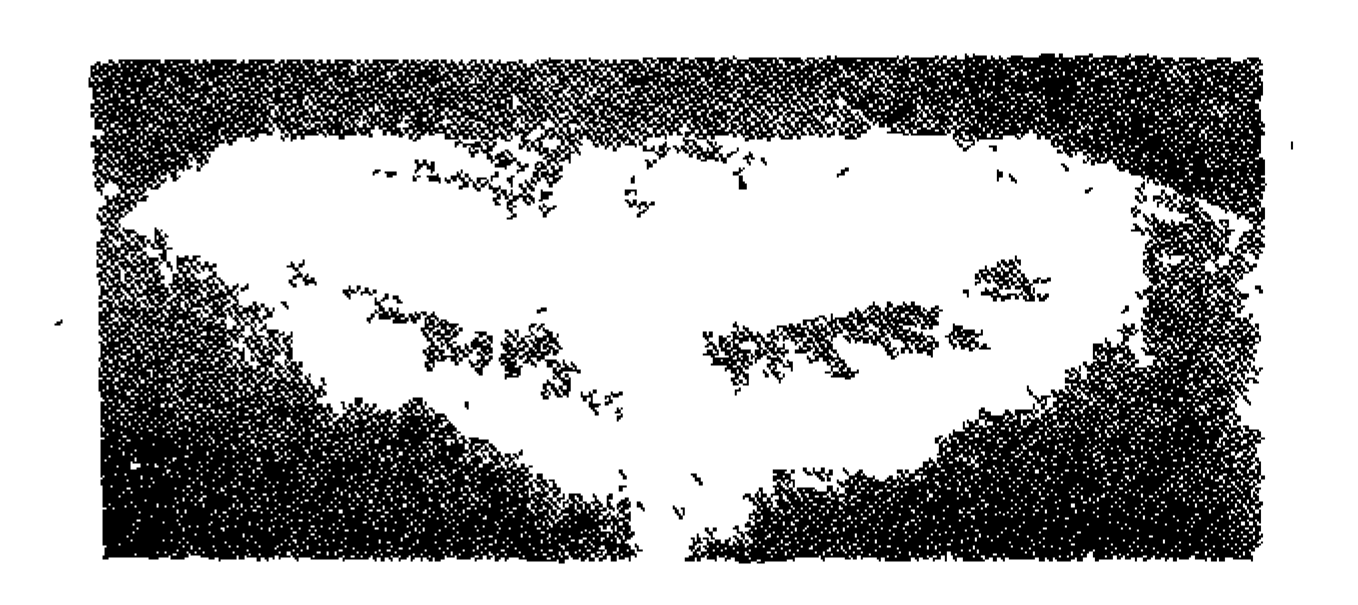
(65) Hippolytus, De Antichr. 2, cited by D.C.B., p. 118.

(66) Ibid., Contra Noetus, ii, 12.

ديونيسيوس الروماني (٢٦٩م):

في احتجاجه ضد الذين انحرفوا نحو فصل الثلاث أقانيم وضد مبادىء سابيليوس، أوضح ديونيسيوس الروماني عقيدته عن الروح القدس بالنسبة لعلاقته بأقنومي الآب والإبن في الثالوث قائلاً إنه ينبغي أن لا نقسم الوحدة الإلهية القائمة في الثالوث إلى ثلاثة أقانيم منفصلة.

ولكن سقط ديونيسيوس هو الآخر في فهمه الخاطىء لوضع الروح القدس في الثالوث بقوله إن أقنوم الإبن وأقنوم الروح القدس هما، من جهة الأصل والمنبع، خاضعان لله الآب. على أن ديونيسيوس يقول إن الإبن متحد بالآب والروح القدس قائم (ساكن) فيه، فالثالوث الأقدس ينجمع في **ذات واحدة** حيث الآب مصدر ورأس فائق، وفي نفس الوقت يشدد أن ننتبه حتى لا نفرق الوحدة إلى ثلاثة آلهة، حيث يلزم جداً أن نحتفظ بوحدة الأصل μοναρχία وهكذا نحتفظ ونقيم حقيقة الإيمان بالثالوث في المعمودية الآب والإبن والروح القدس؛ أما الذي نقل لنا ذلك عن ديونيسيوس الروماني فهو القديس أثناسيوس(٦٧).



(67) Athanas., De Decr., cited by D.C.B., p. 119.

كنيسة الإسكندرية

والآن نأتي إلى تعليم مدرسة الإسكندرية فيما يتعلق بالروح القدس .

اكلمندس الإسكندري :

بالرغم من أن الكثير من مؤلفات اكلمندس الإسكندري قد فُقدت ، من بينها كتابان عن كل ما يتعلق بالتعاليم الخاصة بالروح القدس عن شخصه ومواهبه : الأول «عن النبوات» ، والثاني «عن النفس» ؛ غير أنه قد تبقى لنا أجزاء هامة قام بفحصها ونشرها العالم كوتيلييه Cotelier ، والتي يُظن أنها تتبع أحد هذين الكتابين المفقودين[١] ، وتدور حول معنى الإنبثاق ἐκπόρευσις بالنسبة للروح القدس :

[مبارك الإنسان الذي عرف عطية الآب من خلال انبثاق الروح كلي القدس][٢].

[διὰ ἐκπορεύσεως τοῦ παναγίου πνεύματος]

[مبارك الإنسان الذي عرف وتقبّل الروح القدس الذي هو عطية الآب الذي منحه على هيأة حمامة ، الروح الذي بلا شائبة عديم الغضب والمرارة ، الكامل المنطلق من ــ قلب ــ (أعماق) الآب .

« ἀπὸ σπλάγχνων ἰδίων προϊέμενος »

ليدبر الدهور و يعلن غير المنظور ، فهو الروح القدس الحق الآتي من الآب الذي هو قدرته وإرادته ، (τὸ ἀπ' αὐτοῦ προελθόν) المستعلن لتكميل ملء مجده . أما الذين ينالونه فإنهم ينطبعون بطابع الحق بكمال النعمة][٣].

وفي بقية أعمال اكلمندس الإسكندري يعلن بوضوح لاهوت الروح القدس[٤] ، حيث ينتهي كتاب المعلم بدعاء النعمة لتمجيد الآب والإبن مع الروح القدس ، وهو يفرق بين وحدانية الروح القدس و بين تعدد مواهبه .

---

(1) Lightfoot, on Clement, p. 219-220. (2) D.C.B., p. 119.

(3) Ibid. (4) Clement of Alex., Paedagog., iii. 12.

كذلك فإن اكلمندس يعتبر أن حضور الروح القدس في المؤمنين يشكل نوعاً جديداً من الطبيعة البشرية .

كذلك فإنه يصف مواهب الروح القدس الإلهية أنها هي العطر الذكي المكون من الروائح السمائية التي يمنحها المسيح لأحبائه(٥) .

واكلمندس يقرن أحياناً بين الكلمة والروح حينما يتكلم عن إلهام الأنبياء(٦) .

كذلك فإن اكلمندس يؤكد على دور الروح القدس في إنارة الكنيسة بصورة مستمرة وكذلك الأفراد فيها(٧) .

كما يضيف أن كل من يؤمن « بالكلمة » فإن نفسه تتحد بالروح القدس(٨) .

والإنسان العارف بالله بالحقيقة true gnostic هو المؤمن حقاً والتلميذ بالفعل للروح القدس(٩) ، وهو بهذا يتمكن أن يسبر أعماق الكتاب المقدس و يطلع على أعماق المعنى الخفي فيها **بالإضافة طبعاً إلى إتّباعه التقليد فيما يخص قانون الإيمان**(١٠) .

واكلمندس يشير إلى عمل الروح القدس في سلوك الكنيسة من نحو الماديات ، و يربط بين أعمال الروح القدس و بين سر المعمودية فيقول :

[نحن المعمدين إذ قد تخلصنا من خطايانا التي كانت بمثابة ضباب يحجب نور الروح الإلهي ، أصبحنا نملك عيناً روحية محررة غير منطمسة ممتلئة نوراً ، بها نحدق في الإلهيات ، وصرنا منفتحين على خفايا الأسرار ، والروح القدس ينسكب علينا من السماء](١١) .

و يشرح اكلمندس التدرج من درجة الموعوظين التي فيها تقود التعاليم المبدئية إلى الإيمان ، والإيمان حينما تلحق به المعمودية يتهيأ لقبول تعاليم الروح القدس :

---

(5) Paedagog., 11. 8. (6) Westcott., Study of the Gospels, p. 435.

(7) Clement, Strom., V. 13.

(8) Ibid., II. 1-13. (9) Strom., V. 24; paed., 1. 6.

(10) Strom., VI. 15. (11) Paedag., 1. 6.

« πίστις δέ ἅμα βαπτίσματι ἁγίῳ παιδεύεται πνεύματι »

أما فيا يختص بالإفخارستيا وعلاقتها بالروح القدس فهو يشير إلى هذه العلاقة ولكن يذكر أيضاً الكلمة ولا يتضح تماماً ما إذا كان التقديس يتم بالروح القدس أو بالكلمة :

« ἐν τῷ πνεύματι τῷ αὐτοῦ κοσμήσειν λέγει τὸ σῶμα τοῦ λόγου ὥσπερ ἀμελεῖ τῷ αὐτοῦ πνεύματι ἐκθρέψει τούς πεινῶντας τόν λόγον » (12)

أوريجانس :

كان أوريجانس من بعد ترتليان أول من قام بمحاولة دراسة موضوع الروح القدس دراسة علمية .

وقد علم أوريجانس بأن الروح القدس مساوٍ في الكرامة والمجد للآب والإبن (١٣) .

وأول من أكد بيقين أن الروح القدس منبثق من الآب انبثاقاً أزلياً ، حاله كحال الإبن (١٤) .

وأن الروح القدس صالح صلاحاً كلياً ومطلقاً (١٥) .

وأن عمل الروح القدس المميز غير عمل الآب والإبن ، فهو يختص بنفوس المؤمنين (١٦) .

وأنه بالرغم من أن عطاياه متعددة فجوهره واحد غير منقسم (١٧) .

وأن الروح القدس العامل في الأنبياء في العهد القديم هو هو نفسه العامل في العهد الجديد في القديسين ، غير أنه بعد الصعود صارت إرساليته ممتدة وشاملة ومتسعة (١٨) .

والمؤمنون باشتراكهم في الروح القدس يصيرون روحيين وقديسين ، والذي يشترك في الروح القدس يشترك في الثالوث ، لأن الثالوث غير مفترق لأنه ليس هيولياً أي مادياً (١٩) .

---

(12) Paedag., ch. 2; ch. 47; cited by H.B. Swete, D.C.B., p. 119.

(13) Origen, Princ., 1; praef.

(14) Ibid., II. 2; ch. 1. (15) Ibid., I. 2, ch. 3.

(16) Ibid., I. 3; ch. 5.

(17) Ibid., I. 1; ch. 3. (18) Ibid., II. 7; ch. 1,2. (19) Ibid., IV. 1, ch. 32; cf. I. 3 ch. 5

والقدرة على استخلاص المعاني الروحية العميقة بالإلهام يرجع إلى كون الكتب المقدسة مكتوبة بإلهام الروح القدس(٢٠).

بل وإن كل حرف هو بمقتضى الحال يكشف عن أثر الحكمة الإلهية(٢١).

وللأسف فإنه بعد كل هذه التعبيرات عن لاهوت الروح القدس فإن كلاً من جيروم وإبيفانيوس يتهمان أوريجانس بأنه قال إن الروح القدس مخلوق(٢٢)، بل والقديس باسيليوس كاد أن يصادق هو أيضاً على هذه التهمة بالنسبة لأوريجانس(٢٣).

وكل هذا جاء بسبب خطأ في فهم الفرق بين

γενητὸς ἢ ἀγένητος & γεννητὸς ἢ ἀγέννητος (٢٤)

ولكن خروج أوريجانس عن تقليد الكنيسة ولغتها الملهمة واضح جداً في شرحه لإنجيل يوحنا، **فهو يضع الروح القدس في درجة أقل من الإبن، لا بالنسبة للكرامة بل بالنسبة للأصل** origin **، فهو يقرر أن الإبن وحده هو من الآب فقط، ولكن الروح القدس هو من الآب بواسطة الإبن** (هنا بداية خطأ الكاثوليك الآن **في قولهم إن الروح القدس منبثق من الآب والإبن** — Filioque — **الذي يشير مباشرة أن الروح القدس أقل من الإبن** والتي أخذوها عن أوغسطين الذي أخذها بدوره عن أوريجانس).

كذلك عندما بدأ أوريجانس يشرح قول إنجيل يوحنا (١ : ٢) « كل شيء به كان » «πάντα δι' αὐτοῦ ἐγένετο» أي أن الكلمة خلق كل شيء، تساءل أوريجانس في غفلة قائلاً : أليس يلزم أن يكون الروح القدس أيضاً بين هذه الموجودات أي الخليقة γενητά ؟

---

(20) Origen, Hom. on Num., XXVII. 1.

(21) Origen, Philocal. 2.

(22) Hieron., epp. ad. avit., ad. Pamm., et ocean; epiph., Haer. LXIV. 8.

(23) Basil., De Sp. sanct, 29.

(24) Origen De princip., I. praef. ch. 4.

وهكذا يعتبر أوريجانس أن الروح القدس ، بمفهوم ما ، يستمد خلقته أو وجوده Genesis بواسطة الإبن ، و يعود بلا جدوى يمنح الروح القدس الكرامة فوق كل الخليقة γεντά ، ولكن هيهات ! فقد أسقط أوريجانس الروح القدس عن المساواة الكاملة في الثالوث وهويمعن في هذا الفكر الخاطىء بقوله :

[وحتى وإن كان الروح القدس فوق كل الخليقة في الكرامة فهو بحسب الفكر يتحتم أن **يُحسب بين الخليقة ، لذلك فهويُعتبر أقل من الإبن الذي بواسطته يستمد وجوده !!]**.

وهكذا لم تسعف العبقرية الفكرية هذا المفكر العملاق ، لأنه لم يلتزم بالتقليد واستخدم المنطق الذي أوقعه في الخطأ ، ومهّد دون أن يدري لبدعة آريوس الذي تمادى في إنكاره الكامل للاهوت الروح القدس .

تلاميذ أوريجانس وامتداد الخطأ :

من بين تلاميذ أوريجانس الذين تمسكوا بهذا المفهوم الخاطىء من جهة درجة الروح القدس بييريوس (Pierius) ، الذي يتهمه فوتيوس بأنه وضع الروح القدس أقل في المجد والكرامة من الآب والإبن .

وقد وقع ثيئوغنسطس Theognostus في نفس الخطأ(٢٥) باعتماده على تعاليم أوريجانس .

وقد قام القديس باسيليوس(٢٦) باتهام ديونيسيوس بابا الإسكندرية (سنة ٢٤٧) بنفس الخطأ من جهة درجة الروح القدس ، ولكن العجيب أن باسيليوس نفسه يستشهد بكتابات ديونيسيوس الإسكندري نفسه في إثبات تساوي الثالوث ، كما يذكره ديونيسيوس في الذكصا أي تمجيد الثالوث في ختام أقواله دائماً « والمجد لله الآب والإبن مع (σύν) الروح القدس » حيث σύν تفيد المعية في المساواة .

---

(25) Biblioth. codd., 119, 106.

(26) Basil., ep. 41.

وفي كتابات ديونيسيوس بابا الإسكندرية إلى سميّه بابا روما توجد أقوال واضحة تتنافى مع هذا الإتهام ــ ومع أي مماحكة لآريوس الذي قال إنه يقتبس من ديونيسيوس الإسكندري ــ وقد أوردها القديس أثناسيوس في دفاعه عن البابا ديونيسيوس لإثبات صحة إيمانه.

[إن كل إسم من الأسماء الآب والإبن والروح القدس غير منفصل قط عن ما يليه ... لذلك حينما يُذكر الروح القدس فإني في الحال أتذكر انبثاقه من الآب بواسطة الإبن πόθεν καὶ διὰ τίνος ἥκεν فإن طبيعة الآب ليست غريبة عن الإبن ولا يمكن أن يفترق الإبن عن الآب والروح القدس فيهما (في أيديهما)] (٢٧).

ولا تخلو هذه الحقبة ــ نهاية القرن الثالث ــ من شاهد قوي لتقليد الكنيسة اللاهوتي بالنسبة لدرجة الروح القدس ولاهوته معاً، وهو ميثوديوس Methodius أسقف صور، الذي قال صراحة إن الروح القدس مساوي للآب في الجوهر ὁμοούσιον πνεῦμα (٢٨).

القرن الرابع ... قرن المتاعب والتصفيات

أريوس والآريوسية :

لقد تخصصت الأريوسية في بادىء الأمر في مهاجمة الإبن، ولكنها لم تستثنِ من حين لحين الروح القدس من التنكر والمهاجمة، ففي صلب « الثاليا »، وهي أنشودة الكفر التي ألفها أريوس وتعني « الوليمة » يقول :

[« إن جواهر الأقانيم الثلاثة الآب والإبن والروح القدس هي من جهة طبيعتها منفصلة عن بعضها وغريبة عن بعضها ومتميزة » ... « وكل أقنوم في الثالوث أكرم وأمجد من الآخر بالتسلسل وهذا التدرج في المجد والكرامة هو إلى

(27) Athanas., De sent. Dionys., 17.

(28) Migne, Patr. Gr., XVIII 210, 351; cited by D.C.B., p. 120.

مالانهاية »] ([٢٩]) .

ولكن لم يركز مجمع نيقية إلا على لاهوت الإبن ومساواته للآب بسبب الخطورة المحدقة بالخلاص والفداء آنئذ ، من جراء إنكار لاهوت الإبن ، واكتفى المجمع بقوله : « ونؤمن بالروح القدس » ولما طُرح هذا التساؤل فيما بعد بخصوص عدم توضيح المجمع لماهية الروح القدس جاء الرد مفحماً بالعدل والحق حينما قال كل من غريغوريوس اللاهوتي وإبيفانيوس أسقف قبرص أن ذكر المجمع **« ونؤمن بالروح القدس » لم تأتِ منفصلة عن الثالوث ، أي عن الله ، بل جاءت في معرض تقرير قانون الإيمان بالله الواحد** ([٣٠]) .

أما إحجام المجتمعين في مجمع نيقية ـ أي أساقفة العالم كله ـ من جهة التعرض لشرح لاهوت الروح القدس ، فكان بسبب انصباب الهجوم كله و بكل كثافة على لاهوت الإبن ، حيث لم يكن في جميع الكنائس و بين جميع الشعوب حديث آخر في تلك الحقبة الزمنية العصيبة سنة ٣٢٥م إلا عن لاهوت الإبن ، أما الروح القدس فلم يتعرض له الأريوسيون إلا لماماً و بدون تخصيص ([٣١]) . وكما يقول القديس باسيليوس أن الأريوسيين في بدء المعركة بذروا فقط بذور إنكار لاهوت الروح القدس ضمن تعبيراتهم المبهمة عمداً ، ولم تنضج هذه البذار ولم تأتِ بحصادها المسموم و بصورة متخصصة تجاه الروح القدس إلا بعد خمسين عاماً تقريباً ([٣٢]) .

وهكذا بين سنة ٣٢٥م أي زمن انعقاد المجمع الأول ، وسنة ٣٦٠م ، واتت فرص كثيرة لدى الأريوسيين وخاصة جماعة اليوسابيين (يوسابيوس النيقوميدي) لكي يشرحوا وجهة نظرهم تجاه إنكارهم للاهوت الروح القدس بصورة مستترة ضمن تعبيراتهم وقوانينهم الكثيرة التي خرجوا بها للعالم بعد المجامع التي عقدوها . وهي توضح دهاء السياسة التي انتهجوها آنئذ في مقاومتهم لمقررات مجمع نيقية بألفاظ منتخبة

(29) Athanas., Contr. Ar., 1. 6; de syn. 15.

(30) Greg. Naz., Or. XXXVII; Epiph., Haer. LXXIV.

(31) Basil., Epp., 78, 387.

(32) Ibid., Ep. 78.

ومتقنة ومن الكتاب المقدس، إنما مفرغة عمداً من أية إشارة لأزلية الروح القدس أو لاهوته بدون تصريح علني، مكتفين بوضع أقنوم الروح القدس في درجة أقل من الآب والإبن، موضحين فقط ما يختص بإرساليته الزمنية أي إرساله يوم الخمسين، حاذفين ما يخص وجوده السابق (أزليته) ودون ذكر لأي تعبير يمُت إلى كيانه أي لاهوته (٣٣).

وإليك مختصر لتعبيرات الأريوسيين عن الروح القدس:

[ونحن نؤمن بالروح القدس، الپاراكليت، روح الحق، الموعود به من الأنبياء ومن الرب وأُرسل إلى الرسل ليعلمهم كل شيء وليعزي و يقدس و يكمل المؤمنين. والإبن هو الذي منح الروح القدس للكنيسة **بحسب إرادة الله** (πατρικῷ βουλήματι) **لذلك نحن نحرم كل من يقول أن الروح القدس هو إله غير مخلوق** (واضح هنا الكفر)، ونحرم كل من يخلط بين شخص الروح القدس وشخص الإبن أو يقول **أنه من الآب، أو يقول أنه من الإبن** الذي ــ الروح القدس ــ هو به (وليس منه)، أي أُرسل به إلى العالم (δι' υἱοῦ ἀποσταλεῖν) = per filium est **ونحن نرفض الإصطلاح غير الكتابي « جوهر واحد » للآب والإبن والروح القدس**] (٣٤).

و بينما كان يستخدم الأريوسيون كل هذا الحذق وكل هذا الدهاء في الإكتفاء بالأوصاف الناقصة أو السلبية للروح القدس ليخفوا حقيقة إنكارهم للاهوت الروح القدس، نجد أن أشخاصاً مسئولين وكثيرين من أفراد الشعب بدأوا بسرعة و بدون دهاء يعلنون و يؤكدون كفرهم بلاهوت الروح القدس صراحةً وعلناً.

فنجد مثلاً لوسيفر سنة ٣٥٨م وهو أسقف كاجلياري يوجه إتهاماً علنياً للإمبراطور قسطانطيوس يقول فيه إن الإمبراطور لا يؤمن أن الباراكليت هو بعينه « **روح الله** » (٣٥).

(33) Hahn., Bibliotheck. der Symbole, p. 148-174; cited by D.C.B., p. 121.

(34) Ibid.

(35) Pro Athanas. II; Migne Patr. Lat. XIII, 898.

وفي هـذا الـصـدد أعلـن الـقـديـس أثـنـاسـيوس مرات عديدة منذ البداية رداً على محاولات الأريوسيين في تشويه الإيمان بالروح القدس قائلاً :

[إنـه يـسـتـحـيـل الإيمـان بالروح القدس إيماناً صحيحاً طالما يخفق الإيمان بأن الإبن واحد مع الآب في الجوهر](٣٦) .

ولـقـد ظـل الأرثـوذكـس في كـافـة أنحاء العالم متمسكين بمقررات مجمع نيقية تجاه الإيمـان الـصحيح بالإبن و بالروح القدس إزاء محاولات الأريوسيين ، سواء كان ذلك في الـغـرب الـذي وضـح في مجـمـع سرديكا سنة ٣٤٧م أو في مجمع أريمينيم مع الشرقيين سنة ٣٥٩م .

أمـا الـقـديس أثناسيوس فقد بدأ في تفنيد آراء الأريوسيين من جهة الروح القدس بـصورة واضحة ومحددة سنة ٣٦٠م ، حينما أصدر أول شرح مستفيض عن شخص الروح القدس موضحاً أنه « **منبثق من الآب** » .

ومـنـذ ذلـك الـتـاريـخ أصبح أمام الكنيسة ضرورة مُلحة في توضيح كل ما يتعلق بـالـروح الـقـدس لـتـفـنـيد كفر الأريوسيين ! و بينما كان القديس أثناسيوس في منفاه هـاربـاً من وجـه مـضـطـهديه في صحراء طيبة وصلت إلى يديه أول رسالة من القديس سيـرابـيـون أسقف تُميّ ، يخبره أنه في إيبارشيته (في الدلتا) وجد ضمن الراجعين إلى الـكـنيسة بعد أن جحدوا الأريوسية لا تزال جماعة من المنحرفين عن العقيدة الصحيحة من جهة الإيمان بالروح القدس تسمى جماعة المتقلبين tropici ، وهم ينادون بأن الروح مخلوق وأنه روح خادم لا يختلف عن الملائكة إلا في الدرجة وحسب(٣٧) .

و بـعـودة أثـنـاسـيـوس إلى الإسـكـنـدريـة بـعـد مـنـفـاه ، بدأ فوراً بالتحضير لمجمع الإسـكـنـدريـة الـذي أصدر منشوراً مجمعياً سُمي بطومس الأنطاكيين ، لأنه أرسل إلى أنـطـاكـيـا بـنـوع خـاص ، يحـمـل أول حكم بالإدانة تصدره الكنيسة ضد عدم الإيمان بلاهـوت الـروح الـقـدس ، محـذراً أن كـل مـن يـريـد أن يعود إلى الكنيسة من جماعة

(36) Athanas., Or. Cont. Ar., 1. 8.

(37) Ad. Serap., I. init.

الأريوسيين عليه أن يجحد أولاً كل من يقول بأن الروح القدس مخلوق أو أنه منفصل عن جوهر الآب والإبن .

وبمجرد وصول هذه الوثيقة التاريخية الهامة إلى أنطاكيا ، قبلها الأسقف بولينوس المرسوم جديداً بكل فرح ، ووقع عليها بإمضائه وأضاف إليها اعترافه الخاص الذي فيه يحرم كل من لا يقول بما جاء فيها .

و يقرر كل من المؤرخ سوزومين وسقراط وروفينوس أن مجمع الإسكندرية هذا أعلن بوضوح أن الروح القدس واحد في الجوهر مع الآب والإبن(٣٨) .

« ἀδιαίρετον τῆς οὐσίας τοῦ υἱοῦ καὶ πατρός »

وتحاشى الخطاب ذكر كلمة الأوموؤوسيوس حتى لا يثير مشاكل عند النصف أريوسيين ، الذين كانوا قد قبلوا الأوموؤوسيون بصعوبة فيما يتعلق بالإبن وتعذر عليهم فهم الأوموؤوسيون بالنسبة للروح القدس .

وقد انبرى في هذه الحقبة مقدونيوس وماراثونيوس Marathonius ، اللذان رفضا بشدة القول بلاهوت الروح القدس ، وظلا يعلمان أن الروح القدس مخلوق وخادم لله ، ولذلك دُعيا هما وجماعتهما بمحاربي الروح القدس = πνευματομάχος ، الذين حرمتهم الكنيسة آنئذ(٣٩) . ولكنهم لم يقووا على مقاومة الكنيسة كثيراً ففي مدى عشرين سنة استسلموا وخضعوا للإيمان الصحيح(٤٠) .

وفي سنة ٣٦٣م عقد القديس أثناسيوس مجمعاً آخر في الإسكندرية ، أعاد فيه التأكيد على عقيدة ألوهية الروح القدس ، حيث أصدر المنشور المجمعي باسم الإمبراطور جوفيان يدين فيه الذين يحاولون إحياء هرطقة أريوس من جديد ، منكرين إيمان مجمع نيقية الذي يتظاهرون بالإعتراف به ولكنهم يحرفون معنى الأوموؤوسيون ويجدفون على الروح القدس قائلين إن الإبن خلقه ، في حين أن واضعي قانون الإيمان في مجمع نيقية

(38) Sozom., V. 12; Socrate III. 7; Ruf. H.E. 1. 28.

(39) Socr. II. 45; Sozom. IV. 27; Theodor , II. 6.

(40) D.C.B., p. 121; by Rev H.B. Swete.

يمجدونه مع الآب والإبن ضمن الإيمان بالثالوث المقدس(٤١) .

في رومـــا ...

ولكـن لـلأسـف وقـعـت رومـا في حبائل مقدونيوس وأتباعه ، إذ أرسل إلى البابا لـيبر يوس بعثة من مجمعه الخارج على الإيمان ، المُسمى بمجمع لمباسكوس سنة ٣٦٥م ونجـح مـقـدونـيوس في إقناع البابا ليبر يوس وكل أساقفة إيطاليا ، واكتسبهم أنصاراً له فيما يخص تـعـاليمه المـغـشوشة عن الروح القدس(٤٢) ، مدعياً أنه يتمسك بقوانين مجمع نيقية المقدس .

وبهـذه المـنـاسبة نذكر بالأسى أنه بعد موت هذا البابا حدثت مذبحة قُتل فيها ١٣٧ شـخـصـاً مـن الـشـخـصيات المتزاحمة بسبب انقسام معركة الإنتخابات بين داماسوس و يـورسـيـنـوس Ursinus المزاحم له ، حتى بلغت حد الحصار في الكنائس واقتسام الـنـفـوذ عـلـيـهـا . وقـد تم بـالـفـعل رسامة كل منهما بابا ، داماسوس بابا روما في كنيسة القديس لورنزو و يورسينوس بابا روما في كنيسة بازليكا يوليوس(٤٣) .

ولـكـن في سـنـة ٣٦٦م بـعـد اعـتـلاء الـبـابـا دامـاسـوس وهـو أسـبـاني الأصـل (٣٠٤ــ٣٨٤م) كرسي روما(٤٤) ، افتضح الأمر واكتشف الغرب أخيراً الفخ الذي سـقـطـوا فـيـه وذلـك بـفـضـل ومضات النور المنبعثة من فنار الإسكندر ية ــ أثناسيوس الـلاهـوتي ــ الـذي لم يهدأ ولم ينثنِ أن يفضح الظلام شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً سواء بـالـرسـائل الخاصة أو بإعلان مقررات المجامع التي عقدها في الإسكندر ية لهذا الغرض (٣٦٠ــ٣٦٣م) .

واسـتـيـقـظـت روما متأخرة جداً على رائحة الهرطقة التي دخلت كنيستها وتغلغلت فيـهـا بـسـبـب غـفـلـة البابا ليبر يوس المذكور ، و بدأ الأساقفة في الإجتماع وعقد المجامع

(41) Ad. Jovian 4; Migne XXVI, 820.

(42) D.C.B., by Rev. H.B. Swete, p. 122.

(43) Acc. to the Gestie inter Liberium et Felicem 160; cited by Cross. Dict. p. 370.

(44) Ibid.

المتتالية برئاسة داماسوس أسقف روما، وذلك بمساعدة الإمبراطور فالانتينيان الأول، لدحض هذه الهرطقة بلا توقف. و يذكر لنا المؤرخ المشهور هِفِلي أنه لم تهدأ روما من سنة ٣٦٨ ــ ٣٨١م وهي تقيم المجامع الواحد تلو الآخر، الأول سنة ٣٦٩م، والثاني سنة ٣٧٤م، والثالث سنة ٣٨٠م(٤٥). وفي هذه المجامع استعادت روما أرثوذكسيتها وقررت بكل وضوح وتأكيد أن:

١. الروح القدس غير مخلوق.

٢. أنه في كرامة واحدة وجوهر واحد (أوسيا) وقدرة واحدة مع الآب والإبن.

٣. أزلي عالم بكل شيء (كلي العلم)، موجود في كل الوجود، متميز بشخصه، معبود من الكل (كلي العبادة)، منبثق من الآب فقط، واحد مع الآب والإبن باتحاد كامل مطلق.

وحرمت بالتالي أريوس ومقدونيوس وابنوميوس وكل من أنكر أزلية الروح القدس وانبثاقه من الآب = De Patre esse vere ac proprie (فقط) (لاحظ هنا أيها القارىء أن إيمان روما كان أرثوذكسياً صحيحاً سليماً فيما يخص انبثاق الروح القدس من الآب **فقط** في القرن الرابع).

كذلك حرمت كل من يقول أنه مخلوق أو أن الإبن خلقه، حتى ولو كان أرثوذكسياً في كل نواحي الإيمان الأخرى.

وأعلنت روما إيمانها (بعد وفاة أثناسيوس بخمس سنوات وعلى هدى مقررات مجامع الإسكندرية) بالثالوث المقدس، لاهوت واحد قدرة واحدة وكرامة ومجد واحد، وسُمي هذا «**طومس داماسوس**» ولاقى قبولاً في أنطاكيا ووقّع عليه ١٤٦ أسقفاً اجتمعوا في مدينة أنطاكيا سنة ٣٧٨م بحسب تحقيقات العالم والمؤرخ هِفِلي(٤٦).

---

(45) Hefele, op. cit. vol. II. 287-393.

(46) Ibid., p. 291, 360-363. (47) Socr., II. 21.

ماذا في قيصرية وتعاليم أسقفها يوسابيوس المؤرخ الشهير (٢٦٤ــ ٣٤٠م):

يعتبر من القلائل الذين عاصروا عصر ما قبل نيقية (وكان عضواً في جماعة النصف أر يوسين)، وعصر ما بعد نيقية ، و واحد من أكثر المتحمسين لأوريجانس(٤٧) .

لقد كان غير دقيق في تعبيراته اللاهوتية ، حتى أنه يمكن بسهولة وضعه ضمن المتقدمين في الهرطقة الأر يوسية(٤٨) .

فكان يوسابيوس يؤمن و يعلّم بأن الروح القدس هو ثالث في الكرامة والمجد وفي الدرجة أيضاً أي في الجوهر(٤٩) .

فكان يصف « الروح القدس بأنه يستقبل نوره من ,, الكلمة ،، ، كالقمر في فلك اللاهوت وأنه يستمد كل كيانه وصفاته من الإبن » .

و بذلك كان يحسبه أنه ليس إلهاً ولا حتى بمستوى الإبن ، أي ليس غير مخلوق ، وكونه لا يستمد أصله من الآب كالإبن فيتحتم أن يكون واحداً من الأشياء التي خُلقت بواسطة الإبن و بالنص الحرفي هكذا : (٥٠)

« οὔτε θεός, οὔτε υἱός, ἐπὶ μὴ ἐκ τοῦ πατρὸς ὁμοίως τῷ υἱῷ καὶ αὐτὸ τὴν γένεσιν εἴληφεν ἕν δέ τι τῶν διὰ τοῦ υἱοῦ γενομένων » (50)

ثم يعود يوسابيوس و يستدرك هذا الشطط ، لعله يعيد للروح القدس شيئاً من هيبته الإنجيلية فيقول : و بالرغم من أنه مخلوق إلا أنه أعلى وأفضل جميع المخلوقات... وهيهات فأي كرامة لمخلوق ؟

كما يتبين من أقوال يوسابيوس هذا ، أن انبثاق الروح القدس مرتبط فقط بإرساليته ، أي كحدث زمني .

وماذا في أورشليم عند كيرلس الأورشليمي
صاحب التعاليم المشهورة للموعوظين (٣١٥ــ٣٨٦م):

لقد عاش هذا الأسقف حتى شاهد ختام المعركة اللاهوتية ضد الأر يوسين التي

---

(48) Rev. H.B. Swete, D.C.B., p. 123

(49) Paraep. Evang., VII. 16.

(50) Euseb., De Eccl. Theol., III. 6.

بدأت في صبوته المبكرة . والمعروف عن منهجه اللاهوتى أنه جاز عدة تطورات وتصحيحات على طول المدى([51]) ، ولقد كتب مقالة عن الروح القدس في بكور حياته (٣٤٧ــ٣٤٨م) .

وكان من الآباء النادرين الذين تمسكوا بتعليم الكتاب المقدس والتقليد والتزم الصحة في التعبيرات اللاهوتية فيما يخص الروح القدس ، بسبب ما كان يجري أمامه من المعارك اللاهوتية وتعاليم أثناسيوس التي أنارت الشرق والغرب ، و بسبب شدة تعلقه بالأسرار الكنسية وخاصة المعمودية التي اعتبرها الأساس في التعليم والبناء الروحي ، لذلك صار هذا الأسقف نموذجاً رائعاً للتمسك بالتقليد و بالأسرار كمصدر استنارة لإدراك اللاهوت وتجنب الأخطاء اللاهوتية ، وإن كانت تعاليمه جاءت غامضة فيما نحن بصدده ولكن يمكن استشفاف الأفكار الآتية من تعاليمه عن الروح القدس كالآتى :

١ . يرفض فكرة أوريجانس فيما يخص خلقة الروح القدس بواسطة الإبن .

٢ . يعتبر الروح القدس مساوٍ في الكرامة للآب والإبن .

٣ . يحدد شخصية الروح القدس و يؤكد على وحدانيته المتميزة عن ظهوراته المتعددة (بالمواهب المتعددة) .

٤ . لا يحدد انبثاقه وكيفيته ولكن يكتفي بالقول أن الإبن يمنح الروح القدس ما يستلمه هو من الآب ، وهنا يظهر بنوع ما الإنحراف في فهم درجة طبيعة الروح القدس([52]) .

« πατὴρ μὲν δίδωσιν υἱῷ καὶ υἱὸς μεταδίδωσιν ἁγίῳ πνεύματι »

ثم يقف هنا حائراً و يقول إنه لا يليق بنا بعد ذلك أن نفحص أموره أكثر من ذلك .

٥ . وأهم ما يجيء في تعاليم كيرلس الأورشليمي عن الروح القدس هو مفاعيله ومواهبه وأعماله كالآتى :

---

(51) Sozom., IV. 25; VII, 8; Socr. V. 8. (52) Catech. XVI. 24.

أ ـ يقدس و يؤله ـ θεοποιόν ـ بنعمته الخاصة كل ذي طبيعة عاقلة أو مفكرة كضرورة حتمية للإقتراب من الله ، ولا يستثنى من ذلك الملائكة ورؤساء الملائكة(٥٣) (يقرر هذا القديس أثناسيوس بوضوح) .

ب ـ ألهم الأنبياء ، وحلّ على الرب ، وأُعطي للرسل ، **يُمنح للمعمدين في المعمودية في لحظة العماد(٥٤).**

«τό καὶ νῦν κατὰ τὸν καιρὸν τοῦ βαπτίσματος σφραγίζον σου τὴν ψυχήν»

كذلك فإنه يُعطَى لنا أيضاً لحظة التثبيت(٥٥) (وضع اليد = الميرون) .

جـ ـ الروح القدس يقدس ويحول الإفخارستيا(٥٦) .

د ـ يوحي إلينا بكل الأفكار المقدسة(٥٧) .

هـ ـ الروح القدس هو النار الإلهية التي تُفني الخطية وتنير النفس التي تتقبل نعمته(٥٨) .

وهكذا يغطي كيرلس الأورشليمي مفهوم الروح القدس للمعمد العادي ، ولكنه على المستوى اللاهوتي يقف عاجزاً عن فهم **الجوهر الواحد الذي للآب والإبن والروح القدس ، أي التساوي المطلق في الثالوث الذي بدونه يستحيل الإيمان بوحدانية الله .**

كما يقف عاجزاً عن فهم **الإنبثاق من الآب فقط (كإنبثاق الشعاع من الشمس) كصفة جوهرية لأقنوم الروح القدس ، الذي بدون ذلك يستحيل فهم مساواته للإبن أو الآب في الجوهر والكرامة .**

* * *

(53) Ibid., IV. 6; XVI. 23.
(54) Ibid., IV. 16.
(55) Ibid., XXI. 2,3.
(56) Ibid., XXIII. v. 9,17.
(57) Ibid., XVI. 19.
(58) Ibid., XVII. 5.

الفصل الثاني

القديس أثناسيوس الرسولي
وإرساء القواعد الثابتة للاهوت الروح القدس
ووحدة الثالوث

إلى القديس أثناسيوس يعزى منهج التعريف اللاهوتي للروح القدس على أصول البحث المنهجي العلمي بما لا يقل دقة وأصالة عن منهجه في التعريف بالإبن . وبدراسة الرسائل المتبادلة بينه وبين القديس سيرابيون أسقف تمي فيما يخص الروح القدس ، وكذلك بدراسة كل ما جاء في دفاعه ضد الأريوسيين يتضح هذا المنهج بخطواته وعمقه واستشهاداته والتزامه بالفكر التقليدي الكنسي الإسكندري على المستوى الكتابي والروحي وبإلهام واضح . فهو يقول لسيرابيون أسقف تمي هكذا :

[إن هذا هو التعليم الذي استلمته الكنيسة من الرسل] (إلى سيرابيون ٢٨ : ٣٢).

[لنتأمل في تقليد الكنيسة الجامعة وتعاليمها وإيمانها منذ البدء التي أعطاها الرب ، وكرز بها الرسل ، وحفظها الآباء. على هذه تأسست الكنيسة ، ومن يسقط منها لا يعتبر مسيحياً... هكذا ينادى بإله واحد في الكنيسة ، الذي **على** الكل ، وبالكل ، **وفي** الكل . (الترجمة الأصح : الذي هو كلي الأصل (على) وكلي السبب (بـ) وكلي التنفيذ (في) ، وهي الصفات الخاصة المتكاملة بالآب والإبن والروح القدس ، حيث كلمة « **كل** » لا تفيد الأشياء أو المخلوقات بل تفيد معنى الكلية ، أي المطلق ، أي الله في ذاته الكلية المطلقة) **على الكل** كآب ، كبداية ، كينبوع ؛ **بالكل** أي بالكلمة ، **في الكل** أي في الروح القدس ... فإن كنتم تفصلون وتعزلون الروح القدس من اللاهوت ، لا يكون لكم ذلك الذي هو **في الكل** ، وإن فكرتم في ذلك فإن طقس الإنضمام إلى الكنيسة (المعمودية والتثبيت) الذي تدّعون أنكم تمارسونه لا يكون في اللاهوت قطعاً] (إلى سيرابيون ١ : ٢٨و٢٩).

والقديس أثناسيوس يواجه أخطاء جماعة المتقلبين tropici في عجزهم عن فهم ماهية الثالوث في وحدانية الله ، بتوضيحه أن اختلاط الطبائع يستحيل أن يستقيم مع وحدانية الثالوث غير المنفصل ؛ فالروح القدس كونه في الثالوث يستحيل أن يكون بطبيعة غير طبيعة الآب والإبن عينها . ومن هنا يستحيل أن يُقال أن في الثالوث خالقاً ومخلوقاً بل إله واحد.

« εἰ κτίσμα ἦν, οὐ συνετάσσετο τῇ τριάδι· ὅλη γὰρ εἰς θεός ἐστιν »

وفي معرض دفاعه يوضح علاقة الروح القدس بالآب والإبن ، وهكذا يقدم القديس أثناسيوس ولأول مرة في تاريخ الكنيسة اللاهوتي منهجاً تعليمياً مفصلاً عن عقيدة الإنبثاق ، فهو في الأساس يقرر بوضوح :

[« إن الروح القدس منبثق من الآب ἐκπόρευμα τοῦ πατρός »](1).

ثم يضع هذا الإصطلاح اللاهوتي الجوهري مراراً كثيرة هكذا : « الذي من الآب منبثق » وهو تجميع للآيتين يو١٥ : ٢٦ ، و١ كو٢ : ١٢ =

« τὸ ἐκ τοῦ πατρός ἐκπορευομενον »

و يضيف أثناسيوس عن عقيدة إرسال الروح القدس هكذا :

[الروح القدس الذي ينبثق من الآب فهو دائماً عند (في يدي) الآب الذي يرسله والإبن الذي يوصله والذي به يملأ كل شيء](2).

[لأنه إذا استقام تفكيرهم (المجدفين على الروح القدس) عن « **الكلمة** » ، استقام تفكيرهم أيضاً عن **الروح المنبثق من الآب** ، الذي بفضل علاقته (أي علاقة الروح القدس) بالإبن ــ أعطاه للتلاميذ وكل من يؤمن به ؛ وهم بأخطائهم هذه لا يستقيم إيمانهم بالآب أيضاً لأن الذين « يقاومون الروح » كما قال الشهيد العظيم استفانوس (أع٧ : ٥١و٥٢) ينكرون الإبن أيضاً والذين ينكرون الإبن ليس لهم الآب أيضاً (١يو٢ : ٢٣)](3).

---

(1) Athanas., exposito Fidei (ek Thesis), parg. 4.

(2) Ibid (3) Ad Serap. 1, 2.

أولاً : علاقة الروح القدس الجوهرية بالكلمة :

وإزاء محاولات جماعة المتقلبين جحد لاهوت الروح القدس في الوقت الذي يعترفون فيه بلاهوت الإبن ، يبدأ ينتحي ناحية فرعية ــ أثناء دفاعه عن لاهوت الروح القدس ــ **في وصف علاقة الروح القدس الجوهرية بالإبن خاصة** ، فيقول : إن الروح القدس حتى قبل التجسد كان « الكلمة » يعطيه باعتباره أنه ــ أي الروح القدس ــ له خاصة وأنه هو الباراكليت :

[عندما حل الكلمة على الأنبياء تنبأوا بالروح] (إلى سيرابيون ٤ : ٣).

[وبكل تأكيد فإن الكلمة قبل أن يتأنس كان يعطي الروح القدس للقديسين باعتباره له أو كخاصته (as his own = ἴδιον) كذلك لما صار إنساناً فإنه يقدس الجميع بالروح القدس و يقول لتلاميذه « اقبلوا الروح القدس »] [4].

[هل الروح القدس « **واحد** » والباراكليت « آخر » ، حيث يكون الباراكليت هو بعد الروح القدس وهل الباراكليت لم يذكر في العهد القديم ؟ ــ حاشا !... فكما أن « **الكلمة والإبن** » هما واحد كذلك « **الروح والباراكليت** » والرب نفسه قال هكذا « والباراكليت الذي هو الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي » (يو١٤ : ٢٦) وهكذا يتكلم الرب عن الواحد نفسه] [5].

ملاحظة هامة :

وبسبب هذه المرطقة التي نشأت منذ القرن الثاني القائلة بأن الباراكليت لم يكن موجوداً في العهد القديم ، وأن الروح شيء والباراكليت شيء آخر ، وقد تبناها جماعة المتقلبين والأريوسيين ؛ لذلك اهتم مجمع نيقية أن يقرر عن الروح القدس أنه « **الناطق في الأنبياء** » ، وقد انبرى قبل أثناسيوس يوستين ، الذي كان أول من أعطى صفة « **روح النبوة** » **للروح القدس** التي نرددها الآن في الأجبية

---

(4) Athanas., C. Ar., I, 48.

(5) Athanas , C. Ar., IV, 29.

προφητικόν عنـدما كان يتكلم عن المعمودية (٦)، كذلك تعرض لها أوريجانس أيضاً (٧).

[إن الكلمة صار جسداً لكي يقدم جسده عن الجميع ولكي إذا نحن اشتركنا في الروح القدس نصير شركاء الطبيعة الإلهية (نتأله). هذه العطية التي كان يستحيل علينا نوالها إذا لم يكن لبس جسداً من جسدنا المخلوق، ولكننا بنوالنا الروح القدس لا نفقد طبيعتنا الخاصة] (٨).

كذلك فإن أثناسيوس قبل أن يصل بالقارىء إلى المساواة الكاملة للروح القدس في الثالوث مع الآب والإبن، يبدأ أولاً يوضح العلاقة الجوهرية المتساوية في كل شيء بين الروح القدس والكلمة، حتى ينفي قطعياً قول المراطقة أن الإبن خلقه فيقول:

[كما أن الإبن هو في الآب والآب فيه وأنه من جوهر الآب ἴδιος τῆς τοῦ πατρός οὐσίας كذلك فإن الروح القدس هو في الإبن والإبن فيه، ولذلك لا يمكن أن يُقال أن الروح القدس مخلوق أو يوجد منفصلاً عن الكلمة] (٩).

[وكما أن الإبن هو في (من) الآب، لذلك هو من جوهر الآب. كذلك بالتالي فإن الروح القدس لأنه في (من) الله فإنه يتحتم أن يوجد جوهرياً مع الإبن ἴδιος κατ᾽οὐσίαν] (١٠).

[عندما افتقد «الكلمة» العذراء القديسة مريم، دخل الكلمة ومعه الروح القدس إليها = συν—εἰς—ήρχετο وصاغ الكلمة جسده بالروح القدس ἐν τῷ πνεύματι ἔπλαιτε τό σῶμα وشكّله لذاته، إذ أراد أن يوحّد — فيه — كل البشرية (إتحاد) بالله ويحضرها إليه بواسطة نفسه] (إلى سيرابيون ١ : ٣١).

---

(6) Justin, Apol. I, 61; I, 6, 13; Trypho 49, 54, 61.

(7) Origen, In Tir, t. 4, p. 695; cited by Newman, op. cit.

(8) Athanas., De Decr. 14.

(9) Athanas., C. Ar., I, 20, 21.

(10) Ibid., I, 25.

[لا يمكن أن يتجزأ الثالوث ، هذا نراه فيما قيل للقديسة مريم نفسها ، فإن رئيس الملائكة جبرائيل لما أُرسل **لكي يعلن حلول الكلمة عليها** قال : « الروح القدس يحل عليكِ » ، عالماً أن **الروح القدس** قائم في « **الكلمة** » و بعد ذلك مباشرة يقول : « **وقوة العلي تظللك** (**تسكن فيكِ**) » **لأن المسيح هو قوة الله** وحكمة الله] (إلى سيرابيون ٣ : ٦).

[لذلك كم يكون مستحيلاً أن يُقال أن الروح القدس خارج عن أو غريب من الكلمة ἐκτὸς τοῦ λόγου لأنه كونه في الكلمة فهو في الله =

(١١) « ἐν τῷ λόγῳ ὂν ἐν τῷ θεῷ δι᾽αὐτοῦ ἐστιν

[إن الروح القدس هو التعبير الكياني μορφή والصورة εἰκών الموضحة للإبن كما أن الإبن هو التعبير الكياني وصورة الآب] (١٢).

وأثناسيوس يستخلص من هذه العلاقة الجوهرية والمتساوية في كل شيء بين الكلمة والروح القدس رداً مفحماً لجماعة المتقلبين ، الذين يقولون بلاهوت الكلمة و ينكرون لاهوت الروح القدس قائلين أن الكلمة خلقه .

ولكن لا يغيب عن بالنا أن همّ أثناسيوس الأساسي في إثبات لاهوت الروح القدس ليس من صفاته أو علاقته بالكلمة فحسب ، بل ومن عمله في الخليقة القديمة والخليقة الجديدة هكذا :

[« **بينما أن الخليقة كلها هي مجال عمل الروح القدس المتعدد الجوانب ، فإنه يعمل بصورة خاصة جداً وفائقة في المعمدين الذين يوحدهم في الله :**

τῇ τοῦ πνεύματος μετοχῇ συναπτόμεθα τῇ θεότητι

و بسبب هذه الوحدة يصيرون بحالة ما مؤلهين θεοποιοῦνται = deified] (١٣).

(11) Ibid., III, 5.

(12) Ibid., III, 2; IV, 3.

(13) Ibid., III, 24, 25.

(١) التقديس :

[إذن فالروح القدس ، الذي لا يتقدس هو بشيء خارجاً عن نفسه ، ولا يستمد قداسته بالشركة بل هو نفسه ينبوع القداسة **وفيه تتقدس كل الطبائع المخلوقة ،** كيف يمكن أن تكون طبيعته مثل طبيعة المخلوقات التي تتقدس به ؟] (إلى سيرابيون ١ : ٢٣).

(٢) طقس الإنضمام للكنيسة (العضوية في جسد المسيح) :

[لقد أوصى تلاميذه قائلاً : « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن **والروح القدس » ، لكي بالروح القدس وفيه تكمل معرفتنا بالله =** θεολογία **، ويتم طقس الإنضمام للكنيسة (المعمودية والتثبيت معاً) ويكمل اتحادنا بشخصه وبالآب**] (إلى سيرابيون ١ : ٦).

أ ــ الروح القدس لحظة العماد :

[فماذا قبلوا (لما آمنوا) إلا **الروح القدس الذي يُعطى للذين يؤمنون ويُولدون ثانيةً « بغسل الميلاد الثاني »** (تي ٣ : ٥)] (إلى سيرابيون ١ : ٤).

ب ــ الروح القدس لحظة وضع اليد (الميرون = التثبيت) :

[كذلك أيضاً بوضع **أيدي الرسل كان الروح القدس يُعطى لمن ولدوا ثانية**] (إلى سيرابيون ١ : ٦).

[ومتى تم هذا إلا عندما جاء الرب **وجدد كل الأشياء بالنعمة ؟** فروحنا تجددت ... **يقول الله أن روحه هو الذي به تتجدد أرواحنا** ἀνακαινίζω] (إلى سيرابيون ١ : ٩).

(٣) ثم يشير القديس أثناسيوس إلى عمل الروح القدس الأساسي في رسامة الأساقفة في الكنيسة :

[كما قال بولس الرسول « التي **أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه »** (أع ٢٠ : ٢٨)].

(٤) يمتد أثناسيوس بمفهوم قوة التقديس في الثالوث إلى عملها الخاص بالروح القدس ، و يستنتج مباشرة أن الروح القدس من جوهر الثالوث أي اللاهوت لأنه يقدس الإنسان :

[إن الروح القدس يدعى روح القداسة (المسيح هو القدوس ابن الله) ، وأما المخلوقات فهي تحتاج ـ بطبيعتها ـ إلى التقديس ، أما هو فلا ينال القداسة من آخر بالمشاركة بل يمنحها باشتراكه هو مع الخليقة (الجديدة) ، لذلك كيف يمكن أن يُقال أنه يعتبر واحداً من الخليقة ؟] (إلى سيرابيون ١ : ٢٣) .

(٥) كذلك يستخدم أثناسيوس سر قدرة الروح القدس على إعطاء الحياة (المسيح هو الحياة) في إثبات لاهوته :

[إنه يُدعى **الروح المحيي** (و« روح الحياة في المسيح يسوع ») ، لأن منه تنال المخلوقات الحياة ، علماً بأن الإبن هو نفسه **الحياة** و يدعى في الإنجيل **رئيس الحياة** ، فكيف يُحسب الروح القدس ضمن المخلوقات وهو الذي فيه تنال المخلوقات الحياة بواسطة الكلمة ؟] (إلى سيرابيون ١ : ٢٣) .

(٦) وهكذا يرى أثناسيوس أن علاقة الإبن بالروح القدس علاقة (« **الإبن** » ، **وروح البنوة**) ؛ (« **قدوس** » ، **وروح القداسة**) ؛ (« **حياة** » ، **وروح محيي**) . كذلك يراها (« **مسيح** » ، **ومسحة**) ؛ (« **وكلمة** » ، **وختم**) ؛ (« **وطيب** » ، **ورائحة زكية**) :

[لهذا فكما أن الرب يدعى **إبناً** هكذا يدعى الروح القدس **روح البنوة** (روح التبني) ، كذلك أيضاً كما أن الإبن يُدعى « **الحكمة** » و« **الحق** » ، فالروح القدس يُدعى « **روح الحكمة** » و« **روح الحق** » ، وكما أن الإبن هو **قوة الله ومجد الآب** (رب المجد) فالروح القدس يدعى **روح القوة والمجد** :

« لو عرفوا لما صلبوا **رب المجد** » (١ كو٢ : ٨) .

« إذ لم تأخذوا روح العبودية (الناموس) أيضاً للخوف بل أخذتم **روح التبني** » (رو٨ : ٥) .

« أرسل الله **روح إبنه** إلى قلوبكم صارخاً ياأبَّا الآب » (غل ٤ : ٦).

« إن عُيِّرتُم باسم المسيح فطوبى لكم لأن **روح المجد والقوة** يحل عليكم » (١بط ٤ : ١٤).

« **روح الحق، المعزي** » (يو١٤ : ١٦و١٧)] (إلى سيرابيون ١ : ٢٥).

[الروح يدعى **المسحة** Χρίσμα ، و يدعى أيضاً الختم σφράγις ، و به تُختم وتُمسح الخليقة (الجديدة)، **فإن كان الروح هو المسحة وهو الختم الذي به يَمسَح « الكلمة »** الجميع ويختمهم، فأية مشابهة تكون بين المسحة والمخلوق الذي يُمسح، أو بين الختم والمختوم. يستحيل أن يكون الختم من عداد المختومين به أو تكون المسحة من عداد الممسوحين (الختم شيء والمختوم شيء آخر، المسحة شيء والممسوح شيء آخر، هذه قوة الطبيعة الإلهية الواهبة وهذه ضُعف الطبيعة القابلة) إنه الروح الخاص بالكلمة و به يُمسح و يُختم (المعمدون)] (إلى سيرابيون ١ : ٢٣).

(٧) و يؤكد أثناسيوس أن الروح القدس هو روح المسيح الخاص، و يستدل على ذلك من أن الذين يُمسحون به تصير لهم رائحة المسيح الزكية لله والذين يختمون به تنطبع عليهم صورة المسيح الكلمة:

[المسحة Χρίσμα لها نفس رائحة الذي يمسح بها، ولذلك فالذين يقبلون المسحة يقولون « نحن رائحة المسيح الزكية لله »] (إلى سيرابيون ١ : ٢٣).

(٨) [والختم σφράγις يحمل نفس صورة المسيح الذي يختم، ولذلك فالذين يُختمون تصير لهم شركة هذه الصورة، و يتحولون إليها بحسب كلمات الرسول « ياأولادي الذين أتمخض بكم (الميلاد الجديد) إلى أن يتصور المسيح فيكم (بالروح القدس) »] (إلى سيرابيون ١ : ٢٣).

(٩) [وحينما نُختم بالروح القدس نصير شركاء الطبيعة الإلهية (طبيعة الختم والخاتم) بحسب كلمات بطرس الرسول، وهكذا تصبح الخليقة (الجديدة) شريكة الكلمة في الروح القدس] (المرجع السابق).

(١٠) و ينتقل أثناسيوس سريعاً ليصل بالإتحاد الذي يتم بالكلمة في الروح القدس إلى الإتحاد الذي يتم في الثالوث أي الله الواحد .

[وحيث أننا نصير بالروح القدس شركاء المسيح و بالتالي شركاء الله ، يتبرهن من ذلك أن المسحة والختم الذي فينا لا يُحسب أنه من طبيعة الكائنات المخلوقة ، بل من **طبيعة الإبن** الذي بواسطة الروح الذي فيه يوحدنا مع الآب] (إلى سيرابيون ١ : ٢٤) .

(١١) [فإن كان الآب هو الذي يخلق ويجدد الجميع بواسطة الكلمة في الروح ... فإن الروح الذي فيه يخلق الجميع ، كيف يكون هو مخلوقاً ؟

إن قبول مثل هذا الإفتراء يضطرنا أن نقول مثل هذا بالتالي عن الإبن بل وعن الآب نفسه أيضاً] (إلى سيرابيون ١ : ٢٤).

ثانياً : علاقة الروح القدس الجوهرية بالآب والإبن في الثالوث :

[الثالوث كله إله واحد ... ، ولا موضع فيه لشيء غريب عن الله] (سيرابيون ١ : ١٧).

[هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة ، لأن الرب أسسها في الثالوث وأصَّلها فيه عندما قال لتلاميذه « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس] (إلى سيرابيون ٣ : ٦) .

يبتدىء أثناسيوس ليثبت وحدة الروح القدس مع الآب والإبن ، معتمداً كلية على الكتاب المقدس مقدماً الآيات تلو الآيات ، معتبراً أن إعلان الله في الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد لفهم ماهية الروح القدس ، مؤكداً إن وحدة الأقانيم الثلاثة هي وحدة جوهر ثم وحدة في صفات وفي أعمال ، فكل ما يعمله الروح القدس إنما يعمله من خلال وحدته بالآب والإبن .

فهو يعتمد على بولس الرسول مثلاً في قوله : إننا في الروح القدس تستنير عيوننا (أف ١ : ١٧ و١٨) وإننا جميعاً سُقينا روحاً واحداً (١ كو١٢ : ١٣) . ثم يطبق ذلك

على ما جاء عن الآب فيقول إن الكتاب المقدس يقول إن الآب نور و ينبوع ، وكذلك الإبن أيضاً الذي يتصل بالآب كما يتصل النهر بالينبوع أو الشعاع بالنور (عب ١) .

[وحيث أن الآب نور والإبن بهاء هذا النور ، فنحن في الإبن ننال الروح الذي به نستنير ، وحينما نستنير بالروح القدس يكون المسيح نفسه هو الذي ينير علينا لأنه هو النور الذي يضيء لكل إنسان آتٍ إلى العالم .

وبالمثل من حيث أن الآب هو الينبوع ، والإبن كنهر يُقال أننا **نشرب الروح** ... ، وحينما **نشرب الروح** فنحن في الواقع **نشرب من المسيح** ، لأنه هكذا قيل عن شعب إسرائيل في البرية إذ كانوا يشربون من **صخرة روحية** كانت تتبعهم **والصخرة** كانت المسيح] (إلى سيرابيون ١ : ١٩).

ومن نفس هذه الوحدة بين الأقانيم الثلاثة نحن نقبل روح التبني :

[حيث أن المسيح هو الإبن الحقيقي (بالجوهر) ، فنحن **حينما نقبل الروح القدس نصير أبناءً « بالروح »** ولكن حينما نصير أبناء ، فمن الواضح أن ذلك **يتم في « المسيح »** ، **لذلك ندعى أبناء « لله »** (بالتبني)] (سيرابيون ص ١١٩ ؛ ضد الأريوسية ٣ : ١٩).

ثم من نفس هذه الوحدة في الثالوث نتقبل روح الحكمة .

[حيث أن الإبن هو حكمة الله فنحن حينما نقبل روح الحكمة ، فنحن نقبل في الحقيقة الإبن الذي به نصير حكماء] (نفس المرجع السابق).

ثم بنفس هذه الوحدة في الثالوث يصير حلول الأقنوم الواحد ، أي الروح القدس ، لا بمعنى أنه يكون بديلاً عن الإبن أو الآب بل أننا به نحقق حلول الآب والإبن :

[« إن أحببنا بعضنا بعضاً ، فالله يثبت فينا . بهذا نعرف **أننا نثبت فيه** وهو فينا أنه **أعطانا من روحه »** . وحيث أن الله يثبت فينا ، فالإبن أيضاً يكون فينا ، لأنه هو نفسه يقول ذلك « إليه نأتي ــ أنا وأبي ــ وعنده نصنع منزلاً »] (نفس المرجع السابق).

هكذا نرى أن جميع الأعمال المنسوبة للروح القدس تكون في الواقع هي أعمال المسيح نفسه :

[كل ما كان الإبن يعمله ، كان يقول إن الآب الحالّ فيه هو الذي يعمله . وهكذا على هذا النمط كل ما كان بولس الرسول يعمله بالروح كان يدعوه عمل المسيح فيه] (نفس المرجع السابق).

ومن ذلك يخرج أثناسيوس بالنتيجة الآتية :

[فحيث أن الثالوث المقدس يمتاز بمثل هذه الوحدة وهذا الإتحاد ، فمن ذا يستطيع أن يفصل الإبن عن الآب أو الروح القدس عن كل من الآب والإبن ؟ ومن ذا يجسر أن يتكلم عن اختلاف أو مفارقة في طبيعة الثالوث كأن يقول أن الإبن من جوهر مخالف لجوهر الآب أو أن الروح القدس غريب عن الإبن ؟] (سيرابيون ١ : ٢٠).

هكذا يصل أثناسيوس إلى الحقيقة أن وحدة الروح القدس بكل من الآب والإبن هي من نفس نوع الوحدة الكائنة بين الآب والإبن ، أي وحدة الجوهر والطبيعة . وهكذا يفحم أثناسيوس المعترضين على لاهوت الروح القدس بنفس برهان التحدي الذي قدمه مراراً للأريوسيين ، أن الأحرى بهم أن يفصلوا الشعاع من النور أو الحكمة من الحكيم إن أرادوا أن يفصلوا الروح القدس عن الآب والإبن(١٤).

[يقولون ــ مستنكرين ــ كيف بمجرد أن يكون الروح القدس فينا يُقال أن الإبن أيضاً فينا ؟ أو حينما يكون الإبن فينا يكون الآب أيضاً فينا ؟ ــ ثم يستطردون : إن كانَ الثالوث حقاً من ثلاثة أقانيم ، فكيف يكون وجود الواحد منهم كافياً لوجود الثالوث كله ؟ إن من يتساءل مثل هذه الأسئلة فالأحرى به أن يفصل الشعاع من النور أو الحكمة من الحكيم !!] (إلى سيرابيون ١ : ٢٠).

[كما أن الإبن حالٌ في الروح القدس كما في صورته الخاصة هكذا الآب حالٌ

---

(14) Athanas., C. Ar., I. 29; II 31; III. 4, 6, 15; De Syn.: 52.

في الإبن] (نفس المرجع السابق).

و يوضح أثناسيوس هذه التعبيرات الخاصة بالعلاقة بين الأقانيم قائلاً :
[إن الكتاب المقدس يستخدم مفاهيم الصورة والشعاع والنور والينبوع والنهر... إلخ لكي يسهِّل علينا التعبير عن هذه الحقائق الفائقة ، ولكي نؤمن أنه لا يوجد إلا تقديس واحد للنفس **وهو الذي يأتي من الآب بالإبن في الروح القدس =**

[ἕνα εἶναι τόν ἁγιασμόν, τόν ἐκ πατρός δι᾽υἱοῦ ἐν πνεύματι ἁγίῳ γενόμενον]

وهذا الإصطلاح يعتبر تلخيصاً سهلاً لكل ما أجاب به أثناسيوس على استنكارات المنكرين لوحدة الأقانيم معاً مع احتفاظ كل أقنوم بمميزاته الشخصية ، لأن وحدة القوة المقدسة في الثالوث هي التي تفسر لنا أنه بمجرد حلول أحد الأقانيم الثلاثة ، يقال في الحال أن الثالوث كله يكون موجوداً :

[لكي نعتقد أن هناك قداسة واحدة مستمدة من الآب بالإبن في الروح القدس ، وكما أن الإبن مولود وحيد الجنس ، هكذا فإن الروح القدس واحد وغير متعدد ، ليس واحداً من كثير (المواهب المتعددة التي له) ، بل روح وحيد . وكما أن الإبن الكلمة الحي وحيد هكذا ينبغي أن يكون (روح الإبن) القوة الحية والعطية ، الذي به يقدس و ينير، ينبغي أن يكون وحيداً كاملاً تاماً ، وهو الذي قيل أنه ينبعث من الآب ، لأنه من الكلمة المعترف أنه من الآب ، وهو الذي قيل أنه يشرق و يرسل و يعطي ـــ وكما أن الإبن أُرسل من الآب ، كذلك الإبن يُرسِل الروح القدس « إن ذهبت أُرسل الباراكليت »]
(إلى سيرابيون ١ : ٢٠).

[**ووحدة الثالوث** كاملة ، **لأن الآب يصنع كل شيء بواسطة الإبن في الروح القدس**] (إلى سيرابيون ١ : ٢٨).

وهنا نستطيع أن نفهم سر إصرار بولس الرسول حينما يتكلم عن مواهب الروح القدس كيف يرجع كل شيء إلى الله الآب (١ كو١٢ : ٦) وهذا يأخذه أثناسيوس

و يشرحه :

[فما يقسمه الروح لكل واحد ، يكون الآب هو الذي يمنحه بواسطة الكلمة ، لأن كل ما للآب هو للإبن ، وبالتالي فالمواهب التي يمنحها الإبن في الروح القدس هي أصلاً مواهب الآب] (إلى سيرابيون ١ : ٣٠) .

ثم إن هذه الوحدة الكائنة بسبب التساوي المطلق في الثالوث ــ وحدانية الله ــ هي التي تفسر لنا العمل الواحد والتواجد المشترك للأقانيم فينا :

[حينما يكون الروح فينا يكون الكلمة ــ الذي يمنح الروح ــ هو أيضاً فينا وفي الكلمة يكون الآب نفسه] .

هكذا يؤكد القديس أثناسيوس أن الأقانيم الثلاثة متلازمون ، ولا يمكن الفصل بينهم كما لا يمكن الفصل بين النور والشعاع أو بين الشعاع وقوته ...

وهنا يكمن سر البركة المتلازمة العمل والفاعلية للثالوث التي يصر عليها بولس الرسول : « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم » .

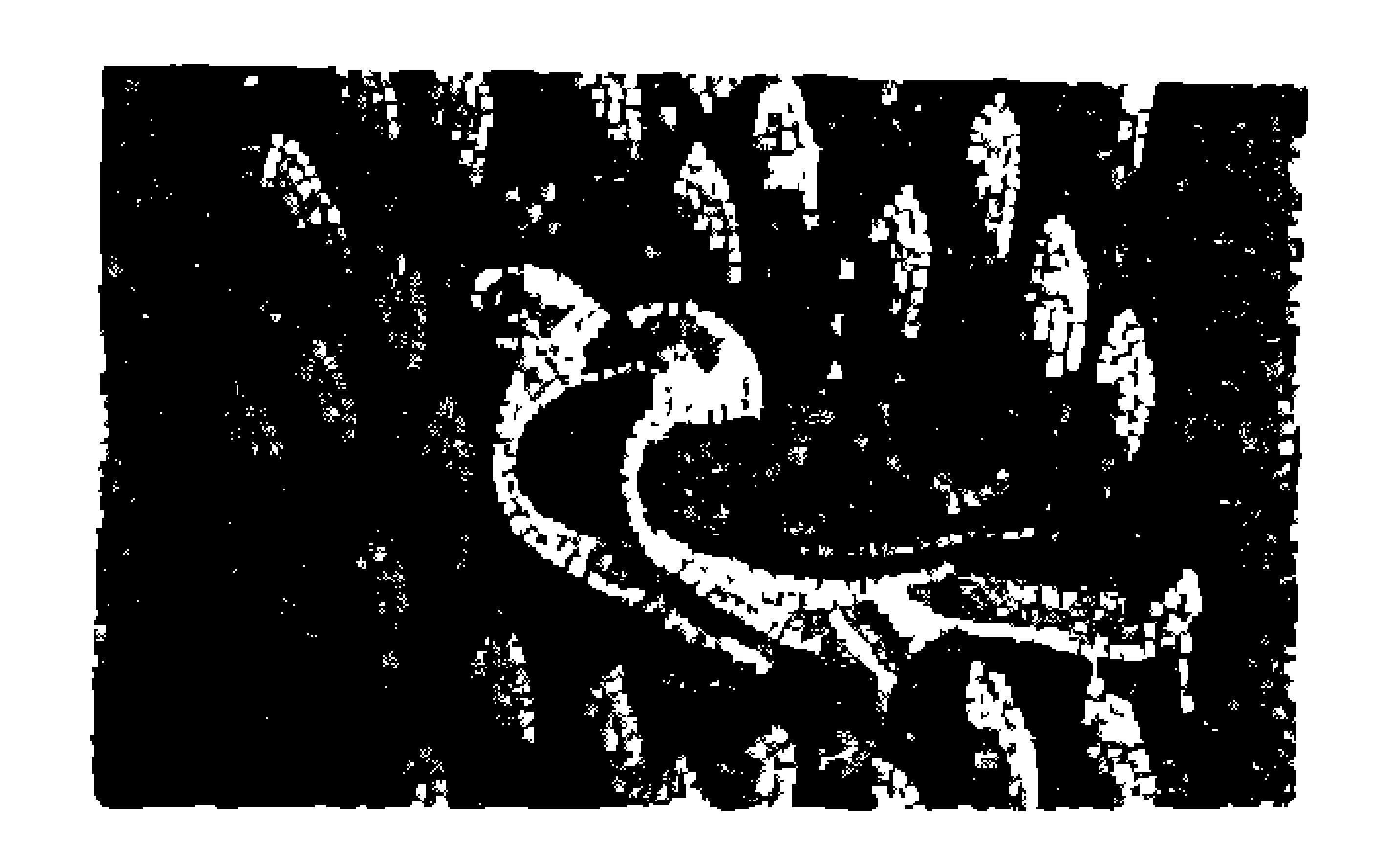
[إن النعمة التي يمنحها الثالوث هي بالضرورة من الآب بواسطة الإبن في الروح القدس . فكما أن النعمة تأتي من الآب بواسطة الإبن ، هكذا أيضاً لا يمكننا أن ننال شركة فيها إلا في الروح القدس ، فحينما ننال شركة الروح تكون لنا بالتالي محبة الآب ونعمة الإبن] (إلى سيرابيون ١ : ٣٠) .

[ومن هذا يظهر أن عمل الثالوث واحد فالمواهب التي يتكلم عنها الرسول لا يقول عنها أنها تُعطى من كل واحد من الأقانيم الثلاثة على حدة ، بل يقول أنها **معطاة في الثالوث ، وأن جميعها من الله الواحد ... فالروح القدس إذن ، وهو متحد بالإبن ، لا يوجد شيء يعمله الإبن إلا و يكون معمولاً في الروح . كما أن الإبن وهو متحد بالآب يصنع كل ما يصنعه الآب ، فالروح إذن غير منفصل عن الإبن ، حتى أنه حينما تتم كلمة الرب** « وإليه نأتي ــ أنا وأبي وعنده نصنع منزلاً » يكون الروح معهما بالضرورة يأتي و يسكن

فينا كما يسكن الإبن تماماً] (إلى سيرابيون ١ : ٣١).

وهكذا فإن القديس أثناسيوس ، في معرض دفاعه عن لاهوت الروح القدس ، يكون قد استوفى أصعب وأدق موضوع وهو علاقة الأقانيم معاً ــ وخاصة الروح القدس في الثالوث ــ وفي نفس الوقت يكون قد استوفى أيضاً عمل الروح القدس فينا من داخل الثالوث .

وهو في ذلك بينما يقدم تعاليمه كرجل لاهوت ، لا يفوِّت علينا قط أن نلمح أنه إنما يشرح خبرته الروحية العميقة وعقيدته الإيمانية التي يعيش بها خلاصه وحياته الأبدية ...



مسحة المسيح بالروح القدس وقت العماد
والنعمة التي نلناها من هذه المسحة

لقد تطرق أثناسيوس إلى هذا الموضوع لينفي عن « الإبن » احتمال قبوله للروح القدس ، موضحاً أن الإبن لم يقبل الروح القدس لأن الروح القدس قائم في الإبن والإبن قائم في الروح القدس ، لأن جوهر الإبن والروح القدس واحد . فالروح القدس والإبن هما واحد — مع الآب — لاهوتياً ؛ أي بحسب الكيان الإلهي الذاتي الواحد . **ولكن الروح القدس حلَّ على الجسد بملء اللاهوت ، لكي نأخذ من هذا الملء إذا اتحدنا بالجسد** ، وأثناسيوس يقول بوضوح إن هذه المسحة إنما هي لنا ، وليست للإبن ، **والإبن لم يتقدس من آخر بل هو الذي قدس ذاته (الجسد) :**

[وإن ما قالته المزامير (الأشعار) المقدسة ، توضح المعنى « **الأرثوذكسي** » الذي يحرفه الأريوسيون ، مع أنه واضح بكل تقوى لدى صاحب المزامير فهو يقول :

— « **عرشك ياالله إلى دهر الدهور، قضيب البر هو قضيب مُلكك** ، لقد أحببت البر وأبغضت الإثم ، **لذلك فالله وهو إلهك قد مسحك** بزيت البهجة أعلى من (شركائك) رفقائك » (مز ٤٤ : ٧ ، ٨) .

انظروا أيها الأريوسيون واعرفوا الحق ، **فالمرنم يتكلم عنا نحن كرفقاء أو شركاء للرب** ، ولكن لو كان المسيح (الإبن) هو واحد من المخلوقات التي جاءت من العدم (كما يقول الأريوسيون) ، لكان يُحسب واحداً من هؤلاء الرفقاء أو الشركاء ، ولكن المزمور يُسبِّح له أنه هو الله الأبدي « عرشك ياالله إلى دهر الدهور» ، وأن كل المخلوقات تأخذ منه وتشترك فيه ، فماذا نستخلص من هذا في النهاية ، غير أنه متميز بوضوح عن المخلوقات جميعاً ، لأنه هو كلمة الآب الحق وبهاؤه وحكمته ، الذي منه تأخذ وتشترك **كافة الخليقة التي تتقدس به في الروح القدس** . لذلك يقول هنا أنه « مُسح » ، لا ليصير إلهاً

لأنـه هـو إلـه حـقـاً مـن قبل ، ولا لكي يصير ملكاً ، لأن له الملكوت منذ الأزل بـاعـتـبـاره صـورة الله ــ كما تـقول الأسفار المقدسة ــ ولكن هذا إنما كُتب من أجلنا نحن ، لأن ملوك اسرائيل عندما كانوا يُمسحون يصيرون ملوكاً ، كونهم لم يـكونوا ملوكاً سابقاً كداود وحزقيا و يوشيا والباقين ، أما فيما يخص **المخلِّص فهو** على الـنـقـيض من ذلك فإنه **وهو إله وملك قائم على ملكوت الآب** وهو أيضاً الذي **يَمنح الروح القدس** ، يقول المزمور ــ بالرغم من ذلك ــ أنه « مُسح » ، على أسـاس أنـه صـار إنـسـانـاً . **فهو على هذا الإعتبار مُسح بالروح القدس لـكـي يمدَّنا نحن البشر ليس فقط بالقيامة والرفعة إلى الأعالي (معه) ، بل وبسكنى الروح القدس والأُلفة والمودة معه .**

علماً بأن الرب قال من فمه في الإنجيل « لقد أرسلتهم إلى العالم ومن أجلهم أنـا أقدس ذاتي حتى يتقدسوا في الحق » (يو١٧ : ١٨ ، ١٩) ، و بقوله هذا يكون قد أوضح **أنه لم يتقدس من آخر ، بل هو الذي يقدس نفسه (الجسد) حتى نتقدس نحن في « الحق »** .

والذي قدس نفسه هو هو إله التقديس والقداسة ، ولكن كيف حدث هذا وما معناه ؟ :

(أنا كوني كلمة الآب ــ وقد صرت إنساناً أُعطي لنفسي الروح القدس ، **فـأنـا إذ صـرت إنـسـانـاً فكإنسان أتقدس فيه (أي في الكلمة) ، حتى فيَّ ــ وأنا أيضاً الحق ــ يتقدس الجميع !!** « كلمتك هو الحق ») .

فإن كان قد قدس نفسه من أجلنا ، وهذا صنعه لما صار إنساناً ، فإنه يكون مـن الـواضـح **أن حـلـول الروح القدس عليه في الأردن كان حلولاً علينا ، لأنـه كان حاملاً جسدنا ، وهذا كله حدث ــ في الأردن ــ ليس لحساب الـكـلمة ، ولكن من أجل تقديسنا ، حتى يتسنى لنا أن نشترك في مسحته .** وحـيـنـئـذ يـصـح فـيـنـا القول « ألا تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله ساكن فيكم » (١ كو٣ : ١٦) .

لأن الرب عندما اغتسل في الأردن ــ كإنسان ــ فالذي اغتسل هو نحن الذين اغتسلنا فيه وبه، وحينما تقبَّل الروح القدس فنحن الذين تقبَّلنا به الروح.

ولكن، وأكثر من ذلك، فإنه لم يُمسح بالزيت كهارون أو داود أو الباقين، وإنما بطريقة أخرى **أعلى** من رفقائه (رفقائه في الكهنوت والملوكية)، «بزيت البهجة» الذي يشرحه المسيح نفسه بأنه الروح القدس قائلاً بفم النبي: **«روح الرب عليَّ لأن الرب مسحني»** (أش ٦١: ١)، وكما قال الرسول أيضاً: **«كيف مسحه الله بالروح القدس»** (أع ١٠: ٣٨). ثم متى قيل هذا عنه إلا عندما جاء في الجسد واعتمد في الأردن وحلَّ عليه الروح؟

والحقيقة أن الرب نفسه قال: «إن الروح سيأخذ مما لي»، «وأنا سأرسله»، كما قال لتلاميذه: «إقبلوا الروح القدس»، ولكن وبالرغم من هذا ومن كونه هو «**الكلمة**» و«**بهاء الآب**» والمُعطِي الروح للآخرين يُقال إنه يتقدس «من أجلهم **أقدس أنا ذاتي**»، وما ذلك إلا لأنه صار بشراً، **وأن الجسد الذي يقدسه هو جسده حتى أننا نحن منه ابتدأنا نأخذ المسحة والختم، كما يقول يوحنا: «وأنتم لكم مسحة من القدوس» والرسول يقول: «وقد خُتمتم بروح الموعد القدوس».**

لذلك فمن أجلنا وبسببنا قيلت هذه الأقوال، أو ما هو الترقي والتقدم أو الفضيلة التي صارت، أو حتى السلوك الذي ظهر، كنتيجة لحصول الرب على هذه (المسحة)؟ لأنه إن لم يكن أصلاً إلهاً وصار إلهاً أو إن لم يكن ملكاً وتزكى ليكون ملكاً، لكانت تصبح مجادلاتكم مقبولة شكلاً، ولكن إن كان هو إلهاً وإن كان قضيب ملكه دائماً أزلياً، فبأي حال من الأحوال يمكن أن يُقال أن الله ترقىَّ أو تقدم (بنواله المسحة)؟ أو ما هو الذي كان يعوزه ذلك الذي هو جالس بالفعل على عرش مملكة أبيه؟

فإن كان الرب نفسه هو الذي قال إن الروح القدس هو له خاصة، وأن

هـذا الـروح يـأخـذ مـنه ، وأنه هو الذي يرسله ، إذن فلا يمكن أن يكون الكلمة ككلمة وحكمة هو الذي مُسح بالروح ، لأنه هو الذي يعطيه ، بل **الجسد الذي اتخذه الـرب لـنـفـسـه هـو الذي مُسح فيه وبه لكي التقديس الذي صار للـرب كـإنـسـان ينتقل منه لكل الناس ، والمسيح يقول أنه ليس من نفسه يتكلم الروح إنما « الكلمة » هو الذي يُعطي الروح للمستحق !**

وهـذا يـطـابق ما قاله الرسول « الذي إذ كان في صورة الله (وهو كائن في هـيـئـة الله) لم يحسب خلسة (لم يعتبره امتيازاً) أن يكون معادلاً لله (أن يكون مـتـساو ياً مع الله) ، لكنه أخلى نفسه وأخذ صورة (هيئة) عبد » . هكذا أيضاً يخدم داود الرب (بالتسبيح) معتبراً إياه الإله والملك الأزلي .

لـكـنـه أُرسل إلينا وأخذ جسدنا المائت ، وهذا هو المعنى في المزمور « رائحة ثـيابك لها عطر المر والصبر والكاسيا (السليخة) » (إشارة إلى الجسد المائت) . وهـذا مـا اتـضح بواسطة نيقوديموس ومريم ومن معها من النسوة حينما جاء الأول حـامـلاً مـزيجـاً مـن المـر والـصبر نحو مئة رطل والأُخر يات الحنوط التيّ حضّرنها لدفن جسد الرب .

والآن مـا هـو الإمـتـيـاز الذي صار لغير المائت (بطبيعته) حينما أخذ لنفسه (الجـسـد) المـائـت ؟ أو مـا هـو الـتقدم والترقي الذي صار للأبدي حينما لبس (الجسد) الزمني ؟ نعم ، ما هو العوض أو المكافأة التي نالها الإله والملك الأزلي الـكائن في حضن أبيه من هذه المسحة ؟ **ألا ترون إذن أن هذه (المسحة على الأردن مـن الـروح الـقـدس) إنما صـارت وكُـتـب عنها « لنا ومن أجلنا نحـن » ، حتى يُـحـضـرنـا الرب نحن الزمنيين والمائتين إلى ملكوته السمائي الأبدي ؟**

لأنـه حينما أتى الـرب يـسـوع المسيح إلينا وصار في وسطنا ، حصل لنا نحن الإمـتـيـاز والـترقي ، إذ قـد أُنقذنا من الخطيئة ، أما هو فبقى كما هو ولم يتغير قط عـنـدمـا صـار بـشـراً ، بـل كما كُـتـب : « إن كـلـمـة الله = λόγος تـثبت

(تسكن) إلى الأبد » (أش ٤٠ : ٨ ، الترجمة السبعينية) .

و بكل تأكيد ، فإن « الكلمة » وقبل أن يصير إنساناً (أي في العهد القديم) منح القديسين روحه باعتباره له خاصة ، كما منحه بعد أن صار إنساناً ليقدس الجميع بالروح فيقول لتلاميذه « إقبلوا الروح القدس » . وكما أعطى موسى والسبعين الآخرين . وداود أيضاً ــ من خلال الإبن (الكلمة) ــ يصلي إلى الآب قائلاً : « روحك القدوس لا تنزعه مني » ! فبالمقابل نجده بعد أن تأنس قال « سأرسل لكم المعزي روح الحق » ، وقد أرسله بالفعل ــ وهو الكلمة ــ لأنه صادق .

لذلك فيسوع المسيح « هو أمس واليوم وإلى الأبد » باقٍ غير متغير ، وفي نفس الوقت و بآن واحد يُعطي (المسحة) و يأخذ (المسحة) ، يُعطي باعتباره « **كلمة الله** » ، و يأخذ كإنسان . فليس الكلمة إذن الذي يُرى كأنه نال امتيازاً (بالمسحة) ، لأنه ككلمة له كل شيء وكل شيء له دائماً ، ولكن البشر هم الذين يأخذون أصلهم ــ ἀρχή ــ منه وفيه .

إذن فحينما يُقال الآن إنه نال المسحة ــ كإنسان ــ فنحن الذين فيه نكون قد مُسحنا ، حيث أيضاً حينما اعتمد فنحن أيضاً الذين اعتمدنا فيه. والرب والمخلِّص يعطي ضوءاً كثيراً على كل هذا حينما يقول للآب : « والمجد الذي **أعطيتني أعطيتهم** حتى يصيروا واحداً كما أننا نحن واحد» (يو١٧ : ٢٢).

ولذلك حينما طلب هو المجد لنفسه يكون قد طلبه لنا ، وكذلك كل ما قيل عن كونه « أخذ » و« أعطى » و« ارتفع إلى الأعالي » ؛ حتى فيه « نأخذ » نحن و« نُعطى » و« نرتفع » ، لأنه أيضاً لأجلنا قال إنه يقدس ذاته حتى نتقدس فيه(*) .

(*) هنا في الحقيقة ينقل لنا أثناسيوس ــ بحسب التقليد الرسولي ــ مبدءاً آبائياً ضخماً ومدروساً ، يقوم على =

ولكن الأريوسيين حينا يحاولون الإنتفاع — في غشهم — من كلمة « هذا » [« هذا مسحك الله إلهك »] (وكأنها مكافأة) ، لخدمة أغراضهم ، فينبغي على هؤلاء المبتدئين في فهم الأسفار المقدسة والأساتذة المتعقين في

= أساس أن الرب قد تفضل وتنازل ليكون وساطة سببية **مباشرة لإعطاء حياة لكل فرد مسيحي .**

ومبدأ أثناسيوس هنا يمكن مهاجمته لأول وهلة ، إذ يكون السؤال هو أية علاقة يمكن أن تقوم بين تقديس المسيح لبشريته و بين تقديسنا نحن ؟ إذ كيف يمكن أن يُفهم أن الطبيعة البشرية تتقدس عندما يتقدس نموذج لها أو عيِّنة ممتازة منها في المسيح ؟

يرد على هذا السؤال يوحنا ذهبي الفم :

[إنه لم يكن إرضاءً لنفسه أن يصير إنساناً ولا أن يتألم بضرب السياط ولا أن يقدم ذاته ذبيحة ، **وإنما قصده أن يحتوينا في نفسه** ἀναφύρει ἐν αὐτῷ ἡμῖν **ليس بمجرد الإيمان وحسب ، وإنما « بالحق وبالفعل » إذ صيَّرنا جسده**]. John Chrysostom, Hom. in Matt LXXXII. 5

وأيضاً يقول ذهبي الفم في موضع آخر :

[إننا قد امتزجنا ἀνακερασθῶμεν في هذا الجسد ليس بواسطة مجرد المحبة ، **وإنما « بالحق والفعل » . هذا تم لنا بواسطة الطعام (الجسد والدم) الذي تفضل به علينا**].

Ibid., Hom. in John. 46. 3.

وكذلك يكتب القديس كيرلس الكبير ضد نسطور :

[**وإذ قد برهنَّا أن المسيح هو الكرمة ، وأننا نحن الأغصان المتحدون به بالإشتراك فيه ، ليس على مجرد المستوى الروحي — وحسب — وإنما جسدياً** ، فلماذا هذا — نسطور — يشوش علينا عبثاً قائلاً : بما أننا نلتصق به ليس جسدياً بل بالإيمان فقط و بعاطفة المحبة بحسب الناموس ، لذلك فإنه ليس جسده الذي يدعوه الكرمة وإنما لاهوته].

St. Cyril, in Johann., Lib, 10, cap 2, cited by N.&P.N F., vol. IV, p. 333.

وهنا يلاحظ أن الآباء جميعاً لا يقصدون بالإتحاد بالكرمة الإمتزاج المادي بين مادة جسده و بين مادة أجسادنا ، ولكن الإمتزاج والشركة هما مع قوة وتأثير وفعل الحياة الإلهية التي في جسده والموت والضعف والخطيئة التي في أجسادنا ، بحيث أن الحياة التي في جسده (ودمه) تسري في أجسادنا (الميتة) ، فتحييها بالسر المقدس وتلحمها وتثبتها في جسده .

كما يقول بولس الرسول :

— « **كذلك المسيح أيضاً ، لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد ... وجميعنا سُقينا روحاً واحداً (عصير الكرمة)** » (١ كو١٢ : ١٣) .

— « **كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح ، الخبز الذي نكسره أليس هو شركة** =

الكفر ــ أن يعرفوا أن كلمة « لهذا » لا تتضمن معنى المكافأة من أجل الفضيلة أو السلوك في حياة الكلمة ، بل تحمل ضمناً السبب الذي من أجله نزل إلينا ، ومسحة الروح التي تمت فيه من أجلنا .

= جسد المسيح . فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد ، لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد » (١ كو ١٠ : ١٦ ، ١٧) .
ــ « وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً » (١ كو ١٢ : ١٧) .

وبهذين السرين المقدسين (المعمودية والتناول) لا يصير مانع من الإمتزاج والشركة الحقيقية والفعلية بالروح القدس في جسده ، وإنما على مستوى السر غير المنظور ، حتى أننا نُحسب بالحق الآن أعضاءً من جسده = « من لحمه وعظامه » (أف ٥ : ٣٠) ، على مستوى القيامة وعلى مستوى لبس الفاسدِ عدمَ الفساد والمائتِ عدمَ الموت ، بل ونصير بالنهاية حسب قول بولس الرسول « صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل ، ... لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح ، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة إبن الله ، إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح ... صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح الذي منه ,, كل الجسد مركباً معاً ،، ومقترناً بمؤازرة الذي يعمل بحسب قياس كل جزءٍ ، يحصِّل نمو الجسد لبنيانه في المحبة » (أفسس ٤) .

و يقول في ذلك القديس أثناسيوس :

[حيث أيضاً حينما وُلد الجسد من مريم والدة الإله (ثيئوتوكس) ، قيل وهو « الكلمة » أنه « وُلد » مع أنه هو الذي يمنح الآخرين أصل وجودهم ؛ وهذا تم لكي يحوِّل أصلنا إلى نفسه ونصير نحن بعد ذلك لا من مجرد تراب ، بل ملتحمين بالكلمة السمائي (كالأغصان بالكرمة) لكي نُحمل إلى السماء بواسطته] .

[لذلك فنحن لا نموت بعد بحسب أصلنا السابق في آدم ، بل من الآن وصاعداً فإن أصلنا وضعفنا الجسديين إذ قد تحول إلى « الكلمة » نقوم من الأرض ، ولعنة الخطية تُرفع عنا بسبب وجوده هو فينا ، ذاك الذي صار لعنة من أجلنا . وهذا له علة ، لأنه كما أننا جميعاً من الأرض ونموت في آدم ، هكذا وُلدنا ثانية من فوق ، من الماء والروح في المسيح ، وهكذا نحيا ، لأن الجسد ليس هو بعد أرضياً بل صار « كلمة » (لوغس) λογωθείσης τῆς σαρκός بسبب « كلمة » الله الذي من أجلنا صار جسداً] . Athanas., C Ar., III 33.

وهذا الكلام بالرغم من صعوبته وخطورته اللاهوتية ، إلا أنه يصبح مفهوماً وسهلاً إذا عدنا إلى مثل المسيح الذي قاله عن علاقتنا به وما صرنا إليه بواسطته في مثل الكرمة والأغصان ، حينما قال إنه هو الكرمة ونحن الأغصان ، ثم ماذا تُحسب الأغصان إلا كرمة ؟

هـذا هـو سر كـلـمـة « **هذا** » التي جاءت في المزمور، لأنه لم يقل المزمور: « هـذا مـسـحـك الله إلهـك لـكـي تصير إلهاً أو ملكاً أو إبناً أو كلمةً » ، لأنه هو كـذلـك قـبل ذلك وهو كائن كذلك إلى الأبد . وإنما معنى المزمور: [**لأنك إله وملك هذا مُسحتَ ، لأنـه لـيـس أحـد آخـر سواك يمكـن أن يـوحِّـد — unite — الإنسان بالروح القدس ، ولأنك أنت صورة الآب والذي فيك خُلقنا منذ البدء وأنت الذي له الروح القدس**] لأن طبيعة المخلوقات يستحيل عليها أن تتكفل بعمل مثل هذا ،

فالملائكة تعدّوا = ἀγγέλων μὲν παράντων,

والبشر عصوا = ἀνθρώπων δὲ παρακουσάντων

لذلك أصبحت الحاجة الوحيدة إلى الله ، و« الكلمة » هو هو الله .

فـالذين وقعوا تحت اللعنة يأتي هو بنفسه ليطلق سراحهم ، ... فكما أننا أتينا إلى الـوجـود جمـيـعاً بواسطته ، كذلك أيضاً الآن ، فيه ، يمكن للجميع أن يُفتدوا من خطاياهم و به يتدبر الكل .

وهـذا هـو الـسـبـب في المسحة التي تمت فيه ، والتي سبق صاحب المزامير فـرآهـا وحيّاها ، حينما رأى أولاً لاهوته وملكوته اللذين له مع الآب : « عرشك يـا**الله** إلى دهـر الـدهـور قـضـيـب البر هو قضيب **ملكوتك** » . ثم بعد ذلك يعلن نزوله إلينا ، « **هذا مسحك** الله إلهك بز يت الإبتهاج أعلى من شركائك » .

فـمـا الـذي يـستحق الإستغراب من هذا ، أو ما هو الداعي هنا لعدم الإيمان إن كـان الـرب الـذي يعطي الروح القدس يقال هنا عنه أنه « مُسِحَ » بالروح القدس ، في حين أنه لم يرفض — من جهة بشر يته — أن يدعو نفسه أنه أقل من الروح القدس ؟

لأنـه حـينما كـان يخـرج الـشـيـاطين وقـال اليهـود عـنـه أنه ببعلز بول يخرج الـشـيـاطين ، رد عليهم لكي يكشف تجديفهم قائلاً : « إني بروح الرب أُخرج الـشـيـاطين » . فـانـظـروا هـنـا كـيـف أن الذي يعطي الروح القدس يقول إنه

بـالـروح يُخـرج الـشياطين ، وهذا لم يقُله إلا بسبب جسده ! ... لأنه بسبب أن الـطـبيعة البشرية ليست قادرة من **ذاتها** ــ أو بمفردها ــ على إخراج الشياطين بـل بـقـوة الـروح فـقـط ، لذلك قال كإنسان : « ولكن إن **كنت أنا** بروح الله أخرج الشياطين » (مت ١٢ : ٢٨) .

وهنا في الحقيقة يعني المسيح أيضاً أن التجديف من نحو الروح القدس هو أكبر من التجديف تجاه بشريته ، عندما قال « إن من قال كلمة على **إبن الإنسان** يُغفر له ، وأما من قال على الروح القدس فلن يُغفر له لا في هذا العالم ولا في الـدهـر الآتي » (مـت ١٢ : ٣٢) ، (لأن الواقفين كانوا يدركون بشريته فقط ، مثل الذين قالوا « أليس هذا إبن النجار ؟ » (مت ١٣ : ٥٥)) .

ولكن الذين يجدِّفون على الروح القدس وينسبون أعمال « الكلمة » (وليـس إبـن الإنـسـان) إلى الـشيـطـان ، فهؤلاء حتماً سينالون عقوبة . (أثـنـاسـيـوس يشرح ذلك بدقة وبتوسع في الرسالة الرابعة لسيرابيون) . هذا ما قـاله الرب لليهود بصفته إنساناً ، ولكنه أعلن لاهوته جهاراً لتلاميذه مُظهراً مجده ــ كـكلمة ــ مشدِّداً أنه ، على هذا المستوى ، ليس أقل من الروح القدس ، بل مـسـاوياً له حينما أعطاهم الروح القدس قائلاً : « اقبلوا الروح القدس » ، كما قال : « إني أرسله » ، و« إنه سيمجدني » ، و« إن كل ما يسمعه يتكلم به » .

وهـنـا أيـضـاً فـالـرب الـذي يعطي الروح القدس لا يمتنع عن أن يقول إنه بـالروح يخرج الشياطين كإنسان ، كذلك وهو الذي يعطي الروح القدس أيضاً لم يمـتـنع أن يقول : « روح الرب عليَّ لأنه مسحني » (إش ٦١ : ١) ، باعتبار أنه قـد صـار جـسـداً ، كما قال يوحنا ، حتى يتضح من هذين الموقفين الخاصين **أننا نحن الـذيـن نحـتـاج نـعـمـة الـروح في تقديسنا وأننا أيضاً غير قادرين على إخراج الشياطين بدون قوة الروح .**

فـبـواسطة من ؟ ومِمَّن يليق أن يُعطى الروح إلا بواسطة الإبن الذي الروح

هو له خاصة ؟

ومتى استطعنا أن نتقبله ونأخذه إلا بعد أن صار الكلمة إنساناً ؟

وكما يقول الرسول إننا لم نكن لنُقتدى أو نرتفع إلى الأعالي إن لم يكن هذا الذي هو صورة الله قد اتخذ صورة عبد !

هذا أيضاً ما أوضحه داود ، أنه لم تكن وسيلة أخرى بها يمكن أن نشترك في الروح ونتقدس ، إن لم يكن هذا الذي له أن يعطي الروح القدس ، أي « الكلمة » ذاته يتكلم عن نفسه كممسوح بالروح من أجلنا ، وبهذا نلنا الروح في يقين وأمان ؛ لأنه إذ قيل أنه مُسح بالجسد ، وبهذا تقدس الجسد أولاً فيه ، فبسبب ما قيل عنه ـ بصفته إنساناً ـ **إنه قبل الروح من أجل الجسد (الإنسان) ، فبالتبعية نلنا نحن أيضاً بالتالي نعمة الروح « من ملئه » :** « ومن **ملئه** نحن جميعاً **أخذنا ، ونعمة** فوق نعمة » (يو١ : ١٦)] (*).

وفي موضع آخر يشدد أثناسيوس على أهمية نوال الرب للمسحة كنعمة موهوبة للبشرية في جسده الخاص هكذا :

[وبالرغم من أنه لم يكن في حاجة إلى شيء ، لكن قيل عنه إنه تقبَّل ما تقبَّله (المسحة) بشرياً ، حتى من الجهة الأخرى **يصبح ما يكون قد تقبَّله الرب من عطية تسكن فيه في أمان ، وتصير النعمة محفوظة ومؤكدة لحسابنا .** لأن الإنسان العادي إذا تقبَّل شيئاً ، فإنه يفقده ثانية (كما وضح في آدم لأنه تقبَّل وفقد) ، **ولكن لكي تكون النعمة غير قابلة بعد للفقدان وتُحفظ في أمان لدى البشر ، من أجل هذا تقبَّلها المسيح في ذاته ...**] (١).

[فالبشرية إذن قد تكمَّلت فيه واستعادت وجودها كما كانت منذ البدء وإنما بنعمة أعظم] (٢).

وأثناسيوس في موضع آخر يوضح أن « **المسحة** » التي نالها جسد المسيح لحسابنا

(*) C. Ar., I, 46-50.

(1) C. Ar., III, 38.

(2) C. Ar., II, 67.

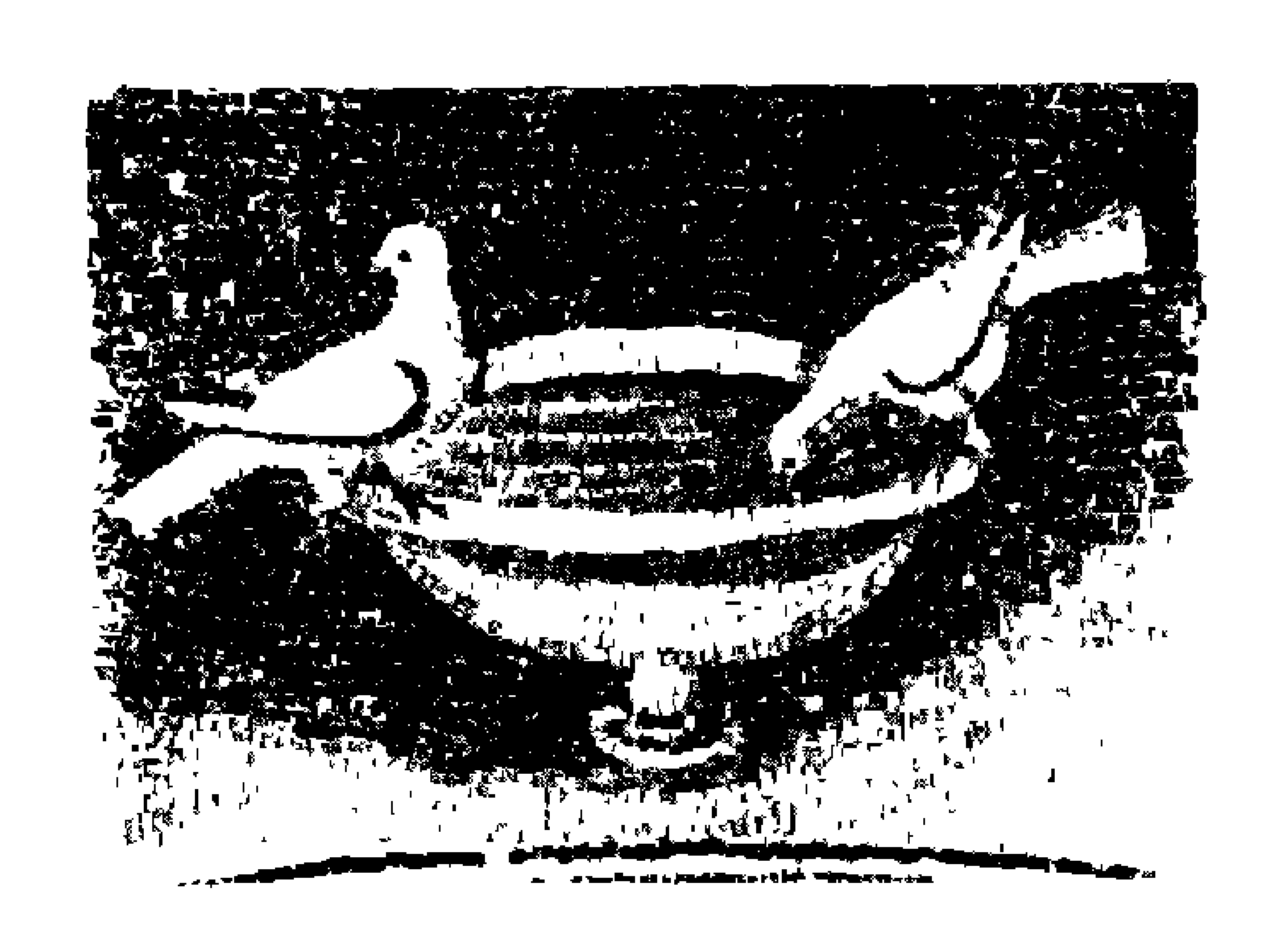
هي بعينها اللاهوت ، فهو أي « الكلمة » ــ لاهوتياً ــ هو الذي أعطى جسده المسحة :

[« **أنا الكلمة** » : « **المسحة** » والذي أخذ المسحة مني هو (**أنا**) « **الإنسان** »] (٣).

وفي هذا يوضح أثناسيوس طبيعة الروح القدس التي هي واحد مع الطبيعة الإلهية للكلمة . و بسبب هذا يكون « **الكلمة** » و« **الروح القدس** » **هما واحد جوهرياً أو طبيعياً** .

ولهذا لا يُقال أن **الكلمة** نال المسحة من الروح القدس ، بل الجسد (الإنسان) كما سبق الشرح :

[لكن أعمال الجسد لم تكن تتم بدون اللاهوت ، ولا أعمال اللاهوت تتم بدون الجسد ؛ بل على العكس فإن كل أعماله صنعها الرب الواحد (إشارة واضحة إلى اتحاد الطبيعتين) الذي أكمل كل شيء في سر نعمته ... فعندما نرى أعمال الجسد نتعجب ونرى فيها القوة الإلهية التي تعمل ؛ هذا هو إيمان الكنيسة] (٤).



(3) C Ar., IV. 36.

(4) Athanas., ad Serap , Ep. V.

مفهوم التجديف على الروح القدس
كما يراه القديس أثناسيوس

الرسالة الخامسة لسيرابيون[1]:

« هذا الإنسان يخرج الشياطين ببعلزبول رئيس الشياطين ».

« إن كنت بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله » (مت ١٢: ٢٨).

« كل خطية وتجديف يُغفر للناس. وأما التجديف على الروح... فلن يغفر له... لا في هذا الدهر ولا في الدهر الآتي » (مت ١٢: ٣١، ٣٢).

يقول القديس أثناسيوس مفسراً هذا الكلام هكذا:

[لماذا يُغفر التجديف على الإبن ولماذا لا يُغفر التجديف على الروح القدس لا في هذا الدهر ولا في الدهر الآتي أيضاً؟

لقد قرأت ما كتبه الآباء و بالذات الحكيم المجاهد أوريجانس والعجيب المجاهد ثيئوغنسطس[2] (توفى سنة ٢٨٢ م) واطلعت على كتبهم لأرى ماذا قالوا بخصوص هذا الموضوع.

وكلاهما قال أن التجديف على الروح القدس يحدث عندما يعود الذين

---

(١) ترجمها إلى العربية الدكتور جورج حبيب بباوي، وقد نُقل عنه النص بتصريح منه.

(٢) ثيئوغنسطس كاتب كنسي ولاهوتي مشهور، كان مديراً لمدرسة الإسكندرية خلفاً لديونيسيوس وقبل بيريوس (وليس بعده). وكتب منهجاً لاهوتياً متكاملاً قائماً على أساس أفكار أوريجانس وذلك في سبعة كتب، وأسماه هيبوتيبوزيس= ὑποτυπώσεις . وقد تبق وصف وتحقيق عنه بقلم فوتيوس (Cod 106)، كما لا يزال يوجد مقتطفات كثيرة منه في كتابات القديس أثناسيوس إلى سيرابيون، وعلى الدفاع عن قانون نيقية (٢٥). كما استعان به القديس غريغوريوس النيسي في مؤلفه: Contra Euno. III . وبالرغم من سقوطه في مفهوم تدني الإبن عن الآب بحسب فكر أوريجانس فقد استخدم القديس أثناسيوس كثيراً من أفكاره ضد الأريوسيين

حصلوا على **نعمة الروح القدس في المعمودية** إلى الخطية . ولذلك يتفق كلاهما مع الآخر على عدم وجود مغفرة ، مستندين إلى ما ذكره بولس في رسالته إلى العبرانيين (٦ : ٤ــ٦) . عند هذه النقطة كل منهما يتحدث مثل الآخر تماماً ، ولكن بعد ذلك كل منهما له رأيه الخاص .

يشرح أوريجانس سبب دينونة هؤلاء بهذه الكلمات « الله الآب يحل في كل شيء و يضبط كل الكائنات الحية وغير الحية ، أي التي لها نعمة العقل والتي ليس لها نعمة العقل . أما الإبن فهو يشمل بقوته الذين لهم نعمة العقل فقط ، مثل الموعوظين والوثنيين الذين لم يأتوا بعد إلى الإيمان . أما الروح القدس فهو يسكن فقط في الذين قبلوه في المعمودية . ولذلك عندما يخطيء الموعوظون أو الوثنيون فإن خطيئتهم هي ضد الإبن فقط ، لأنه هو فيهم كما ذكر ــ أوريجانس ــ ولذلك يمكنهم الحصول على المغفرة عندما يكرمون بنعمة الميلاد الثاني . ولكن عندما يخطيء المعمد فإن الخطية بعد المعمودية موجهة ضد الروح القدس الذي يسكن في الذين عُمِّدوا ، ولذلك لا مناص من اعقاب .

أما ثيئوغنسطس فهو كما ذكرت يتبع نفس شرح أوريجانس و يقول : إن الذي يتخطى الحاجز ين الأول والثاني يستحق عقوبة أقل . ولكن الذي يتخطى الحاجز الثالث لا يمكن أن يحصل على مغفرة . وهو يدعو التعليم الخاص بالآب والإبن بالحاجز ين الأول والثاني . أما الحاجز الثالث فهو التعليم الذي يُقال في المعمودية والخاص بالروح القدس ، ولكي يؤكد ثيئوغنسطس هذا الشرح اقتبس كلمات الرب للتلاميذ « عندي أشياء كثيرة لأخبركم ولكنكم لا تحتملون بعد ، ولكن متى جاء الروح القدس فهو سيعلمكم ... » (يو١٦ : ١٢ــ١٣) . وقد قال ثيئوغنوسطس عن هذه الكلمات أن المخلص تحدث مع أناس لا يمكنهم أن يقبلوا التعاليم الكاملة ، ولذلك نزل إلى مستواهم غير الكامل . أما الذين تكملوا فهم الذين قبلوا الروح القدس في المعمودية ، والتعليم الكامل هو من نصيب الذين حل فيهم الروح القدس .

لكننا نحذِّر كل من يقرأ هذه الكلمات من عدم فهمها بصورة سليمة ، إذ

لا يجب أن يظن أحد أن التعليم عن الروح القدس أسمى من التعليم عن الإبن مادام الإبن قد نزل إلى مستوى غير الكاملين ، بينما الروح القدس هو « ختم الكمال » . كما علينا أيضاً أن نحذر من الظن بأن الروح القدس أسمى من الإبن طالما أن التجديف على الروح بلا مغفرة . ولكن المغفرة لغير الكاملين (غير المعمَّدين) ، أما الذين ذاقوا الموهبة السماوية وصاروا كاملين فلا مغفرة لهم ولا صلاة يمكنها أن تسهل لهم المغفرة . هذا ما ذكره هذان الكاتبان المجاهدان .

أما عن نفسي فحسب ما تعلمت ، أعتقد أن رأي كلٍّ منهما يتطلب فحصاً ومراجعة دقيقة لأن كلمات الإنجيل الخاصة بالتجديف عميقة .

في الحقيقة واضح أن الإبن في الآب ، و بالتالي فهو في الذين فيهم الآب أيضاً . والروح القدس ليس غائباً عن الآب والإبن ، لأن الثالوث القدوس المبارك غير منقسم . وزيادة على ذلك إذا كان كل شيء قد خُلق بالإبن (يو١ : ٣) وفيه كل الأشياء توجد (كو١ : ١٧) ، فهو ليس كائناً خارج الأشياء التي جاءت إلى الوجود بواسطته . فكل المخلوقات ليست غريبة عنه . هو بالطبيعة في كل شيء ، و بالتالي كل من يخطىء ويجدِّف على الإبن يخطىء ويجدف على الآب والروح القدس . ولو كان حميم الميلاد الثاني قد أُعطي باسم الروح القدس فقط ، لكان من المعقول أن نقول أن الذي عُمِّد إذا أخطأ بعد المعمودية يخطىء ضد الروح القدس وحده . ولكن لأن المعمودية تُعطى باسم الآب والإبن والروح القدس ، فكل معمَّد يقبل المعمودية باسم الثالوث ، و بذلك يصبح واضحاً أن كل من يجدِّف بعد المعمودية يكون قد جدَّف على الثالوث الأقدس ، وهذا هو التعليم الحقيقي الذي يجب أن نقبله .

ولو كان هؤلاء الذين تحدث معهم الرب ، أعني الفريسيين ، قد قبلوا حميم الميلاد الثاني وحصلوا على نعمة الروح القدس ، لكان التفسير السابق لكل من أوريجانس وثيئوغنسطس مقبولاً ، لأن الرب لم يكن يتكلم مع أناس ارتدوا وجدَّفوا على الروح القدس ، لأننا إذا تذكرنا ، لم يكن هؤلاء الناس — أي

الفريسيون معمدين ، بل حتى معمودية يوحنا احتقروها ورفضوها (مت ٢١ : ١٥ــ٢٧). فكيف يمكن اتهامهم بالتجديف على الروح القدس وهم لم يحصلوا عليه بعد ؟! ولذلك لم ينطق الرب بهذه الكلمات لكي يعلم عن الخطية بعد المعمودية ، كما أنه لم يكن كذلك يهدد بعقوبة أولئك الذين سيخطئون في المستقبل بعد المعمودية ، بل قال هذه الكلمات بطريقة مباشرة وصريحة ضد الفريسيين لأنهم أذنبوا فعلاً وسقطوا في هذا التجديف الفظيع . لقد اتهمهم الرب بطريقة واضحة بالتجديف وهم لم يقبلوا المعمودية . فإن هذه الكلمات ليست موجهة ضد الذين يخطئون بعد المعمودية ، خصوصاً وأن الرب لم يكن يشتكيهم بخطايا عامة ولكن بالتجديف بالذات ، وهناك فرق بين الذي يخطىء و يتعدى الناموس والذي بسبب عدم تقواه يجدف على الله نفسه .

وقبل ذلك اتهم الرب الفريسيين بخطايا أخرى مثل محبة المال التي من أجلها أبطلوا الوصية الخاصة بالوالدين ، ورفضوا كلمات الأنبياء وجعلوا بيت الله بيت تجارة ، وفي كل هذا انتهرهم المخلص لكي يتوبوا . أما عندما قالوا أنه ببعلزبول يخرج الشياطين لم يقل لهم ببساطة أنهم يخطئون بل إنهم يجدّفون بصورة شنيعة تستوجب العقاب وتجعل المغفرة مستحيلة ، لأنهم تمادوا إلى حيث لا حدود لخطئهم .

وزيادة على ذلك ، لو كانت هذه الكلمات موجهة ضد الذين يخطئون بعد المعمودية وهؤلاء لا مغفرة لهم ، فكيف أظهر الرسول محبة نحو التائب في كنيسة كورنثوس ؟ (٢ كو٢ : ٨) . وماذا عن الغلاطيين الذين ارتدُّوا (غل ٤ : ٩) ، والذين تألم الرسول لكي يولدوا و يتكون فيهم المسيح مرة ثانية (غل ٤ : ١٩) ؟ وكيف نلوم نوڤاتس (٢٤٩ــ٢٥٠م Novatian) الذي يمنع التوبة ونعترض على قوله بأن الذين يخطئون بعد المعمودية لا مغفرة لهم طالما أن هذه الكلمات الإنجيلية تؤيد تعليم نوڤاتوس وهي موجهة إلى الذين يخطئون بعد المعمودية .

وحتى كلمات الرسالة إلى العبرانيين (٦ : ٤ــ٦) لا تمنع توبة الخطاة بل تشير إلى أن معمودية الكنيسة الجامعة تُعطَى مرة واحدة ، ولا يمكن أن تتكرر .

ويجب أن نلاحظ أنه للعبرانيين بالذات كتب الرسول هذه الكلمات لأنه خاف عليهم من التظاهر بالتوبة وأنهم بسبب تمسكهم الشديد بالناموس الموسوي وشريعة التطهير سيظنون أنه توجد فرصة لمعموديات يومية متكررة كما في مرقس ٧ : ٣ــ٤ ، ولذلك يشجعهم على التوبة و يعلن أن التجديد في المعمودية هو تجديد فريد لا يعاد . وفي رسالة أخرى يقول : « إيمان واحد ، معمودية واحدة » (أف ٤ : ٥) . وهو لا يقول أنه من المستحيل أن يتوب الساقط بل من المستحيل أن نصنع نحن تجديداً لأنفسنا بالتوبة والفرق كبير ، لأن من يتوب يكف عن الخطية ولكن آثار جروحه تظل ظاهرة بعكس من يعتمد يخلع العتيق و يتجدد (كو٣ : ٩ــ١٠) ، بل و يولد مرة ثانية بنعمة الروح القدس (يو٣ : ٣) .

وعندما أفكر في هذه الأشياء أجد في الكلمات السابقة عمقاً عظيماً . ولذلك بعد أن صليت بلجاجة للرب الذي جلس عند البئر (يو٤ : ٦) ومشى على المياه (مت ١٤ : ٢٥) أعود إلى تدبير الخلاص الذي تم راجياً أن أكون قادراً على أن أملأ دلوي من معاني الكلمات الإنجيلية التي نبحثها .

كل الكتب الإنجيلية ، و بالذات إنجيل يوحنا ، تخبرنا عن التدبير الإلهي : « الكلمة صار جسداً وسكن فينا » (يو١ : ١٤) . و بولس عندما يكتب : « الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب مساواته لله اختلاساً بل أخلى ذاته وأخذ صورة عبد وصار في شبه الناس » (في ٢ : ٦ــ٨) . ولأنه الإله الذي أخلى ذاته وصار إنساناً ، أقام الموتى وشفى المرضى ، و بكلمته حوّل الماء خمراً... وهذه كلها أعمال ليست من قدرة البشر . ولكنه جاع وعطش وتألم لأنه أخذ جسداً وكل أعمال الجسد ليست من صفات اللاهوت . كإله قال : « أنا في الآب والآب فيّ » (يو١٤ : ١١) ، ولأنه أخذ جسداً حقاً و بكل يقين ، انتهر اليهود قائلاً : « لماذا تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد أخبركم بالحق الذي سمعه من الآب » (يو٨ : ٤٠) . ورغم كونه إلهاً إلا أنه لم يقم بهذه المعجزات مرة واحدة لأنه تجسد وكان عليه أن يواجه الإحتياجات والظروف المرتبطة بحياته كإنسان .

لكن لم تكن أعمال الجسد تتم بدون اللاهوت ولا أعمال اللاهوت كانت تتم بدون الجسد ، بل على العكس ، فإن كل أعماله صنعها الرب الواحد ، الذي أكمل كل شيء في سر نعمته . وعلى سبيل المثال ، بصق على الأرض كما يبصق كل الناس ، لكن لعابه وحده كان فيه قوة إلهية لأنه وهب به البصر لعيني المولود الأعمى (يو٩ : ٦) . ورغم أنه الإله إلا أنه تكلم بلغة بشرية وقال : « أنا والآب واحد » (يو١٠ : ٣٠) ، وبإرادته منح الشفاء (مت٨ : ٣) . ولكن عندما مدَّ يده الإنسانية ، أقام حماة سمعان بطرس من الحمى (مر١ : ٣١) وبنفس اليد أقام من الموت إبنة رئيس المجمع (مر٥ : ٤) .

وقد أخطأ الهراطقة كلٌّ حسب مقدار جهله ، البعض منهم نسب كل ما حدث من الرب لجسده (أي كإنسان) وتعاموا عن القول الإلهي : « في البدء كان الكلمة » (يو١ : ١) ، والبعض نسب ما حدث إلى لاهوته فقط ، ولم يفهموا القول : « والكلمة صار جسداً » (يو١ : ١٤) . لكن المؤمن الذي يتبع تعليم الرسل يعرف غنى الرب ومحبته للبشر . وعندما يرى أعماله العجيبة الإلهية يمجد الرب الذي ظهر في الجسد . وعندما **يرى أعمال الجسد يتعجب و يرى فيها القوة الإلهية التي تعمل .** هذا هو إيمان الكنيسة ، ولذلك إذا ثبَّت البعض عيونهم على الجانب الإنساني في حياة الرب ، وشاهدوه يختبر الجوع والتعب والألم ، يتحدثون عنه بدون تقوى كمن يتحدث عن إنسان فقط ، فيخطئون بذلك خطية عظيمة . و بلا شك إن لم يتأخروا في التوبة يمكنهم الحصول على المغفرة ، لأن ضعفهم الإنساني هو عذر لهم . وحتى الرسول يمنحهم المغفرة ، و بطريقة ما يمد يده إليهم ، لأنه بالحق يقول : « و بدون جدل ، عظيم هو سر التقوى ، الله ظهر في الجسد » (١تى٣ : ١٦) .

وعندما يرى البعض أعمال اللاهوت يترددون في الإعتراف بإنسانيته ــ وهذا خطأ بالغ ــ و يتوهمون عندما يقرأون أن الرب يأكل و يتألم أنه خيال ، هؤلاء إذا لم يتأخروا في التوبة سيغفر لهم يسوع لأنهم لا يفهمون أعماله الفائقة التي أتمها في الجسد . وإذا فحصنا جهل هؤلاء وأولئك ، أي الذين

يخطئون ولهم معرفة بالناموس مثل الفريسيين أو الذين يستسلمون للجنون و ينكرون وجود الكلمة في الجسد ، أو يذهبون إلى أبعد من هذا عندما ينسبون أعمال اللاهوت إلى الشيطان وجنوده ؛ فإنه من العدل أن تكون عقوبة عدم تقواهم هي عدم المغفرة ، **لأنهم اعتبروا الشيطان مثل الله** ، وحسبوا أن من هو بالحقيقة الله لا شيء في أعماله يدل على ألوهيته ، بل إنه الشيطان يستخدم أعوانه . وإلى هذه الدرجة السفلى من عدم التقوى انحدر اليهود في ذلك الزمان ، و بالذات الفريسيون منهم . ورغم **أن الرب كان يقوم بأعمال الآب علانية** ، فهو أقام الموتى ومنح النظر للعميان وجعل العرج يمشون وفتح آذان الصم وجعل الخرس يتكلمون ، معلناً أن الخليقة العاقلة وغير العاقلة خاضعة له ، لأنه هو الذي أمر الريح ومشى على البحر ، والجموع عاينت هذا وامتلأت بالدهشة ومجّدت الله ، إلا أن الفريسيين قالوا إن هذه أعمال بعلزبول — **ومن فرط جنونهم لم يخجلوا من أن يعطوا الشيطان قوة الله . وأمام هذا أعلن الرب بالحق أن تجديفهم بلا مغفرة** ، لأنهم عثروا في كل ما يختص بإنسانيته وكان لهم في المسيح ، كإنسان ، رأي شرير ، إذ قالوا : « أليس هذا ابن النجار» (مت١٣ : ٥٥) ، وكيف يفهم الكتب وهو لم يدرسها (يو٧ : ١٥) ، وما هي المعجزات التي «تعملها لنؤمن بك» (يو٦ : ٣٠) ، و«فلينزل الآن عن صليبه لنرى ونؤمن» (مت٢٧ : ٤٢) . وقد احتمل الرب كل هذا ، وسمّى الإنجيل مثل هذه الأقوال بالتجديف على إبن الإنسان ، وتألم الرب من قساوة قلوبهم (مر٣ : ٥٠) ، وقال : « لو كنتم تعلمون ما هو لسلامكم ؟ » (لو١٩ : ٤٢) .

وغفر الرب لبطرس عندما تكلمت معه الجارية عن يسوع كإنسان فأجاب بطريقة لا تختلف عن رأي الجارية وكلامها ، ولكن الرب غفر له عندما بكى بدموع .

أما عندما سقط الفريسيون إلى أدنى من كل هذا وتفوّهوا بما هو أشر من كل ما سبق ، حتى أنهم قالوا إن أعمال الله هي أعمال بعلزبول ، لم يحتملهم

لأنهم جدفوا على روحه بقولهم إن من يعمل هذه الأعمال ليس الله ولكنه بعلزبول . ولهذا السبب استحقوا عقوبة أبدية . وفي الحقيقة إن جرأتهم زادت عن الحد ، وعندما رأوا ترتيب العالم والعناية به نسبوا الخلق إلى بعلزبول ، حتى أن الشمس صارت بحسب قولهم تحت سلطان الشيطان وأصبح الشيطان هو الذي يحرك النجوم في السماء ، لأن كل أعمال الآب كخالق ، عملها يسوع ؛ فإذا قالوا إن أعمال يسوع هي أعمال بعلزبول ، فكيف إذاً يفهمون القول الإلهي : « في البدء خلق الله السموات والأرض » (تك ١ : ١) . ولكن مثل هذا الجنون ليس غريباً عنهم لأن آباءهم أظهروا نفس الطباع ، فبعد خروجهم من مصر صنعوا العجل الذهبي في البرية ونسبوا إليه المعجزات والبركات التي أخذوها من الله وقالوا : « هذه آلهتك ياإسرائيل التي أخرجتك من أرض مصر » (خر٣٢ : ٤) . وبسبب هذا التجديف الذي ارتكبه أولئك المجانين تم فناء الكل في البرية ، وأعلن الله أنه في يوم افتقاده « سوف يجلب شرهم عليهم » (خر٣٢ : ٣٤) . وعندما اشتكوا من انعدام الخبز والماء اهتم بهم تماماً مثل المرضعة برضيعها ، ولكنهم زادوا الشكوى إلى الحد الذي وصفه الروح القدس في المزامير « أبدلوا مجده بصورة العجل الذي يأكل الحشيش » (مز١٠٥ : ٢٠) . وعندما اجترأوا على ارتكاب مثل هذا العمل الذي لا مغفرة له ضربهم الرب ، كما يقول الكتاب ، بسبب العجل الذي سبكه هرون (خر٣٢ : ٣٥) . وتصرَّف الفريسيون بنفس الوقاحة ، ولذلك أخذوا من الرب عقوبة مماثلة بل هي عقوبة مثل عقوبة بعلزبول نفسه الذي تحدثوا عنه ، كي يحترقوا معه بنار أبدية .

ولم يكن الرب يقصد بما قاله في الإنجيل أن يقارن بين التجديف الموجه ضده ، والتجديف الموجه للروح القدس ؛ ولا أشار ولو من بعيد أو بطريق غير مباشر إلى أن الروح القدس أسمى منه ولا لأن التجديف على الروح أخطر ، حاشا ؛ نطق الرب بهذه الكلمات لأنه علم من قبل أن **كل ما هو للآب فهو للإبن ، وأن الروح يأخذ من الإبن وبذلك يمجد الإبن**

(يو١٦: ١٤ـ١٥) . **والروح لا يعطي الإبن بل الإبن هو الذي يعطي الروح وقد أعطاه لتلاميذه** ، وبهم لمن يؤمنون به بواسطتهم . ولم يكن الرب يقارن نفسه بالروح عندما قال هذه الكلمات ، كما أنها لا تعني أن الروح أسمى من الرب ، فهذا سوء فهم لكلمات المخلص . والتجديف بنوعيه موجه بالضرورة للروح القدس . والنوع الأول محتمل أما النوع الثاني فهو خطير . وقد ارتكب الفريسيون نوعي التجديف لأنهم رأوه إنساناً فأهانوه بقولهم « من أين له هذه الحكمة ؟ » (مت١٣ : ٥٤) ؛ وقولهم : « أنت لم تبلغ بعد من العمر خمسين سنة فكيف رأيت ابراهيم ؟ » (يو٨ : ٥٧) . ورغم أنهم رأوا أعمال الآب فيه إلا أنهم لم يرضوا بألوهيته . وبدلاً من هذا قالوا أن بعلزبول فيه ، وأن هذه الأعمال هي أعمال بعلزبول ، وبذلك أصبح تجديفهم بنوعيه موجه ضده . والنوع الأول أقل خطورة بسبب العذر الواضح وهو إنسانيته ، أما النوع الثاني فهو أكثر خطورة لأنه إهانة موجهة إلى ألوهيته . ومثل هذا التجديف الخطير هو الذي استدعى عقوبة عدم المغفرة . ومن الواضح أن الرب كان يشجع التلاميذ عندما قال لهم : « إذا كانوا قد دعوا رب البيت بعلزبول » (مت١٠ : ٢٥) وأكد هنا أنه رب البيت الذي جدف عليه اليهود .

أما اليهود فعندما قالوا عنه « بعلزبول » لم يهينوا أحداً سوى الرب يسوع ، وهذا واضح من التعبير نفسه لأن كلمة « الروح » في نص الإنجيل تشير إلى الرب يسوع وإلى الروح القدس ، لأن « رب البيت » يُراد به المسيح أي رب الكون كله . وأنا أرجوك أن لا تتضايق من هذا التكرار فهو لازم إذا كنا نحرص على الوصول إلى المعنى الدقيق للنص ، ولذلك سأعود إلى ما ذكرته سابقاً أن الجوع والتعب والنوم والإهانات كلها خاصة بناسوته ، أما الأعمال الباهرة التي كان يقوم بها الرب ، فلم تكن أعمال إنسان بل أعمال الله .

لذلك بعد أن شاهد بعض الناس الأشياء الخاصة بالإنسان مثل الجوع ... إلخ وأهانوا الرب لأنه حسب ظنهم مجرد إنسان ، فقد حُسبوا

مستحقين لعقوبة أقل من عقوبة أولئك الذين ينسبون أعمال الله للشيطان . لأن هؤلاء لا يكتفون بإلقاء الأشياء المقدسة للكلاب (مت٧ : ٦) ، بل يجعلون الله مساوياً للشيطان و يدعون النور ظلمة (أش٥ : ٢٠) . لذلك سجّل مرقس أن تجديف اليهود بلا مغفرة ، « وأما من جدّف على الروح القدس فلن يُغفر له بل هو مستحق دينونة أبدية ، لأنهم قالوا أن به روحاً نجساً » (وذلك على أعمال لاهوته) (مر٣ : ٢٩ــ ٣٠) .

والرجل الأعمى منذ ولادته عندما أبصر ، شهد بأنه لم يُسمع من قبل أن أحداً فتح عيني مولود أعمى ، ولذلك قال : « إذا لم يكن **هذا الإنسان من الله** لا يستطيع أن يفعل شيئاً » (يو٩ : ٣٢ــ٣٣) . حتى الجموع نفسها عندما امتلأت من الإعجاب بما فعله الرب قالت : « إن هذه ليست أعمال من فيه شيطان ، هل يقدر شيطان أن يفتح أعين العميان » (يو١٠ : ٢١) . أما هؤلاء الذين امتلأوا من معرفة الناموس ، أي الفريسيون وهم الذين يلبسون العصائب العريضة (مت٢٣ : ٥) ، ومزهوّون بمعرفتهم بالناموس أكثر من باقي الناس (يو٩ : ٢٤ــ ٢٩) ، كان من المفروض عليهم بسبب هذه المعرفة أن يخجلوا ، ولكن كما هو مكتوب عنهم أنهم « تعساء لأنهم ذبحوا للشيطان وليس لله » (تث٣٢ : ١٧) . وعندما قالوا إن بالرب شيطاناً ، وأن أعمال الله هي أعمال الشيطان ؛ لم يكن لديهم أي أسباب مقنعة تدفعهم إلى هذا الإعتقاد ، والدافع الحقيقي لمثل هذا التجديف هو رغبتهم في أن ينكروا أن الذي يعمل هذه الأعمال هو الإله ابن الله . و بالحقيقة لقد أكل أمامهم وشاهدوا جسده وتأكدوا أنه إنسان فكان لديهم فرصة لأن يقتنعوا من أعماله أن الآب فيه وأنه في الآب . أما لماذا لم يقتنعوا ؟ **فلأنهم لم يشاءوا .**

وفي الحقيقة لقد سكن بعلزبول في الفريسيين . وكان بعلزبول هو الذي يتكلم فيهم . ولذلك قالوا عن المسيح : إنه مجرد إنسان ، بسبب ناسوته ، دون الإعتراف به إلهاً بسبب أعماله التي هي أعمال الله . ولكن

بهذه السقطة ألّهوا بعلزبول الذي سكن فيهم ، والذي في النهاية سوف يعاقبون معه في النار إلى الأبد .

ودراستنا للنص توضح لنا أنه يعني نوعي التجديف الذي أشرنا إليه سابقاً . ذلك أن المخلّص **أشار إلى نفسه عندما قال : « إبن الإنسان » ، ولكنه كان يعني أيضاً نفسه عندما تحدث عن « الروح »** . والإسم الأول « **ابن الإنسان » يوضح تجسده** ، والإسم الثاني « **الروح » يوضح طبيعته الروحية غير المادية ولاهوته** . وفي الواقع ، إن الخطية التي يمكن غفرانها هي العثرة الناتجة عن رؤية ناسوته ، أي ما يتعلق به كإبن الإنسان ، ولكنه أوضح أن التجديف الذي لا يمكن مغفرته هو التجديف على « الروح » ، أي على الطبيعة الإلهية .

وقد لاحظت أن التعبير « الروح » جاء بالمعنى الذي نتحدث عنه في انجيل القديس يوحنا عندما كان الرب يتحدث عن تقديم جسده . ولما رأى أن كثيرين عثروا بسبب ما ذكره عن جسده ، قال لهم : « هل هذا يعثركم ؟ **وماذا ستفعلون عندما تشاهدون إبن الإنسان صاعداً إلى حيث كان سابقاً ؟ الروح هو الذي يحيي أما الجسد فلا يفيد شيئاً . الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة** » (يو٦ : ٦٢ــ٦٣) . وقد تحدث الرب هنا عن « **الجسد والروح** » ، وكما هو واضح كان يتحدث عن نفسه . **وميّز بين الجسد والروح لكي يتمكن الذين سمعوه من الإيمان بما يرون أي بجسده ، وكذلك الإيمان بغير المنظور ، أي الروح أو لاهوته ، لكي يؤمنوا أن ما يتكلم عنه ليس الجسديات بل الروحيات .**

ولنسأل كم عدد البشر الذين يمكن أن يقدم لهم جسده المادي ؟ وماذا عنه كغذاء للعالم كله ؟ لهذا السبب تحدث عن صعود إبن الإنسان إلى السماء لكي يبعد عن أفكارهم كل التصورات المادية عن جسده ، ولكي يفهموا جيداً بدون أي تصورات مادية أن جسده الذي يتكلم عنه هو طعام سمائي يأتي من فوق

كغذاء روحي يعطيه هو بنفسه . وحقاً قال : « الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة » (يو٦ : ٦٣) ، أي أن ما أعلنه ، وما سيعطيه لخلاص العالم هو جسده ، **ولكن هذا الجسد عينه بما فيه من دم سوف يعطَى لكم بواسطتي روحياً ، وكطعام ، وبطريقة روحية سوف يوزَّع على كل واحد منكم لكي يصبح عربون القيامة والحياة الأبدية .**

واستعمال كلمة « روح » جاء بنفس المعنى في حديث الرب مع السامرية عندما وجّه فكرها إلى المعنى الروحي ورفع نظرها إلى الأمور غير المادية بقوله لها « **الله روح** » (يو٤ : ٢٤) ، لكي يستقر في قلبها الفهم الصحيح عن الله ، أنه ليس من طبيعة مادية محصورة في مكان بل إنه روح . وهذا ما يعنيه كلام التعليم الذي يقول عندما يتأمل الكلمة وقد تجسد « روح الإيمان هو المسيح الرب » ، وحتى لا يعثر أحد ما بالشكل الخارجي الملموس و يظن أن الرب هو مجرد إنسان ، جاءت كلمة « الروح » لتؤكد أن الذي في الجسد هو الله .

وهكذا يبدو لنا شيئان ظاهران تماماً : الأول هو حالة من يرى الرب في الجسد و يعتبره مجرد إنسان و يقول بعدم إيمان : «من أين الحكمة لهذا الإنسان» (مت١٣ : ٥٤) ، وكل من يتكلم بهذا يخطىء بدون شك ويجدف على إبن الإنسان ؛ والثاني يرى أعماله التي تتم بالروح القدس و يقول أن صانع هذه الأعمال ليس الله ولا ابن الله و ينسب هذه الأعمال لبعلزبول . مثل هذا ينكر لاهوته ، وهذا ما يظهر واضحاً عدة مرات في الإنجيل لاسيما في النص الذي نشرحه .

ومرة أخرى ، نكرر، عندما يوصف الرب بأنه « ابن الإنسان » فهو نفسه يستخدم هذا اللقب لتأكيد بشريته . ولكن عندما يتحدث عن الروح أي الروح القدس الذي به يصنع كل هذه الأعمال والذي هو (الروح) أيضاً فيه ، يقول بعد إتمامه أعماله الباهرة : « إذا كنتم لا تؤمنون بي فعلى الأقل آمنوا بالأعمال التي أعملها لكي تعرفوا أنني في الآب والآب فيَّ »

(يو١٠: ٣٨)...](*).

(انتهى).

وملخص عقيدة القديس أثناسيوس في هذا الموضوع كالآتي :

١ ــ إن الموضوع لا يختص إطلاقاً بامتياز أقنوم عن آخر في الثالوث ، فالتجديف على الروح القدس هو تجديف على الآب والإبن أيضاً .

٢ ــ والتجديف لا يختص بالمعمودية ونوال الروح القدس فيها ، لأنها تتم باسم الآب والإبن والروح القدس إله واحد . فكل من يخطىء ويجدف بعد المعمودية فهو يخطىء ويجدف على الله الثالوث الآب والإبن والروح القدس . لذلك فالرب لم يكن يقصد بالتجديف الخطية بعد المعمودية .

٣ ــ إن الخطية بل كل الخطايا بعد المعمودية تُغفر جميعها بالتوبة ، ولا توجد خطية قط يمكن أن يقال أنه من المستحيل غفرانها .

٤ ــ المعمودية هي التي لا يمكن بل و يستحيل أيضاً أن تتكرر، وهي التي تسمى بالتجديد أو الميلاد الثاني فهي معمودية واحدة .

٥ ــ كذلك هناك فرق بين الخطايا كتعدي على الوصايا و بين التجديف على الله نفسه .

٦ ــ إن الإلتباس الظاهر في فهم عب ٦ : ٤ــ٦ راجع إلى أن بولس الرسول يخاطب اليهود (العبرانيين) الذين اعتادوا أن يتخلصوا من خطاياهم بالتطهير بالماء كل يوم ، وكلما أرادوا (حتى الزنا كان في عرفهم يمكن التخلص منه بالإستحمام بالماء) ، فنبّههم أن المعمودية في المسيحية ليست تطهيراً بالماء ، ولكنها موت عن الإنسان العتيق وخطاياه وولادة روحية من فوق بانسان جديد ، ولا تتم إلا مرة واحدة فقط **بنعمة الروح القدس** .

٧ ــ العنصر الجوهري في عدم غفران خطية التجديف على الروح القدس هو المتعلق

(*) من كتاب : الروح القدس في بعض كتابات الآباء، تعريب : دكتور جورج حبيب باوي ، ص٢٨ ــ ٤٢ .

بالذين ينسبون أعمال اللاهوت التي كان يعملها المسيح إلى أنها أعمال الشيطان .

٨ ــ وعلى نفس المستوى ، فالذين يعتبرون المسيح أنه مجرد إنسان كان عمل المعجزات بقوة الشيطان فهذا هو التجديف على روح الله أي الروح القدس ، لأن المسيح كان يعمل كل الأعمال بروح الله .

٩ ــ وعلى نفس المستوى ، كل من يجدف على لاهوت المسيح معتبراً أن المسيح مجرد إنسان ، وأن أعماله كانت مجرد أعمال شيطانية (سحرية كما يقول اليهود الآن) وليست أعمالاً إلهية ، فهذه تعتبر خطية تجديف غير قابلة للمغفرة .

١٠ــ وهنا يقرر أثناسيوس أنه لا فرق بين التجديف على الروح القدس والتجديف الموجه ضد لاهوت المسيح .



كيف يتم تقديس النفس بالروح القدس
في لاهوت القديس كيرلس الكبير
البابا الرابع والعشرون (+ ٤٤٤ م.)

أعد هذه المقالة وترجم نصوصها من الفرنسية واليونانية
أحد الآباء بالدير وراجعها الأب متى المسكين
سنة ١٩٧٨

كيف يتم تقديس النفس بالروح القدس
للقديس كيرلس الكبير (١)

البابا الرابع والعشرون (+ ٤٤٤م.)

مقدمة:

في وسط الضيقات التي كانت تحيط بالمسيحيين الأوائل كان القديس بولس يدعوهم إلى أن يرفعوا أفكارهم فوق هذا العالم الحاضر (كو٣: ١) وأن يتأملوا الحياة الإلهية الكائنة فيهم بالروح القدس:

- «إنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١كو٣: ١٦).
- «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله» (١كو٦: ١٩).
- «أرسل الله روح إبنه إلى قلوبكم» (غل٤: ٦).
- «أخذنا الروح الذي من الله لنعرف به الأشياء الموهوبة لنا من الله» (١كو٢: ١٢).
- «وأعطى عربون الروح في قلوبنا» (٢كو١: ٢٢).
- «نحن الذين لنا باكورة الروح» (رو٨: ٢٣).

وفي العصر الرسولي (أي الجيل المسيحي الأول بعد الرسل) صار هذا الإمتياز هو

---

(١) عن مقالة:

J. MAHÉ — La Sanctification d'après Saint Cyrille d'Alexandrie. Revue d'Histoire Ecclésiatique X. (1909), p 30-40. 469-492

٥

الموضوع الرئيسي الأول لأحاديث المسيحيين الأوائل وتأملاتهم. أنظر:
ـ رسالة كلمنضس الأولى ٣٠ و٣٥.
ـ رسالة برنابا ٦: ١١ـ١٩.
ـ رسالة أغناطيوس إلى أهل أفسس ١٥: ٣ و١٩: ٣.
ـ رسالة أغناطيوس إلى أهل رومية ٧: ٢.
ـ الرسالة إلى ديوجنيتوس ٧.
ـ الراعي لهرماس ٩: ١٦.

و بعد انتهاء العصر الرسولي لم يكف آباء الكنيسة ومعلموها، وعلى الأخص في الشرق، عن الحديث بعبارات مضيئة عن كرامة الإنسان الجديد الذي قدسه المسيح بالروح القدس. أنظر:
ـ القديس إيريناوس: ضد الهرطقات ٥: ٦، ٨.
ـ العلامة أوريجينوس: المبادىء ١: ٣.
ـ القديس أثناسيوس: ضد الأريوسيين ١: ١٦ و٣: ٣ ورسالته الأولى إلى سيرابيون ١٩، ٢٢.
ـ القديس كيرلس الأورشليمي: عظة ١٧.
ـ القديس باسيليوس: عن الروح القدس ٩، ١٩، ٢٦.
ـ القديس غريغوريوس النيسي: عظة ٢١.
ـ القديس غريغوريوس النزينزي: عظة ٣٤: ١٢.
ـ القديس إبيفانيوس: ضد الهرطقات ٧٤: ١٣.
ـ القديس يوحنا ذهبي الفم: عظة ١٨ على رسالة كورنثوس الأولى.
ـ ديديموس الإسكندري: في الروح القدس: ٣ وما يليه.
وقد فاق جميعهم القديس كيرلس الإسكندري.

التزام القديس كيرلس بالتقليد:

لقد كان فكر القديس كيرلس في كافة الموضوعات متوافقاً تماماً مع تقليد

الكنيسة السابق له. وبخصوص الموضوع الذي ندرسه الآن (تقديس النفس بالروح القدس)، نراه يكرر ما قاله الذين سبقوه، غير أنه يكرره بأسلوبه الخاص بعد أن صاغه صياغة روحية جديدة. فقد جمع عناصر روحية كانت من قبله متناثرة، ثم ربط الموضوع كله بعقيدة الثالوث وبعقيدة الإتحاد الأقنومي (أي اتحاد اللاهوت والناسوت في المسيح). وفوق هذا كله فإن تقواه وحرارته الروحية كانتا تلهمانه تعبيرات روحية قوية، لم يكن لها مثيل عند الذين سبقوه من جهة الصحة والأصالة والجرأة التعبيرية.

+ + +

ما هو تقديس النفس؟

إن القديس كيرلس يصف تقديس النفس بالروح القدس أنه:

ــ تطهير للنفس (٢).

ــ وتغيير داخلي (٣).

ــ وعبور من حالة الموت والفساد إلى الحياة وعدم الفساد (٤).

ــ وانتقال من الرذيلة إلى الفضيلة، ومن العبودية إلى الحرية (٥).

ــ هو مصالحة الإنسان مع الله (٦).

ــ وارتقاء الإنسان إلى حالة تفوق طبيعته (٧).

ــ وبالإجمال هو ولادة جديدة وخلقة جديدة، أي إصلاح وتقويم لطبيعتنا الساقطة، بحيث تستعيد حالتها الأولى التي خُلق بها الإنسان الأول (٨).

ــ بل ويؤكد القديس كيرلس أن النفس التي تتقدس بالروح القدس ترتفع إلى حالة

---

(2) P.G 75, 1016 B

(3) P G 70, 965 B, P G 69, 508 C

(4) P G 68, 1073; P G 76, 1164 A

(5) P G 72, 676 A

(6) P G 74, 544

(7) P G 69, 48 B, P G 77, 897 B

(8) P G 72, 908 D, P G 73, 205 B, 725 C, P.G 74, 541 B sq, P.G 75, 880 B sq.

أسمى وأقدس من تلك التي خُلقت بها(٩).

كيف فقدت البشرية الروح القدس؟

لما خلق الله الإنسان في البدء، خلقه على صورته ومثاله خالداً وغير فاسد، سائداً على أهوائه، وقادراً على ممارسة الفضيلة(١٠). غير أن هذه الإمتيازات لم يكن آدم يستمدها من طبيعته الخاصة التي كانت ــ بصفتها طبيعة مخلوقة ــ قابلة للفساد والفناء، بل كان يستمدها من روح الله الذي حل فيه يوم خلقته(١١). فالقديس كيرلس يفسر «نسمة الحياة» πνοή ζωῆς التي يتكلم عنها سفر التكوين (٢: ٢٧) أنها الروح القدس نفسه وليست مجرد حياة طبيعية(١٢).

ولما وقع آدم في المعصية بحسد إبليس(١٣)، للوقت فارقه روح الله وفقد آدم كل الإمتيازات التي كان يستمدها من الروح. و بالخطية صار الموت والفساد يسودان على العالم، غير أن صلاح الله لم يرضَ بهذا الوضع؛ بل كان لابد، بسبب رحمته الكثيرة وقدرته الفائقة، أن يتدخل الله و يرفع الإنسان و يرده إلى رتبته الأولى و يرجع إليه كل الإمتيازات التي فقدها(١٤).

وكما أن كل هذه الخيرات قد أدركت الإنسان أولاً بواسطة الروح القدس ومع الروح القدس، لذلك كان لابد أن يستعيدها أيضاً بواسطة الروح القدس ومع الروح القدس.

ولذلك فالوسيلة الوحيدة لكي يستعيد الإنسان كرامته الأولى هي أن يستمدها من

---

(9) P.G. 68, 1076 D; P.G. 77, 765 C

(10) P.G 73, 204 D sq, 752 C sq, P.G. 75, 908 C

(11) P.G 76, 1085 D.

(12) P G. 73, 204 D; P.G. 75, 584 D

(13) P.G 74, 784 A sq.

(14) P.G 76, 925 D.

جديد من الروح القدس(١٥). ولكن كيف يستعيد الإنسان الروح القدس؟

كيف استعادت البشرية الروح القدس؟

+ ملخص:

لما اتحد اللوغس (الكلمة) بالناسوت الذي اتخذه لنفسه من القديسة العذراء فقد منحه روحه القدوس وبذلك بدأت طبيعتنا البشرية تتقدس من جديد في شخص المسيح. وبالمثل يحدث لكل واحد منا لما يتحد بالمسيح. فهو ينال منه الروح القدس ويتقدس به.

في تفسيره لإنجيل القديس يوحنا(١٦)، يعبّر القديس كيرلس باختصار بديع عن كيفية استعادة طبيعتنا للروح القدس: لقد منح المسيح الروح القدس لناسوته، وبذلك جعل الروح يتآلف من جديد مع طبيعتنا.

وعلى هذا الأساس تمكن المسيح من أن يمنحه لكل واحد منا!

والآن لنسمع القديس كيرلس يشرح لنا هذه الفكرة في العديد من أقواله وهي تتركز أساساً حول نقطتين:

الأولى: حلول الروح القدس في المسيح من أجلنا؛

والثانية: حلول الروح القدس فينا.

١ ــ المسيح قَبِلَ الروح القدس في ناسوته من أجلنا(١٧):

لقد كان الكلمة المتجسد قدوساً بطبعه، بحق جوهره الإلهي. ولكنه بصفته إنساناً، قدس ذاته من أجلنا كمن يكتسب القداسة(١٨).

وهكذا نال الروح القدس، ليس من أجل ذاته هو، إذ أنه هو معطي الروح، بل

---

(15) P G 73, 752 C sq

(16) P G. 73, 208 A

(17) P.G. 73, 205 D sq, 753 A, P G 74, 548 D sq

(18) P G. 68, 708 B

من أجلنا نحن لكي يمنحه لطبيعتنا البشرية الكائنة فيه، ويجعل النعمة التي فارقتها تتأصل من جديد فيها([19]).

فكما أنه قام من أجلنا وليس من أجل نفسه هكذا أيضاً قَبِلَ الروح القدس من أجلنا وليس من أجل نفسه:

لقد كان المسيح هو القيامة والحياة بطبعه، فلم يكن محتاجاً للقيامة لنفسه، ولكنه مات من أجلنا بالجسد لكي يمنح القيامة لطبيعتنا البشرية الكائنة فيه و يتمكن بذلك من أن يمنحنا الحياة والخلود.

وهكذا بالمثل قَبِلَ الروح القدس من أجلنا، حتى يتمكن من أن يمنحه لكل الطبيعة البشرية([20]).

و يقول أيضاً: لنتفهم ذلك جيداً، وحاشا لنا أن نعتقد أن الذي هو الإبن بالطبيعة لا يقتني الروح القدس إلا بالمشاركة، بل هو فيه جوهرياً، كما أنه في الآب جوهرياً لأنه روح الإبن كما أنه روح الآب. ولكن هذا الروح الذي يقتنيه المسيح جوهرياً، بصفته الله، يناله بالمشاركة بصفته إنساناً. لأنه لما تأنس قَبِلَ لنفسه كل ما يخص الطبيعة البشرية. لنؤكد ذلك جيداً: هو قدوس بطبعه لكونه الله، وإن كان لكونه إنساناً يتقدس بالروح القدس، فهو نفسه الذي يقدس هيكل جسده بروحه الخاص، فهو ينال روحه الخاص، هو يناله كإنسان و يعطيه لذاته كإله([21]).

غير أن هناك نقطة لا تزال تحتاج إلى توضيح: **كيف يمكن أن ذاك القدوس بطبعه يتقدس أيضاً بالمشاركة؟** يجيب القديس كيرلس قائلاً: إن هذا الأمر الذي يصعب على مداركنا متصل بسر الإتحاد الأقنومي الوثيق جداً والسري للغاية الذي تم بين الكلمة والجسد. فنحن نؤمن أنه الله وأنه هو بعينه إنسان، أنه أزلي وأنه مولود في

---

(19) P.G. 73, 205 D.

(20) P.G 73, 208 B; P.G. 74, 549 AB.

(21) P.G. 74, 548 B.

الزمن، أنه لا يموت وأنه قَبِلَ الموت. فلهذا السبب عينه نقول أنه قدوس بطبعه وأنه قدس جسده بالمشاركة (٢٢).

فكل ما هو مخلوق لا يكون مقدّساً بطبعه، بل ينبغي أن ينال القداسة من الله. وهكذا أيضاً جسد المسيح، لم تكن له القداسة بطبعه بل كان ينبغي أن ينالها من ذلك الذي هو قدوس بطبعه (أي من اللوغس = الكلمة). فالكلمة الحالّ في الجسد قد منح جسده الخاص قوته التقديسية الطبيعية، وهكذا صار جسده مقدّساً بل ومقدّساً أيضاً (٢٣).

وقد شهد الروح القدس عن ذلك لما حلّ بهيئة حمامة على المسيح في يوم عماده. غير أن هذه لم تكن سوى إشارة خارجية لما كان قد تم قبل ذلك بكثير. فقد تقدس جسد المسيح (أي قَبِلَ الروح القدس) بفعل اتحاده بالكلمة منذ أول لحظة حُبل به في بطن العذراء (٢٤).

٢ ـ حلول الروح القدس فينا بواسطة المسيح:

لم يقبل المسيح الروح القدس من أجل ذاته بل من أجلنا. فهو يقبله لكي يمنحه لكل واحد منا. والقديس كيرلس يعود مراراً كثيرة إلى تأكيد هذه الحقيقة (٢٥).

وهي في الواقع تطبيق خاص لنظرية آدم الجديد على موضوع قبول الروح القدس. فالنظرية العامة التي تعتبر المسيح هو آدم الثاني أصل الجنس البشري الجديد، تعود إلى

---

(22) P.G 74, 548 D

يلاحظ من مقارنة هذا القول بسابقه أن القديس كيرلس يستعمل لفظ «القداسة» كمرادف لقبول الروح القدس، وعبارة: «قدوس بطبعه» كمرادف لعبارة: «يقتني الروح القدس جوهرياً»، وعبارة: «مقدّس بالمشاركة» كمرادف لعبارة: «ينال الروح القدس بالمشاركة»، وذلك لأنه يعتبر القداسة هي الصفة الأقنومية للروح القدس كالأبوّة للآب والبنوّة للابن كما سنرى فيما بعد.

(23) P.G. 74, 549 C.

(24) P.G 74, 549 D.

(25) P.G 73, 753 C; P.G. 74, 561 B, 564 B

عصر بولس الرسول (أنظر روه و١ كوه١). وهي تعتبر أن الجنس البشري كله قد قَبِلَ الحياة وأُخرج من العدم إلى الوجود في شخص آدم الأول. ثم بكسر الوصية الإلهية قد أُخضع كله للموت والفساد. ولكن في شخص آدم الثاني قد نال الجنس البشري بداية جديدة: فقد نال حياة جديدة واستعاد عدم الفساد. وقد شرح القديس كيرلس هذه الفكرة كالذين سبقوه في مواضع عديدة(٢٦).

غير أنه امتد بها وطبّقها على موضوع قبول الروح القدس: فالجنس البشري كله قد تقدس (أي قَبِلَ الروح القدس) في شخص المسيح آدم الثاني، بصفته أصل جنسنا الجديد وبدايته (أو مبدئه ἀρχή)، غير أن هذه القداسة الأصلية (المقابلة للخطية الأصلية) لا تكفي، بل لابد من أن يعطَى الروح القدس بالفعل لكل واحد منا لكي يحيي كل كياننا الداخلي بحضرته الإلهية(٢٧).

والمسيح قَبْل قيامته لم يوصل إلى الآخرين الروح القدس الذي كان فيه «لأن الروح لم يكن قد أُعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد» (يو٧: ٣٩). ولكنه حالما نقض أوجاع الموت واستعاد الحياة، صار بالحقيقة هو رأس جنسنا الجديد وأصل الخليقة الجديدة. فالنبات لا يمكن أن ينبت قبل أن يتكون أصله (أي جذره)(٢٨).

ولذلك لم يكن الآباء والأنبياء في العهد القديم قد قَبِلوا الروح القدس كما قبلناه نحن. لقد كانوا يتنبأون بفعل الروح ولكنه لم يكن يسكن فيهم بمثل ما يسكن فينا(٢٩).

لقد بدأ المسيح فور قيامته يمنح روحه القدوس(٣٠):

فكما كان في الخلقة الأولى حينما نفخ الله روح الحياة في وجه الإنسان الأول،

(26) P.G. 73, 756 B; P.G. 69, 29, P.G. 72, 408 D, P G 73, 205 D, P.G 75, 853 A.

(27) P.G. 73, 1045 B; 1048 A sq.

(28) P.G. 73, 756 C.

(29) P G. 73, 757 A; P.G. 69, 233 B sq

(30) P.G 73, 756 C; P.G. 71, 376 D; P.G 74, 55 B, 541 D.

هكذا صار أيضاً في الخلقة الجديدة، فقد نفخ مخلصنا في وجه تلاميذه قائلاً لهم: اقبلوا الروح القدس (٣١).

إن الكنيسة كانت ستُبنى على أساس الرسل، ولذلك كان يليق بهم أن ينالوا الروح قبل غيرهم (٣٢).
ثم صارت رسالتهم الأساسية أن يكرزوا بالإنجيل ليهيئوا القلوب لقبول هذا الروح عينه. فلما قَبِل اليهود والأمم الإيمان نالوا بواسطته التبرير وتقديس الروح (٣٣).

وهكذا ستظل القلوب تتغير بفعل الروح القدس حتى نهاية العالم، وذلك بواسطة المعمودية، لأن الموعوظ الذي يعتمد يتحد بالمسيح. وهذا لا يتم إلا بالروح القدس، لأن الإبن لا يتحد بالبشر إلا بواسطة روحه القدوس (٣٤).

فالمعمودية تجعلنا نقتني في داخلنا روح القداسة. والروح القدس يسكن فينا بالحقيقة كما كان يسكن في آدم قبل المعصية. وسيظل ساكناً فينا ما دمنا لا نخرجه عنا بواسطة خطايانا (٣٥).

إننا لم نصر فقط هياكل للنعمة (٣٦)، بل هياكل للروح القدس نفسه، هياكل لله (٣٧)، فالروح القدس قد اتحد بنا بالحقيقة كما كان متحداً بآدم قبل المعصية. ليس هذا طبعاً اتحاداً أقنومياً كالذي تم في المسيح (فخطأ نسطور أنه اعتبر المسيح إنساناً

---

(31) P G 73, 756 C, P G 69, 1100

ويقول القديس كيرلس أن الرسل قبلوا الروح القدس بالحقيقة لما نفخ الرب في وجوههم مساء أحد القيامة. وأما الألسنة النارية التي نزلت عليهم في يوم الخمسين فكانت استعلاناً علنياً للتقديس الذي كانوا قد نالوه من ذي قبل. (P G 74, 717)

(32) P.G 71, 376 D

(٣٣) تفسير إشعياء ٢٨ : ٢٢ P G 70, 640 B

(34) P.G 74, 333

(35) P.G. 74, 224 B sq

(36) P G 75, 1089

(37) P G 73, 757 B, P G 75, 605 A, 801 D

تـقـدس بـالـروح مثله مثل بقية الأبرار). بل إن اتحادنا نحن بالروح هو حقاً اتحاد وثيق جداً ومثمر جداً، ولكنه اتحاد نسبي، و بالمشاركة (٣٨).

+ + +

مفاعيل الروح القدس فينا:

+ حينما يحل الروح القدس داخل نفوسنا فهو يطهرها أولاً. إنه النار التي تحرق كل زغل فيها (٣٩).
+ وهو يقويها ضد هجمات الشيطان وضد شهواتها الذاتية فهو المسحة χρῖσμα التي تقوينا (٤٠).
+ وهو يساعدنا أن نتحرر من أباطيل هذا العالم و يوضح فينا رؤية الوطن السماوي (٤١).
+ وهو يجعل ممارسة الفضيلة سهلة ومحبوبة لنفوسنا، و بذلك يجعل نفوسنا تثمر ثمراً كثيراً للخلاص، فهو ينبوع الماء الحي الذي يروي نفوسنا لتثمر للحياة الأبدية (٤٢).
+ إنه يجعل النفس التي يحل فيها تستعيد جمالها الأول وقوتها الأولى (٤٣).
+ فهو الختم الإلهي الذي تُختم به النفس لتستعيد صورتها الإلهية الأولى (٤٤).
+ و بذلك تتشكل النفس على صورة الآب والإبن والروح القدس جميعاً، لأن الروح القدس هو صورة الإبن والإبن هو صورة الآب (٤٥).

---

(38) P.G. 75, 1293 CD; P.G 76, 108 D, 304, 408 C, P.G 77, 112; P.G. 69, 1056.

(39) P.G 68, 821 B, 1009 A; P.G. 69, 1100 A; P.G. 70, 41 B, 96 C, P.G. 72, 333 D sq., 389 A; P.G 76, 880 B.

(40) P.G. 74, 572 B sq., P G 69, 1100 D sq.

(41) P.G. 74, 433 D.

(42) P.G. 69, 640 D; P.G. 73, 297 AB, P.G. 74, 337 B, 433 A sq, 572 B.

(43) P.G. 70, 892 AB, 936 B, 1124 A; P.G. 71, 812; P.G. 72, 445 C; P.G. 73, 153 B, 205.

(44) P.G 75, 609, 612, 1013; P.G. 76, 1089.

(45) P.G. 70, 936; P.G. 72, 673; P.G. 73, 205, 757.

عمل الروح القدس فينا وعلاقته بالآب والإبن

الروح القدس لا يحل فينا وحده، ولكن الآب والإبن معه دائماً[1].

[إن تجديدنا الشامل هو عمل الثالوث القدس كله... وإن كان يبدو أحياناً أننا ننسب لأحد الأقانيم الثلاثة شيئاً ما مما يحدث لنا أو للخليقة، لكننا نؤمن بدون شك **أن كل شيء هو من الآب بالإبن في الروح القدس**][2].

πάντα ἐστὶ παρὰ τοῦ Πατρὸς δι' Υἱοῦ ἐν Πνεύματι

فالروح القدس لا يعمل فينا شيئاً بمعزل عن الآب والإبن.

(أ) الروح القدس يربطنا بالآب والإبن:

إنه الواسطة،

«الرباط الإلهي» الذي به تتحد نفوسنا بالآب والإبن:

+ الروح القدس يسكن فينا، و بواسطته نحن نقتني أيضاً الآب والإبن[3].

+ [لقد كان المسيح يحل في الرسل بواسطة الروح القدس][4].

+ [لا يمكن أن تكون لنا **شركة** مع الله إلا بالروح القدس][5].

فالروح القدس هو أساساً **روح الشركة**، **فهو** الذي يضطلع بإقامة الصلة بين الخليقة والخالق. هو الذي يتصل مباشرة بالخليقة و يوحدها مع الإبن، ثم من خلال الإبن مع الآب.

+ [المسيح يحل فينا بواسطة الروح القدس، ثم من خلال نفسه هو يوحدنا بأبيه في

(1) P.G. 73, 157 C; P G 74, 289 D, 872 AB, P.G. 75, 801D-804

(2) P G. 74, 333 D-336 A

(3) P.G. 73, 157 C

(4) P.G. 74, 925 C.

(5) P.G. 75, 1092

وحدة روحية] (٦).

وهكذا يتحقق القصد النهائي من الخليقة كلها :

+ [إن كل الأشياء تُستعاد إلى الآب من الإبن بواسطة الروح القدس] (٧).

(ب) الروح القدس يغيّرنا إلى صورة الآب والإبن :

١ ـ الروح القدس هو صورة الإبن و بالتالي فهو يغير الذين يحل فيهم بالضرورة إلى صورة الإبن :

+ [الروح القدس هو الصورة الكاملة لجوهر الإبن] (٨).

+ [الروح هو صورة الإبن الكاملة والطبيعية . فحينما تتجدد صورتنا بالقداسة بفعل هذا الروح فنحن في الواقع نتغير إلى صورة الله . وهذا هو ما يقوله الرسول : «ياأولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم» . فالمسيح يتصور فينا بالروح القدس الذي يجدد شكلنا بحسب الله] (٩).

+ [الإبن يجعل الذين يقبلونه مشابهين له ، بواسطة الروح القدس] (١٠).

+ [المسيح يجددنا على صورته الخاصة ، بواسطة الروح القدس] (١١).

٢ ـ لكن الإبن نفسه هو صورة الآب ، ولذلك فالروح القدس يغيّرنا أيضاً حتماً إلى صورة الآب :

+ [الروح القدس يجعل الذين يحل فيهم مشابهين لصورة الآب التي هي الإبن] (١٢).

+ [المسيح يتصور فينا بفعل الروح القدس ، الذي يرسم في نفوسنا صورة إلهية في البر والقداسة . و بذلك ينطبع فينا رسم جوهر الله الآب (لأن المسيح هو

---

(6) P.G 74, 577 A

(7) P.G 74, 541 D قارن مع ١ كو١٥ : ٢٨

(8) P.G 74, 541 C.

(9) P.G. 75, 1088 B sq.

(10) P G 73, 885 A.

(11) P.G. 75, 808 B.

(12) P G 74, 541 C.

رسم جوهر الآب كما ورد في عب ١ : ٣)، بفعل الروح القدس الذي يوحدنا به بالقداسة] (١٣).

+ [الذي يقبل الروح القدس الذي هو صورة الإبن فهو يقبل به الإبن ، و بذلك أيضاً يقبل الآب الذي في الإبن] (١٤).

(جـ) الروح القدس يمثل صفة القداسة في الثالوث:

إن الثالوث كله قدوس بكل تأكيد (١٥).

غير أن الروح القدس «هو بنوع ما صفة القداسة في الله» (١٦)، فهو «القوة التقديسية التي تنبثق من عند الآب وتكمل الناقصين» (١٧).

إن الثالوث كله حقاً هو الذي يقدسنا، غير أنه يقدسنا بواسطة الروح القدس الذي هو بطبعه الجوهر التقديسي في الثالوث (١٨).

فهو، إن جاز القول، صفة الله الآب، كما أن الحلاوة صفة العسل والرائحة الزكية صفة الزهرة (١٩).

وجميع هذه التعبيرات تعود بنا في الواقع إلى المعيار الأساسي: «من الآب بالإبن في الروح القدس».

غير أنها تبرز أيضاً بنوع خاص دور الروح القدس في تقديس الخليقة.

+ [إن لقب «القدس» الذي نلقب به «الروح القدس» لا يدل فقط على كرامة أو امتياز عرضي منسوب له، كمثل ألقاب «الرؤساء والكراسي والسلاطين» التي نعطيها للأرواح المخلوقة، بل هو بالحري اسمه الخاص الدال

(13) P G 70, 936-937
(14) P G 75, 572 A
(15) P.G 75, 1120 A
(16) P.G 74, 292 D
(17) P G 75, 597 A
(18) P G 74, 292 D, 452 D sq, P G 75, 596 CD-597 A.
(19) P.G 75, 596 A

على صفته الجوهرية كمثل إسم «الآب» للآب وإسم «الإبن» للإبن] ([20]).

فالقداسة (وبالتالي القوة التقديسية) هي الصفة الجوهرية للروح القدس كالأبوَّة للآب والبنوَّة للإبن، غير أنه كما رأينا لا يباشرها بمعزل عن الآب والإبن، بل دائماً في شركة معهما.

شركاء الطبيعة الإلهية:

إن الصورة الإلهية التي يطبعها الروح القدس في أعماقنا تبلغ من العمق حتى تجعلنا بالحق «شركاء الطبيعة الإلهية»، بحسب عبارة القديس بطرس([21]) (٢بط ١: ٤).

فنحن نصير بالحق شركاء في الألوهة.
إننا طبعاً لا نكون آلهة بالطبيعة([22])، ولا نتحول إلى الطبيعة الإلهية([23]).
ولكننا على الرغم من ضعفاتنا ومن بشريتنا التي لا نفقدها([24])، ننال بالحق شيئاً إلهياً يرفعنا فوق طبيعتنا الخاصة([25]).

وهذه الشركة في الألوهة θέωσις كانت معتبرة في عصر الآباء حقيقة شائعة متفق عليها من الجميع، حتى أن القديس كيرلس (كالآباء الذين سبقوه أيضاً) يرتكز عليها ليثبت ألوهية الروح القدس: إذا كان الروح القدس يؤلهنا فهو الله بكل تأكيد([26]).

---

(20) P.G 75, 1121 B

(21) P.G 74, 452-453; P G. 68, 785, P G. 69, 1056; P G 70, 1144; P.G 71, 932; P G. 75. 1089 sq.; P.G 76, 108, 248.

(22) P.G 75, 200, 201, P G 73, 464; P G 69 1205

(23) P G. 75, 200, 205 (24) P G 76, 285 (25) P G 75, 905

(26) P G. 73, 244, P.G 74, 260; P G 75, 569, 585, 592. 609, 1097

وبطريقة أعم يستند القديس كيرلس في مواضع أخرى على قدرة الروح القدس على التقديس ليثبت ألوهيته. فهو يقول ما معناه: إن كان الروح القدس يقدسنا، فهو قدوس بطبيعته، ولذلك فلابد أن يكون هو الله بالحقيقة.

(P.G 75, 569 D sq, 609 D, 749 D sq, 905 A, 1085 B, 1088 B sq, 1098 sq)

لا يمكن أن يعطى النور بدون نور(٢٧).
ولا يمكن أن تشتعل نار بدون نار(٢٨).
ولذلك أيضاً لا يمكن أن يعطينا الروح القدس شركة في الألوهة، بدون أن يكون هو نفسه الله.

و بفعل هذه الشركة في الطبيعة الإلهية، التي نتالها بالروح القدس، نحن نصير أبناء الآب السماوي بالتبني وأخوة ليسوع المسيح(٢٩).

فإن كان المسيح قد دعانا إخوة له، فليس ذلك فقط لأنه هو أخذ الذي لنا أي طبيعتنا البشرية بل بالأكثر جداً، لأنه أعطانا الذي له، أي جعلنا شركاءَ في طبيعته الإلهية(٣٠).

ثم إن كنا إخوة ليسوع المسيح، فنحن بالتالي أبناء الآب السماوي(٣١).
وهكذا تصير شركة الطبيعة الإلهية، التي نلناها بالروح القدس، هي أساس أُخوَّتنا ليسوع المسيح و بنوَّتنا للآب السماوي.

هذه هي الكرامة العليا التي أدركت الإنسان المسيحي: أن يكون هيكلاً للروح القدس، وأخاً ليسوع المسيح، وإبناً للآب السماوي!

وبهذا يمتاز على أبرار العهد القديم، الذين لم ينالوا مثلنا روح التبني بل فقط «روح العبودية للخوف»(٣٢).
وكذلك يمتاز على الأنبياء الذين وإن كانوا يتنبأون بفعل الروح القدس، لكنهم لم يُدْعَوا قط مثلنا هياكل لروح الله(٣٣).

---

(27) P G 75, 592 D

(28) P G 75, 1085 B

(29) P G 75, 525, P G 74, 753, P G 73, 153, 884, P.G 69, 721, P G 76, 125 A sq

(30) P G 76, 125 A sqq

(31) P G 73, 153 B sqq

(32) P.G 73, 156, P G 68, 488, P G 69, 233 AB, P G 70, 17 C, P G 72, 617 D sq

(33) P G 73, 757 A

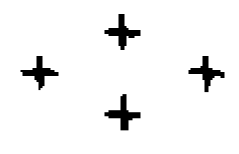
بل ويمتاز حتى على يوحنا المعمدان «أعظم مواليد النساء»، فإن الأصغر في ملكوت السموات أي الطفل الذي اعتمد حديثاً أعظم منه:

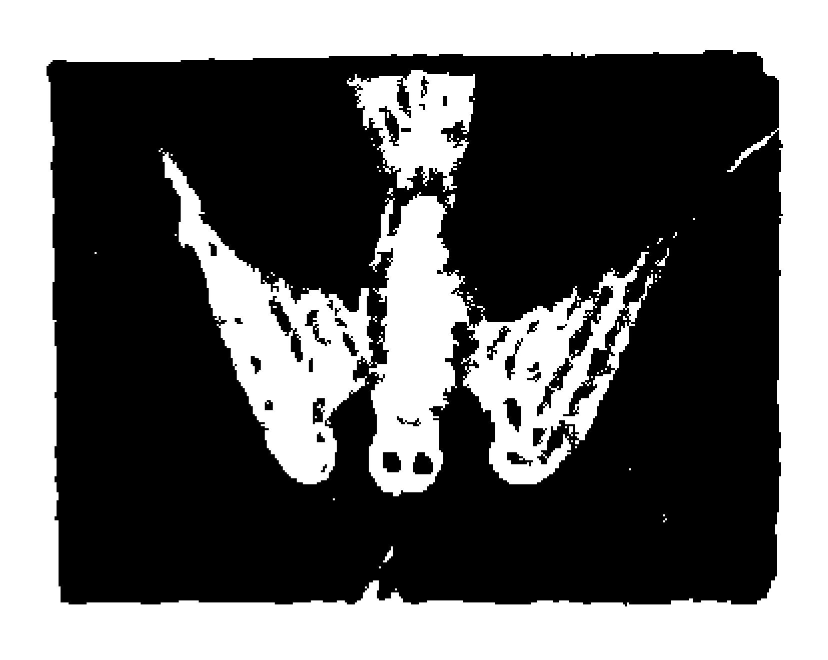
[كيف ينبغي أن نفهم قول المخلِّص: «إن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه؟» ما هو ملكوت السموات؟

إنه عطية الروح القدس بحسب المكتوب: «إن ملكوت السموات فيكم» وبالفعل الروح القدس يحل فينا بالإيمان.

أترون كيف يرفع المخلِّص فوق جميع مواليد النساء الأصغر في ملكوت السموات؟

ولكن لا يظن أحد أننا نريد أن نقلل من فضيلة يوحنا المعمدان، فإن حُسن سيرته لا يُجارَى، فقد بلغ منتهى حدود البر الممكنة للبشر. غير أنه كان يتوسل لدى المسيح قائلاً: أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليَّ. أترون كيف أنه يطلب أن يتجدد بالروح القدس؟ أترون كيف أنه يعترف بامتياز أولئك الذين تجددوا بالروح القدس؟ ولذلك قال المسيح إن الأصغر في ملكوت السموات، أي الذي تعمَّد حديثاً ولم يمارس بعد أية فضيلة هو أعظم منه. لأن المعمدان كان مولوداً من المرأة، **وأما المعتمد فهو مولود من الله وشريك في الطبيعة الإلهية، وهو يقتني الروح القدس ويُدعى هيكلاً لله**] (٣٤).





---

(34) P G 73, 757

هل يحل الروح القدس فينا بقوته فقط أم بجوهره؟

سنجد في أقوال القديس كيرلس الإجابة الواضحة لهذا السؤال. غير أننا نريد قبل أن نستعرض أقواله في هذا الصدد أن ننبه ذهن القارىء إلى ضرورة التمييز بين معنيين دقيقين مختلفين تماماً، هما **الحلول الجوهري والإتحاد الجوهري**.

فالحلول الجوهري معناه أن الروح القدس يحل فينا بجوهره الإلهي الخاص، وهذا المعنى سنرى القديس كيرلس يؤيده بحسب الآية القائلة: «أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم».

أما عبارة «**الإتحاد** الجوهري» فهي جد خطيرة لأنها تفتح المجال للزعم بأننا نتحول إلى جوهر الله أو نصير من جوهره. ولقد كان القديس كيرلس حريصاً جداً في عدم استخدام عبارة «**الإتحاد** الجوهري» (وما يماثلها) فيما يخص علاقتنا نحن بالله وحصر استخدامها فيما يخص:

١ ــ اتحاد الإبن بالآب: فهو يدعوه «اتحاداً جوهرياً وطبيعياً» (١).

οὐσιώδη τε καὶ φυσικὴν τὴν ἕνωσιν

٢ ــ اتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص المسيح: فقد كان شُغله الشاغل ضد نسطور أن يفرق تماماً بين **الإتحاد الأقنومي** الذي تم في المسيح، وبين **الإتحاد بالمشاركة** الذي يتم فينا.

فهو يدعو الأول «اتحاداً بحسب الجوهر» (٢) ἕνωσις κατ' οὐσίαν

ــ و«اتحاداً بحسب الطبيعة» (٣) ἕνωσις κατὰ φύσιν

ــ و«اتحاداً بحسب الأقنوم» (٤) ἕνωσις καθ' ὑπόστασιν

---

(1) P G. 74, 561 D, P G 75, 1012 A

(2) P G 76, 1453 B

(3) P.G 76, 1220 B

(4) P G. 77, 120 C

ـ و« اتحاداً طبيعياً » (٥) ἕνωσις φυσική

بينما يدعو الإتحاد العرضي بين النفس والروح القدس:

ـ « علاقة » (٦) σχέσις

ـ و« شركة » (٧) συνάφεια

ـ و« اتحاداً نسبياً » (٨) ἕνωσις σχετική

ـ و« مشاركة نسبية » (٩) μέθεξις σχετική

ـ و« ارتباط نسبي » (١٠) κόλλησις σχετική

وهكذا لم يستعمل قط عبارة « الإتحاد الجوهري » فيما يخص علاقتنا نحن بالله.

لذلك كان من اللازم قبل أن نقدم أقواله الخاصة بحلول الروح القدس فينا، أن ننبه ذهن القارىء إلى ضرورة التفرقة الواضحة بين « **الحلول** الجوهري » و« **الإتحاد** الجوهري ». فبينما رأينا القديس يمتنع تماماً عن استخدام العبارة الثانية فيما يخص علاقتنا بالله، سنراه في الأقوال القادمة **يؤكد بإلحاح أن الروح القدس لا يعمل فينا فقط بقوته بل يحل فينا أيضاً بجوهره الخاص.**

وجدير بالذكر أن القديس كيرلس لا يبتكر بذلك شيئاً جديداً، بل يتمسك بما قاله الآباء السابقون له. **فمثلاً** نجد لدى القديس غريغوريوس النزينزي **قولاً** صريحاً جداً بهذا المعنى:

[لم يعد الروح الآن يحل **بقوته** فقط كما كان في القديم بل **جوهرياً** ـ كما قد

(5) P G. 77, 120 C

(6) P G 75, 1089 C, 1096 CD

(7) P G 75, 1089 C, 597 C

(8) P.G 76, 408 C

(9) P G 73, 1032 C, P G 77, 112 C

(10) P G. 74, 333 A, P G 69, 497 C

يُقال ــ هو يعايشنا و يسكن معنا] [11].

وقد قام العالم بتافيوس Petavius في القرن السابع عشر بتجميع ودراسة جميع أقوال الآباء الخاصة بحلول الروح القدس فينا.

وقد أفرد لهذا الموضوع عدة فصول من كتابه عن الثالوث [12]. وقد خرج من هذه الدراسة لأقوال الآباء عن حلول الروح القدس فينا بالنتيجة التالية:

«إن الروح القدس لكي يقدسنا لا يعمل في نفوسنا بقوته فقط بل يكون حاضراً بجوهره أيضاً حضوراً حقيقياً».

و يعلّق الأب Mahé اليسوعي [13] على هذه الصيغة التي لخص بها العالم بتافيوس رأي الآباء فيما يخص حلول الروح القدس فينا قائلاً: «إن العقيدة التي تعبّر عنها هذه الصيغة تعتبر عقيدة ثابتة يوافق عليها جميع اللاهوتيين الكاثوليك». ذلك لأنها شائعة في أقوال الآباء لدرجة يمتنع معها على أي لاهوتي يؤمن بالتقليد الكنسي أن يطعن فيها.

و يستطرد الأب Mahé قائلاً: «هذه هي النقطة الأساسية في لاهوت القديس كيرلس فيما يخص علاقتنا بالروح القدس. إنها هي الفكرة الرئيسية التي بدونها لا يمكن فهم شيء مما يقوله القديس كيرلس في هذا الموضوع».

ثم يعرض أقوال القديس بهذا الخصوص:

١ ــ [لكي يقتني أحد بحلول وسُكنى ذاك الذي بالحقيقة هو الله بطبيعته (يقصد المسيح)، لا يكفي أن يقبل روحاً مختلفاً عن الله أو ليس من جوهره (أي مجرد نعمة أو قوة)، **بل الروح نفسه الذي من الله والذي في الله أي روح الله الخاص** ἴδιον αὐτοῦ] [14].

---

(١١) عظة ٤١ عن عيد الخمسين فقرة ١١ οὐκ ἔτι ἐνεργείᾳ παρὸν, ὡς πρότερον, οὐσιωδῶς δὲ, ὡς ἂν εἴποι τις, συγγινόμενόν τε καὶ συμπολιτευόμενον (P G 36, 444 C)

(12) PETAVIUS, De Trinitate viii, 4-7, Dogm theolog éd VIVÈS, t III p 453-495

(13) MAHÉ, op cit p 473 n 1

(14) P G 75, 1093 A.

٢ ــ [فهذه القوة التقديسية بعينها، الصادرة بطبيعتها من عند الآب، والمانحة الكمال للناقصين، هي التي ندعوها الروح القدس. فمن النفاية، كما يظهر، أن نتصور قوة أخرى متوسطة (يستخدمها الروح القدس) ليقدّس بها الخليقة، إذ أنه ليس كثيراً على محبة الله أن تُظهر ذاتها للمتواضعين وتقدسهم بالروح القدس...
فالروح إذن يعمل فينا **بذاته** Αὐτουργὸν ἄρα τὸ πνεῦμα ἐν ἡμῖν
(بذاته أي ليس بمجرد نعمة أو قوة منه) ليقدسنا و يوحدنا بنفسه بالشركة معه ويجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية](١٥).

٣ ــ و يقول في تفسيره لإنجيل القديس يوحنا بخصوص الآية ١ : ١٣ «الذين ولدوا ليس من دم... بل من الله» :

[لقد صرنا شركاء الطبيعة الإلهية، ودعينا مولودين من الله، ولذلك أيضاً نسمى آلهة. **إننا لم نرتقِ إلى هذا المجد الفائق لنا بمجرد نعمة (من الله)، بل لأننا منذ الآن نقتني الله أيضاً حالاً وساكناً فينا**، فنحن هياكل الله، كما يقول بولس، لأن لنا روح الله ساكناً فينا](١٦).
οὐ χάριτι μόνον εἰς τὴν ὑπὲρ ἡμᾶς ἀνιπτάμενοι δόξαν

٤ ــ أما بخصوص الآية ٧ : ٣٩ «لأن الروح لم يكن قد أُعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجّد بعد»، فيقول :

[لقد كان في الأنبياء القديسين استنارة شديدة وغنية من الروح تعلمهم كشف المستقبل ومعرفة الخفيات. أما الذين يؤمنون بالمسيح **فلا تسكن فيهم فقط استنارة سخية من الروح، بل نؤكد بثقة أن الروح نفسه هو الذي يحل و يسكن فيهم**](١٧). ἀλλ᾽ αὐτὸ κατοικεῖν τὸ πνεῦμα

٥ ــ [**الروح القدس لا يرسم فينا الصورة الإلهية كأنها مختلفة عن جوهره الخاص**، كما يفعل الرسام الذي يرسم صورة تختلف عن ذاته، ليس بهذه الطريقة يجعلنا الروح على صورة الله. بل بالحري لأنه هو نفسه الله ومنبثق من

---

(15) P G 75, 597 AC
(16) P G 73, 157 B
(17) P G 73, 757 AB

الله ، **فهو يطبع ذاته** بطريقة غير منظورة في قلوب الذين يقبلونه كمثل ما يطبع الختم ذاته على الشمع](١٨).

٦ ـــ و يقول في الحوار السابع من كتابه في الثالوث:

[أ ـــ إذن فأنت تدّعي أن الروح القدس لا ينطبع فينا بل فقط النعمة التي يمنحها ؟

ب ـــ يبدو كذلك .

أ ـــ فكان ينبغي إذن أن يُدعى الإنسان صورة للنعمة بدلاً من أن يدعى صورة لله . ولكن الحقيقة أن نفوسنا لا تتجدد إلا بقبول صورة الله .

ب ـــ بدون شك .

أ ـــ ثم إذا كانت النعمة التي يمنحها الروح القدس هي شيء منفصل عن جوهره، فلماذا لم يقل موسى بوضوح أن الخالق عندما خلق الإنسان الأول قد نفخ فيه « النعمة » ؟ ، **ولماذا لم يقل المسيح : « اقبلوا النعمة بفعل الروح القدس ؟ »** .

لكن موسى يقول : « نسمة حياة » ، لأن الطبيعة الإلهية هي الحياة الحقيقية التي بها نحيا ونتحرك ونوجد ، والمخلص قال : « اقبلوا الروح القدس »... والروح القدس هو الذي يشكلنا من جديد على صورة الله **ليس كما من نعمة يستخدمها** οὐχ ὡς διὰ χάριτος ὑπουργικῆς **بل بإعطاء ذاته هو نفسه** للذين يستحقونه كشركة في الطبيعة الإلهية .

ب ـــ ليس لي شيء أعارض به .

أ ـــ بل أننا مدعوون هياكل الله وآلهة ، ونحن بالفعل كذلك . كيف يكون ذلك ، ليُجبْ الذين يقاوموننا ، كيف يكون ذلك **إذا كنا لم نشترك بالحقيقة سوى في نعمة مجردة وغير أقنومية ؟**

εἴπερ ἐσμὲν ἀληθῶς ψιλῆς καὶ ἀνυποστάτου χάριτος μέτοχοι

ولكن ليس الأمر كذلك .

---

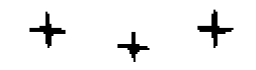
(18) P G 75, 609 D

بل نحن هياكل للروح **الكائن بجوهره** حقاً، ونحن نُدعى آلهة بسببه لأننا باتحادنا به نشترك في الطبيعة الإلهية] (١٩).

وهناك أقوال أخرى عديدة بهذا المعنى وكلها تدلنا بوضوح أن القديس كيرلس يرى أن الروح القدس يحل فينا بجوهره الخاص وليس فقط بمجرد نعمة أو قوة منه (٢٠).

+ + +

لقد اقتصرنا في هذا المقال على دراسة أقوال القديس كيرلس دون غيره من الآباء. ولكن لا ينبغي أن يُظن من ذلك أن رأيه منفرد في وسط الآباء، فهذا يتنافى مع إحدى الصفات الأساسية لطبيعة القديس كيرلس وهي محبته الشديدة للتقليد. فقد أشرنا في بداية المقال أن أفكاره تعكس لنا تعاليم القديسين أثناسيوس و باسيليوس وغريغوريوس النزينزي، غير أنه صاغها صياغة جديدة وصبغها بعبقريته الروحية.





(19) P G 75, 1088 B sq

(20) P G 69, 233 B sq, P G 74, 260 ABC, 261 D sq, P G 75, 801 B, etc

الروح القدس روح الوحدة
في التقليد الكنسي
حتى عصر القديس كيرلس الكبير

أعد هذه المقالة وترجم نصوصها من الفرنسية واليونانية
أحد الآباء بالدير وراجعها الأب متى المسكين
مايو ١٩٨٠



العناصر

تقديم:

[الروح القدس يجمع و يوحد.
إذا لم تخضع النفس للروح القدس، يستحيل أن تنجمع وتتحد بنفس أخرى...
الإنسان في الروح القدس يتنازل عن فرديته، و ينجمع بالآخر ين بفعل المحبة ــ والمحبة تنسكب دائماً من الروح القدس في القلب المفتوح للآخر ين.
يستحيل أن يتقابل إنسانان في الروح القدس على سبيل الإتحاد، إلا إن كان فيهما واحد على الأقل قد أخلى نفسه! والإخلاء بالنهاية هو حالة ملء بالروح القدس] (١).

لقد وُلدت الكنيسة من الروح القدس في يوم الخمسين لما كان الجميع معاً

ἐπὶ τὸ αὐτό   بنفس واحدة   ὁμοθυμαδόν

ومنذ ذلك الحين، لم يكف الروح القدس في الكنيسة عن السعي المستمر للمحافظة على وحدة جميع الأعضاء داخل الجسد الواحد.

فالروح القدس هو الذي يكوِّن جسد المسيح السري و يوحِّده (٢).

ولقد وعت الكنيسة منذ عصر الرسل دور الروح القدس الأساسي في نشأتها، ثم في المحافظة على وحدتها كجسد سري واحد للمسيح. ولقد توالى آباء الكنيسة من بعد

---

(١) من كتاب « الباراكليت »: [الروح القدس هو الذي يوحِّد الأفكار فلا سبيل إلى تقابل الناس جميعاً في المسيح الواحد الحقيقي إلا إذا تقابل الناس بالروح أولاً على صعيد المحبة ... الروح القدس أملنا الوحيد لتجميع القلوب في شخص يسوع ...] (ص ٤٥٦/ ٨٤).

(٢) من كتاب « العنصرة »: [الروح القدس يوحِّد البشرية كلها في جسم واحد فيزيل جميع الفوارق الجنسية و يرفع الحواجزالحواجز العنصرية فتذوب كلها وتصير البشرية كأنها عُجنت من حديد عجينة واحدة متجانسة، وذلك بفعل الإتحاد في جسد المسيح السري] (ص١٧٢/ ٣٨).

وأيضاً: [الإتحاد بالكنيسة يعني بلا شك الإتحاد بالجسد الإلهي ... لا يمكن الإتحاد بالجسد الإلهي إلا بتوسط الروح القدس ... إذن فمجيء الروح القدس أمر لازم لإتحادنا بالكنيسة] (ص ١٥٣/ ١٩).

الرسل في استيعاب هذه الحقيقة وشرحها للمؤمنين والسلوك بمقتضاها.

وفي هذه المقالة سنستعرض دور الروح القدس في توحيد الجسد الإلهي، كما جاء أولاً في الكتاب المقدس، ثم عند آباء الكنيسة السابقين للقديس كيرلس الكبير، وأخيراً نستعرض نفس هذا الموضوع في كتابات القديس كيرلس الكبير.

+ + +



أولاً ـــ في الكتاب المقدس

في العهد القديم:

+ « هوذا ما أحسن وما أحلى أن يسكن الإخوة معاً مثل دهن الطيب على الرأس النازل على اللحية ... » (مز١٣٣ : ١، ٢).

هذه أول إشارة جاءت في العهد القديم عن العلاقة بين الروح القدس ووحدة الجماعة وتوافقها. فالروح القدس ينسكب بلا مانع على الجماعة المتآلفة بنفس واحدة ــ كما سنرى في يوم الخمسين (أع ٢ : ١)، ولكنه يحزن و ينحبس حينما تنشب الخصومات ــ كما سنرى في (أف ٤ : ٣٠، ٣١). وأفضل تعليق يمكننا أن نقدمه على هذا المزمور هو تفسيره بواسطة القديس أثناسيوس الرسولي:

[« هوذا ما أحسن وما أحلى... كالطيب الكائن على الرأس النازل على اللحية ». إنه يقصد بذلك أنه حينما **تلتئم الكنيسة وتصير واحدة بنوع من التوافق، فحينئذ، وبالتحديد، تنسكب مسحة الروح القدس** والكهنوت، أولاً على رأس الكنيسة الذي هو المسيح، ثم على اللحية التي هي وقار وجه الكنيسة إشارة إلى الرسل، وأخيراً تصل إلى كل الجسد أي إلى كل الذين يندمجون بالمسيح داخل الكنيسة.

«لأن هناك أمر الرب بالبركة والحياة إلى الأبد». بقوله « هناك » واضح أنه يعني عند « الإخوة الذين يسكنون معاً »، « والحياة » التي يعنيها ليست الفانية بل الخالدة، لأن ندى الروح القدس المحيي قد انحدر على (علية) صهيون على الرسل القديسين و به قد ربح جميع المؤمنين البركة الأبدية إذ كان لهم « **قلب واحد ونفس واحدة** » (أع ٤ : ٣٢)][٣].

وجدير بنا أن نورد هنا أيضاً تعليق الكنيسة على هذا المزمور في تسبحة باكر لأنه من أبهج ما يمكن:

---

(٣) مكتبة الآباء اليونان (المطبوعة في اليونان) جزء ٣٢ ص٢٨٦.

[ها ما هو أحسن وما هو أحلى من مسرة الإخوة الساكنين معاً **المتوافقين في سيمفونية** ϵⲧⲉⲣⲥⲧⲩⲙⲫⲱⲛⲓⲛ بمحبة حقيقية إنجيلية مثل الرسل، مثل الطيب على رأس المسيح النازل على اللحية إلى أسفل القدمين، يمسح كل يوم الشيوخ والصبيان والفتيان والخدام، هؤلاء الذين **آلفهم الروح القدس معاً مثل قيثارة،** مسبِّحين الله بمزامير وتسابيح وأغاني روحية في النهار والليل بقلب لا يسكت].

فهذا التوافق الذي يشبه التوافق الموسيقي (لاحظ عبارة متوافقين في سيمفونية... وآلفهم الروح القدس مثل القيثارة) هو من صميم عمل الروح القدس في الجماعة المتحدة المتحابة.

+ في نبوة إشعياء:

«ويخرج قضيب من جزع يسى... ويحل عليه **روح الرب،** روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب...

فيسكن الذئب مع الخروف و يربض النمر مع الجدي... ويجمع منفيي **إسرائيل** و يضم مشتتي **يهوذا**... فيزول حسد **افرايم** (إسرائيل) و ينقرض المضايقون من **يهوذا، افرايم لا يحسد يهوذا ويهوذا لا يضايق افرايم**».

(إش ١١: ١-١٣).

+ في نبوة حزقيال:

«فقال لي تنبأ... هكذا قال السيد الرب لهذه العظام: هانذا **أُدخل فيكم روحاً** فتحيون... فتنبأت كما أُمرت. و بينما أنا أتنبأ كان صوت، **وإذا رعش، فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه**».

(حز٣٧: ٤-٧).

يظهر هنا أن أول مفعول للروح في العظام اليابسة هو أن يصير فيها رعش، فتتقارب كل عظمة إلى عظمها. ثم إن هذا التقارب بعينه يشجع الروح لأن يعمل فيها أكثر:

«فقال لي تنبأ للروح ياابن آدم وقل للروح: هكذا قال السيد الرب هلم ياروح من الرياح الأربع وهبّ على هؤلاء القتلى ليحيوا. فتنبأت كما أمرني فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً» (حز٣٧: ٩، ١٠).

هذه النبوة الصريحة عن دور الروح القدس في القيامة لا تقلُّ في وضوحها عن أقوى ما سيقوله بولس الرسول فيما بعد في هذا الموضوع:

«وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة بروحه الساكن فيكم» (رو٨: ١١).

غير أن الإلهام النبوي لا يقف عند هذا الحد بل يكشف أيضاً أن أهم نتيجة للقيامة الروحية التي تتم بحلول الروح القدس، إنما هي أن يصير الجميع واحداً، إذ أن الرب أمر النبي في نفس الأصحاح بأخذ عصوين:

«واقرنهما الواحدة بالأخرى كعصا واحدة فتصيرا واحدة في يدك... وقل لهم هكذا قال السيد الرب هانذا آخذ عصا يوسف... وأضم إليها عصا يهوذا وأجعلهما عصا واحدة فيصيرون واحداً في يدي... وأصيرهم أمة واحدة... وملك واحد يكون ملكاً عليهم ولا يكونون بعد أمتين ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين... و يكون لجميعهم راعٍ واحد» (حز٣٧: ١٧-٢٤).

وبهذا يبلغ الإلهام النبوي ذروته بإعلان الوحدة العتيدة أن تصير في الشعب إذا ما انسكب الروح عليهم بمثل ما انسكب على العظام اليابسة. على أن ما يجذب الإنتباه في هذه النبوة هو تقارب تعبيراتها مع ما سيأتي في العهد الجديد.

فاقتران العصوين الواحدة بالأخرى حتى تصيرا كعصا واحدة، هو تعبير تصويري

يساوي تماماً قول بولس الرسول: «جعل الإثنين واحداً». ثم لا نستطيع أن نسمع قول حزقيال: «و يكون لجميعهم راعٍ واحد» دون أن نتمثل الرب يسوع قائلاً: «أنا هو الراعي الصالح... وتكون رعية واحدة لراعٍ واحد» (يو ١٠: ١١، ١٦).

\+ + +

في العهد الجديد

+ في أعمال الرسل:

بينما كان الرسل في علية صهيون ينتظرون حلول الروح القدس كوعد الرب كانوا جميعاً يصلون بنفس واحدة:

\+ « هؤلاء كلهم كانوا يواظبون على الصلاة **بنفس واحدة** ὁμοθυμαδόν » (أع ١: ١٤).

\+ « ولما حضر يوم الخمسين **كان الجميع معاً بنفس واحدة**» (أع ٢: ١).

ἦσαν ἅπαντες ὁμοθυμαδὸν ἐπὶ τὸ αὐτό.

من هذا يظهر أن وحدة التلاميذ **معاً بنفس واحدة** في جو من الصلاة، كانت أنسب وضع استقبلت به الكنيسة ميلادها الجديد بفعل الروح القدس.

ثم نقرأ في بقية أعمال الرسل كيف أن الروح القدس بعد الخمسين قد زكى هذه الوحدة الروحية وضم إليها جميع الذين آمنوا:

\+ « وجميع الذين آمنوا **كانوا معاً** ἐπὶ τὸ αὐτό وكان عندهم كل شيء مشتركاً... وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل **بنفس واحدة** ὁμοθυμαδόν » (أع ٢: ٤٤ و٤٦).

\+ « فلما سمعوا رفعوا **بنفس واحدة** ὁμοθυμαδόν صوتاً إلى الله...» (أع ٤: ٢٤).

\+ « وكان لجمهور الذين آمنوا **قلب واحد ونفس واحدة** καρδία καὶ ψυχὴ μία ولم يكن أحد يقول أن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً...» (أع ٤: ٣٢).

\+ « وكان الجميع **بنفس واحدة** ὁμοθυμαδόν في رواق سليمان» (أع ٥: ١٢).

وهكذا نرى أن عبارة «بنفس واحدة» ὁμοθυμαδόν تكاد تكون أكثر عبارة مميزة لسفر أعمال الرسل، حتى أن قرار الرسل في أول مجمع كنسي في أورشليم كان «بنفس واحدة» بفعل الروح القدس:

+ «رأينـا وقد صرنا **بنفس واحدة** ὁμοθυμαδόν ...لأنه قد رأى **الروح القدس** ونحن» (أع ١٥: ٢٥، ٢٨).

في رسائل بولس الرسول:

+ **«وجميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً»** (١كو١٢: ١٣).

هنا يصف بولس الرسول بكل دقة ما قد حدث في يوم الخمسين وما يحدث كل يوم بالمعمودية. في يوم الخمسين قد ضم الروح القدس اليهود مع الدخلاء من أكثر من أربعة عشر أمة مذكورة بأسمائها في سفر الأعمال (أع٢: ٩-١١)، وحوَّلهم جميعاً «إلى جسد واحد» في المسيح. ثم يبين أيضاً أن نفس هذا الشيء يحدث كل يوم بالمعمودية «وجميعنا بروح واحد **اعتمدنا** إلى جسد واحد».

فالروح القدس يعمل كل يوم في المعمودية لضم أعضاء جدد لجسد المسيح. فسواء كان في يوم الخمسين أو كل يوم في المعمودية، يظهر من الآية أن الروح القدس هو المسئول الأساسي عن تكوين جسد المسيح السري وتوحيد جميع الأعضاء الداخلين فيه.

روح الشركة:

«**وشركة الروح القدس** مع جميعكم» (٢كو١٣: ١٤).

«**إن كانت شركة ما في الروح**» (في٢: ١).

«وصاروا **شركاء الروح القدس**» (عب٦: ٤).

يظهر من هذه الآيات أن الروح القدس هو المسئول الأول والأساسي عن إقامة الشركة سواء كانت بين الإنسان والله، أو بين الناس و بعضهم البعض. ولذلك سنجد

الآباء مثل أمبروسيوس وأثناسيوس وكيرلس يكررون بلا ملل أن الروح القدس هو الذي يحقق فينا «شركة الطبيعة الإلهية» (٢بط ١ : ٤) وشركتنا بعضنا مع البعض.

+ «فأنواع مواهب موجودة ولكن **الروح واحد**... فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب **الروح الواحد** ولآخر إيمان **بالروح الواحد**...، ولآخر مواهب شفاء **بالروح الواحد**...، ولكن هذه كلها يعملها **الروح الواحد** بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء» (١ كو١٢ : ٤-١١).

هنا يكشف بولس الرسول صفة أساسية للروح القدس، وهي قدرته على أن يوزع نفسه على الكثيرين بدون أن ينقسم هو، وقدرته على التنوع في الكثيرين بمواهب متعددة بدون أن يفقد وحدته الجوهرية الأساسية. وبسبب هذه القدرة على أن يوزع نفسه على الكثيرين بدون أن ينقسم، يستطيع الروح أن يجعل الكثيرين الذين يقبلونه واحداً فيه. وسنجد في بقية هذه المقالة بعض الآباء مثل أمبروسيوس وباسيليوس وكيرلس الكبير يشرحون بتفصيل هذه الصفة الأساسية للروح القدس، أي قدرته أن يتوزع على الكثيرين بدون أن ينقسم بل إنهم يؤكدون على العكس أنه هو الذي بسبب عدم قابليته للإنقسام يجعل الكثيرين واحداً فيه.

+ «الذي فيه أنتم أيضاً **مبنيون معاً مسكناً لله في الروح**» (أف ٢ : ٢٢).

συνοικοδομεῖσθε... ἐν Πνεύματι

إننا مبنيون معاً «في الروح»، وليس فقط «بالروح».

فليس الروح هو فقط الذي يبني هيكلنا الجديد ــ الكنيسة ــ، بل هو أيضاً الوسط الإلهي الذي يكون بناؤنا الجديد مغموراً **فيه** بنوع ما، بصفة مستمرة «**مبنيون معاً في الروح**».

وبذلك يصير الروح هو الذي يوصِّل البناء كله بعضه ببعضه حتى تصير الكنيسة بصفتها أورشليم الجديدة «مبنية كمدينة متصلة بعضها ببعض» (مز١٢١ بحسب السبعينية)، أي تصير كلها متجانسة ومتصلة «كزجاج شفاف» (رؤ٢١ : ١٨، ٢١)،

وذلك لأن طبيعة خلقتنا الجديدة هي أن تكون باستمرار مغمورة «في الروح». «وأما أنتم فلستم في الجسد بل **في الروح**» (رو٨: ٩).

+ «**لا تُحزنوا روح الله القدوس ... ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح ...**» (أف ٤: ٣٠، ٣١).

يظهر هنا بولس الرسول أن أهم ما يحزن الروح القدس هو العداوة والغضب والسخط، وواضح بالتالي أن عكس ذلك هو الذي يفرّح الروح، لذلك يستطرد قائلاً: «بل كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض (مفهوم ضمناً لكي يفرح الروح) شفوقين متسامحين...».

والسبب في أن العداوة هي أهم ما يحزن الروح، هو أنها بالأساس مخالفة لطبيعة الروح الروحانية. فالعداوة في عرف الإنجيل «جسدانية» وأعمال العداوة تعتبر من «أعمال الجسد»، «وأما أعمال الجسد فهي... عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد...» (غل ٥: ٢٠). ولذلك فالذين يمارسون مثل هذه لا يكونون «روحيين» بل «جسديين» (أنظر ١كو٣: ١-٤).

+ «إن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً بحسب الروح لا نكن معجبين نغاضب بعضنا بعضاً ونحسد بعضنا بعضاً» (غل ٥: ٢٥و٢٦).
+ «مجتهدين أن تحفظوا **وحدانية الروح** برباط السلام. جسد واحد **وروح واحد**» (أف ٤: ٣).
+ «حتى أسمع أموركم أنكم تثبتون **في روح واحد** مجاهدين معاً **بنفس واحدة**» (في ١: ٢٧).

+ في كتابات يوحنا الرسول:

إن كان بولس الرسول قد أثبت أن الروح القدس هو **روح الشركة** فالقديس يوحنا الرسول يُظهر حدود هذه الشركة. إنها شركة بيننا و بين الله ثم أيضاً شركتنا

بعضنا مع بعض:
+ «فلنا شركة بعضنا مع بعض» (١يو١: ٧).
+ «ونخبركم بذلك لكي تكون لكم شركة معنا وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع إبنه يسوع المسيح» (١يو١: ٣).

والروح القدس هو المسئول الأساسي عن إقامة هذه الشركة بنوعيها.
+ «بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه» (١يو٤: ١٣).

+ ملحق: عن تلازم مفهومي الكنيسة والروح القدس في كتابات يوحنا الرسول:

نستطيع أن نتتبع في كتابات يوحنا الرسول تلازم مفهومي الكنيسة والروح القدس في عدة مناسبات، ليس على مستوى التصريح الواضح بل على مستوى التلميح السري، كما هي العادة في جميع كتابات القديس يوحنا، ولهذا السبب نعته التقليد «باللاهوتي» بسبب عمق الأسرار التي يشير إليها في سر والتي لا تظهر لأول وهلة عند القراءة السطحية.

ونستطيع أن نتلمس تلازم هذين المفهومين (الكنيسة والروح القدس) على الأقل في أربعة مواضع:
١. في موت المسيح على الصليب.
٢. في خروج الماء والدم من جنبه.
٣. في نفخة الروح القدس بعد القيامة.
٤. في سفر الرؤيا «الروح والعروس يقولان تعال».

وسنجد في هذه المواضع إشارات تزيد وضوحاً أو تقل عن تلازم مفهومي الروح القدس والكنيسة في فكر يوحنا اللاهوتي، ولكن من كثرة تكرار هذه الإشارات سنخرج بيقين أننا نجد عنده بلا شك البذور الأولى للمبدأ الذي بلوره إيريناوس فيما بعد قائلاً: «حيث يكون الروح القدس تكون الكنيسة وحيث تكون الكنيسة يكون

الروح القدس».

وجدير بالذكر أن إيريناوس قد استقى كل معرفته الروحية من بوليكاربوس الشهيد الذي كان تلميذاً مباشراً للقديس يوحنا(*):

١ ــ في موت المسيح على الصليب: يُظهر الرسول يوحنا أن موت المسيح على الصليب هو الذي كان يتوقف عليه انسكاب عطية الروح القدس «لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجّد (أي صُلب) بعد» (يو٧: ٣٩). وصَلْب الرب هو في نفس الوقت الذي تم به وحدة الجميع في المسيح، فقد مات الرب «ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحدٍ» (يو١١: ٥٢)، وقد قال هو نفسه: «أجذب إليَّ الجميع... مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت» (يو١٢: ٣٢،٣٣).

فالصليب إذن هو الذي بسببه يُعطَى الروح القدس، وهو الذي بسببه يتحد الجميع. أليس في هذا إشارة ضمنية إلى أن وحدة الجميع مرتبطة بمجيء الروح القدس؟

٢. في خروج الماء والدم من جنب المسيح: يعطي يوحنا أهمية كبرى لهذا الحادث الذي لم يهتم بقية الإنجيليين ولا حتى بذكره. «وللوقت خرج دم وماء. والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم» (يو١٩: ٣٥). ثم يعود في رسالته الأولى إلى تأكيد أهمية هذا الحادث «هذا هو الذي أتى بماء ودم يسوع المسيح. لا بالماء فقط بل بالماء والدم. والروح هو الذي يشهد فإن الذين يشهدون هم ثلاثة: الروح والماء والدم» (١يو٥: ٨).

و يتضح من هذا التركيز على هذا الحادث أن له أهمية لاهوتية أساسية في فكر القديس يوحنا. و يظهر من تلازم الروح مع الماء والدم أنه يرى خروج الروح القدس

(*) لقد كان إيريناوس يفخر بأنه يستطيع أن يصف الموضع الذي كان يجلس فيه بوليكاربوس الشهيد وكيف كان يحدّثهم عن علاقته بيوحنا و بقية الرسل (أنظر التاريخ الكنسي ليوسابيوس القيصري ٥: ٢٠: ٦و٧).

مع الماء والدم من جنب المسيح المطعون. وقد اعتبر كثير من الآباء أن القديس يوحنا يريد أن يشير بذلك إلى خروج أسرار الكنيسة أي المعمودية (الماء) والإفخارستيا (الدم)، و بالتالي إلى خروج الكنيسة نفسها بصفتها حواء الجديدة، من جنب المسيح المائت كما خرجت حواء الأولى من جنب آدم النائم (أغسطنيوس وكيرلس الأورشليمي وذهبي الفم وغيرهم حسب تحقيق العالم Lagrange).

والشيء الذي يهمنا أن نلاحظه في ذلك هو أن يوحنا يقرن الروح بالماء والدم و بالتالي يقرن مفهوم الروح القدس بمفهوم الكنيسة الممثّلة في أسرارها (الماء والدم)، كحقيقة واحدة متصلة.

٣. في نفخة الروح القدس بعد القيامة: يظهر يوحنا بوضوح أن المسيح لما نفخ الروح القدس على التلاميذ قد بدأ بذلك تأسيس الكنيسة، فقد أعطاهم مع الروح القدس سلطان الحل والربط «من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت»، وسلطان الكرازة «كما أرسلني الآب أرسلكم أنا» ومن هذا يظهر بوضوح أن بداية تأسيس الكنيسة كانت ملازمة لبداية قبولها الروح القدس.

٤. في سفر الرؤيا: الروح القدس والكنيسة متلازمان:

ـ «**والروح والعروس** يقولان تعال» (رؤ٢٢: ١٧).

ـ ثم إن كلاً من الروح القدس والكنيسة يمكن أن يوصف بالكثرة و بالوحدة في نفس الوقت: «يوحنا إلى **السبع الكنائس** التي في آسيا نعمة لكم وسلام من الكائن الذي كان والذي يأتي ومن **السبعة الأرواح** التي أمام عرشه ومن يسوع المسيح» (رؤ١: ٤). ثم يعود و يذكر كلاً منها في حالة المفرد «**والروح والعروس** يقولان تعال» (رؤ٢٢: ١٧).

وهذا يشير إلى أن الكنيسة تشترك مع الروح القدس في قدرته على أن يتوزع بدون أن ينقسم، فكما أن الروح يستطيع أن يتوزع على الكثيرين (سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض ــ رؤ٥: ٦) بدون أن يفقد وحدته الأساسية، هكذا الكنيسة أيضاً يمكنها أن تتوزع في أماكن كثيرة مع بقائها واحدة.

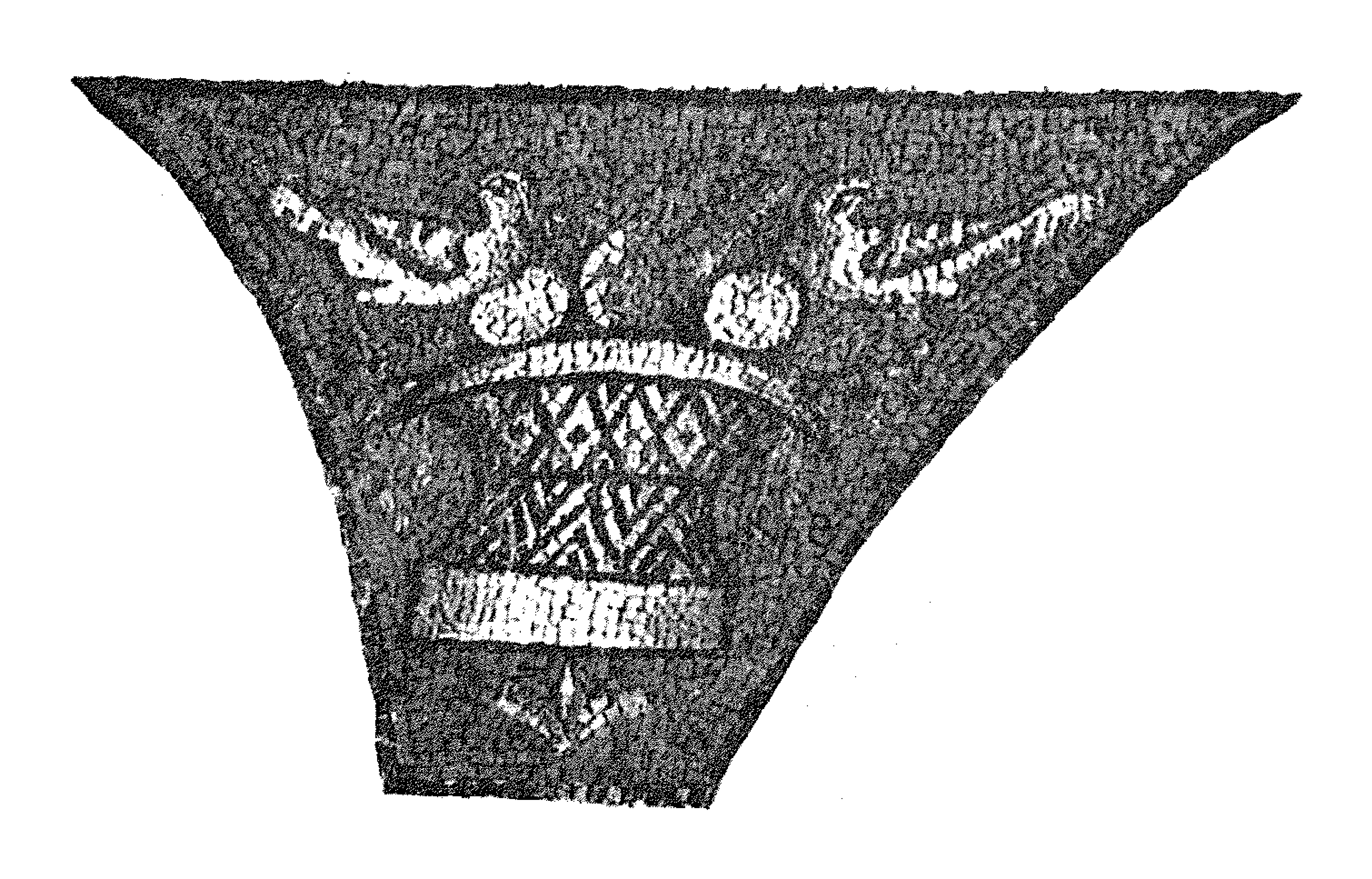
ــ وكل من الروح ومن الكنيسة يوصف بأنه «سبعة مناير» أو «سبعة مصابيح».

«**والمناير السبع هي السبع الكنائس**» (رؤ١ : ٢٠).

«وأمام العرش **سبعة مصابيح** نار متقدة هي **سبعة أرواح الله**» (رؤ٤ : ٥).

فمن كثرة هذا الترابط بين مفهومي الروح القدس والكنيسة يظهر بوضوح أنهما متلازمان في فكر يوحنا اللاهوتي، وأنه هو الأصل في المبدأ الذي بلوره إيريناوس فيما بعد قائلاً: «حيثما يكون الروح القدس هناك تكون الكنيسة وحيثما تكون الكنيسة هناك يكون الروح القدس».

* * *



ثانياً ــ عند آباء الكنيسة السابقين للقديس كيرلس الكبير

من الآباء الرسوليين

١. القديس أغناطيوس (استشهد حوالي سنة ١١٠م).

وهو من الآباء الرسوليين، أي الذين عاصروا الرسل وتتلمذوا على أيديهم، وقد صار أسقفاً وشهيداً، ومن أهم ما تميَّز به محبته الشديدة للإستشهاد، وللإفخارستيا، وللوحدة الكنسية. و بسبب هذه النقطة الأخيرة، نجده باستمرار يحث الكنائس التي يكتب إليها على حفظ وحدانية الروح، وفي رسالته إلى كنيسة فيلادلفيا يؤكد أنه لا يقول ذلك من نفسه ــ أي «بشرياً» ــ بل إن الروح هو الذي يتكلم بواسطته و يدعو الجميع إلى الوحدة:

[الذي من أجله أنا مقيَّد يشهد لي أني لا أقول ذلك بشرياً بحسب الجسد، بل إن الروح القدس هو الذي يكرز قائلاً: لا تصنعوا شيئاً بدون الأسقف... أحبوا الوحدة. إهربوا من الإنقسامات](٤).

فالروح القدس هو أكثر من تهمه وحدة الرأي و وحدة القلب بين المؤمنين. وهذا يذكِّرنا بما أظهره بولس الرسول من أن الروح يحزن على الخصوص بسبب الإنقسامات «لا تُحزنوا روح الله القدوس. ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح» (أف ٤: ٣٠و٣١).

من آباء الجيل الثالث

أبو التقليد الكنسي

٢. القديس ايريناوس (استشهد سنة ٢٠٠م):

وهو أسقف ليون (بفرنسا) الشهيد، ولكن أصله من آسيا الصغرى، وقد تتلمذ في

---

(٤) إلى فيلادلفيا ٧: ٢.

شبابه على پوليكار پوس الذي كان تلميذاً مباشراً ليوحنا الرسول. و يُدعى أباً للتقليد الكنسي، بسبب اهتمامه بأن يثبت أن الإيمان الذي تلقنه من الآباء الرسوليين هو بعينه الذي تلقنوه هم من الرسل مباشرة.

وقد كان إيريناوس (مثل أغناطيوس ومعظم آباء هذا العصر المبكر) مهتماً بنوع خاص بسر الوحدة الكنسية. وكان محور تعليمه هو أن غاية كل التدبير (تدبير ملء الأزمنة) هو أن ينجمع كل شيء تحت رأس واحد(٥) في المسيح بحسب ما جاء في (أف ١ : ١٠). وهو يرى أن الرب يحقق هذا الإنجماع الكلي في نفسه بواسطة الروح أي بأن يجعل الروح يسكن في الإنسان:

[لقد أدخل الرب في هذا الفردوس الحي (أي الكنيسة) الذين يطيعون دعوته، **وقد جمع تحت رأس واحد في نفسه كل شيء** ما في السموات وما على الأرض (أف ١ : ١٠)... فجميع هذه الأشياء قد جمعها وألّفها الرب في نفسه، **وذلك بأن وحّد بين الإنسان والروح وصار سبباً لسكنى الروح في الإنسان**](٦).

وهو بذلك يمتد بتعليم بولس الرسول و يوحنا اللاهوتي في أن الروح هو بالأساس **روح الشركة** الذي يقيم الشركة بيننا و بين الله وأيضاً شركتنا بعضنا مع البعض:

ـ شركتنا مع الله : [لقد فدانا الرب بدمه و بذل نفسه من أجل نفوسنا وجسده من أجل جسدنا **وأرسل لنا روح الآب**

---

(٥) أف ١ : ١٠ «تدبير ملء الأزمنة **أن يجمع** كل شيء في المسيح» والفعل اليوناني الوارد في هذه الآية بمعنى يجمع هو ἀνακεφαλαιόω وهو مشتق من كلمة κεφάλαιον أي رأس ولذلك تصير الترجمة الدقيقة للآية هي «أن **يجمع تحت رأس واحد** كل شيء في المسيح» (إرجع لعدد مجلة مرقس فبراير، مارس، أبريل ١٩٧٨ ص٧٧).

وجدير بالذكر أن ترجمة هذا الفعل باللاتينية recapitulare مشتق من كلمة caput أي رأس وقد انتقلت هكذا إلى جميع اللغات الحديثة المشتقة من اللاتينية للتعبير عن «تجميع كل شيء **تحت رأس واحد**» في المسيح (بالإنجليزية recapitulation).

(٦) ضد الهرطقات ٥ : ٢٠ : ٢.

ليقيم الوحدة والشركة بين الله والإنسان] (٧).

ــ وشركتنا بعضنا مع بعض : [بعد الصعود ، بحسب ما يقول لوقا ، نزل الروح القدس بقوة على الرسل ليعطي بواسطتهم الحياة لجميع الأمم و يفتح أمامهم العهد الجديد . ولذلك فقد **صار الرسل متحدين بعضهم ببعض** و بدأوا ينشدون نشيداً لله في جميع اللغات ، **وصار الروح يجمع في الوحدة القبائل المتفرقة** (أع٢ : ٩-١١) و يقدِّم للآب باكورة الأمم . فإن **الرب قد وعد أن يرسل لنا البارإقليط ليوحدنا مع الله . فكما أنه يستحيل أن تُعجن عجينة متماسكة من دقيق جاف بدون ماء ولا يمكن أبداً أن تصير خبزة واحدة ، هكذا أيضاً نحن الكثيرين لم يكن ممكناً أن نصير واحداً في المسيح يسوع بدون الماء الذي من السماء** (أي الروح القدس) ... فإن أجسادنا قد نالت هذا الإتحاد لعدم الموت بواسطة المعمودية وأما نفوسنا فتناله بواسطة الروح ... فهو العطية التي أخذها الرب من الآب وأعطاها للملتصقين به إذ سكب روحه القدوس على الأرض كلها] (٨).

فالروح القدس إذن هو المسئول الحقيقي عن إقامة الوحدة والشركة بيننا و بين الله و بيننا و بعضنا البعض . فهو يقوم بدور الماء الذي يوحِّد ذرات الدقيق لتصير عجينة واحدة وخبزة واحدة . على أن استخدام مثال الخبزة الواحدة للتعبير عن الوحدة

(٧) ضد المرطقات ٥ : ١ : ١ .

(٨) ضد المرطقات ٣ : ١٧ : ١و٢ .

الكنسية يرجع في الواقع إلى عصر بولس الرسول « فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد » (١ كو ١٠ : ١٧) ثم نجده أيضاً في الديداخي (تعليم الرسل ، من تسجيلات نهاية القرن الأول) :

[كما كان هذا الخبز مبعثراً فوق التلال ثم جُمع معاً وصار واحداً ، هكذا اجعل كنيستك تجتمع معاً من أقاصي الأرض إلى ملكوتك] (الديداخي فصل ٩).

على أن الفضل يرجع إلى القديس إيريناوس في أنه أضاف الجديد إلى هذا المثال التقليدي ، إذ أنه أوضح فيه دور الروح القدس في توحيد قلوب المؤمنين وشبهه بالماء الذي ينشيء قوة التجاذب والتماسك المتبادل بين ذرات الدقيق لتصير عجينة واحدة وخبزة واحدة(٩).

فالروح القدس إذن هو الذي يعطي الكنيسة كيانها الحقيقي ، حتى استطاع القديس إيريناوس أن يعبِّر عن ذلك باختصار في مبدئه المشهور:

[حيثما وُجدت الكنيسة وُجد الروح القدس ،
وحيثما وُجد الروح القدس وُجدت الكنيسة](١٠).

وكأنما الكنيسة في نظر إيريناوس تكون مرادفة لحلول الروح القدس ، وسبب ذلك أن الروح في جوهر كيانه هو روح شركة ، ولذلك يستحيل أن يحل على الناس إلا ويجعلهم جميعاً واحداً فيما بينهم ، كما يوحدهم أيضاً مع الله وهذا بعينه هو جوهر كيان الكنيسة .

---

(٩) وقد توالى كثير من الآباء بعد ذلك في إستخدام مثال الخبزة للتعبير عن الوحدة الكنسية . أنظر مثلاً ما يقوله ذهبي الفم : [كما أن الخبزة تتألف متحدة من حبات كثيرة حتى أن الحب لا يتبين قط إلا أنه موجود ، وبالإتحاد صار فرقه غير واضح ، هكذا يكون اتحادنا مع المسيح وأحدنا مع الآخر لأنك لا تتغذى أنت من جسد وذاك من جسد آخر بل نتغذى كلنا من الجسد الواحد نفسه] (عظة ٢٤ على ١ كو ١٠ : ١٧) .

(١٠) ضد الهرطقات ٣ : ٢٤ .

من آباء الغرب

وسنقدم منهم فقط أقوال القديسين كبريانوس وأمبروسيوس:

٣ . القديس كبريانوس (استشهد سنة ٢٥٨م).

وهو أسقف قرطاجنة، وقد صار شهيداً مثل أغناطيوس وإيريناوس، ومثلهما أيضاً كان مهتماً بالوحدة الكنسية بصفة خاصة، حتى أنه كتب كتاباً خاصاً بهذا الموضوع، يتساءل فيه: لماذا يظهر الروح القدس نفسه في هيأة حمامة؟ أليس لأنها رمز للسلام والوداعة التي هي من صفات الروح؟ أما ينبغي أن تتشبه الكنيسة أيضاً بها؟

[لقد كان الروح القدس ينظر إلى الكنيسة الواحدة لما قال في النشيد: «واحدة هي حمامتي كاملتي الوحيدة لأمها هي» (نش٦: ٩)... فإن المؤمنين ليس لهم سوى بيت واحد كنيسة واحدة. ولقد كان الروح القدس ينظر إلى هذا البيت الواحد وإلى التوافق الكائن فيه لما قال في المزمور: «الله يُسكن ذوي الرأي الواحد في بيت» (مز٦٧: ٧ حسب السبعينية)، أي في بيت الله في كنيسة المسيح، حيث تسكن النفوس البسيطة المتحدة والمتوافقة معاً. **ولهذا السبب يُظهر الروح القدس نفسه في هيأة حمامة**، لأن الحمامة طائر بسيط مبهج وليس فيه عنف أو عداء، فإنه لا يعتدي على أحد بأظافره ولا بمنقاره، بل يألف مساكن الناس و يُسر بالبيت الواحد. إن الحمام يربي فراخه معاً و يطير بعضه متقارباً ببعضه كأسرة واحدة و يظهر محبته بالتوافق، و بالإختصار يظهر أن له وجداناً واحداً. هكذا نحن أيضاً في الكنيسة لتكن لنا هذه البساطة وهذه المحبة التي تجعلنا مثل الحمام](١١).

فالروح القدس إذن يُظهر نفسه في هيأة حمامة لأن الحمامة هي رمز السلام، وسنرى فيما بعد القديس كيرلس الكبير يعود إلى الربط بين الروح القدس والسلام، و يقول إن الروح هو نفسه السلام، وأنه هو الذي كان يقصده الرب لما قال: «سلامي

---

(١١) في وحدة الكنيسة ٣ و ٥ .

أنا أعطيكم سلامي أترك لكم»، لأنه إن كان المسيح قد دُعي سلامنا (أف ٢: ١٤)؛ فالروح القدس الذي هو روح المسيح هو أيضاً بلا شك سلامنا، (تفسير يو ١٤: ٢٦ وسنعرض هذا القول حينما نقدم أقوال القديس كيرلس). وجدير بالذكر أن الربط بين الروح القدس والسلام يرجع أصلاً إلى القديس بولس الرسول الذي اعتبر السلام ثمرة أساسية من ثمار الروح القدس: «وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام...» (غل ٥: ٢٢).

٤ . القديس أمبروسيوس (٣٤٠–٣٩٧):

وهو أسقف ميلان. وكمثل بقية آباء نهاية القرن الرابع اهتم بالدفاع عن ألوهية الروح القدس، وقد وضع كتاباً في ذلك.

وهو يرى أن الروح القدس هو الذي يوصل لنا الحياة المنسكبة من عند الله أي «الحياة الأبدية»:

[إن الروح القدس هو ينبوع الحياة الأبدية](١٢).

[حيث يوجد الروج القدس توجد الحياة الأبدية،
وحيث تكون الحياة الأبدية فهناك يكون الروح القدس](١٣).

والحياة الأبدية هي بالأساس الدخول في شركة مع الله. لذلك يقول أيضاً إن الروح القدس هو الذي يدخلنا في شركة مع الله:

[إننا بالروح – كما يقول معلمنا بطرس – نصير شركاء الطبيعة الإلهية](١٤).

[هكذا أيضاً يأتي الروح القدس الذي عندما يأتي يصير فيه ملء حلول الآب والإبن](١٥).

فالروح إذن هو الذي يحقق إتحادنا بالله.

ومن جهة أخرى هو أيضاً الذي يحقق وحدتنا بعضنا ببعض، ذلك لأنه بطبعه واحد وغير قابل للتجزئة أو الإنقسام. وبسبب ذلك أرسله الرب على رسله ليُدخلهم في

(١٢) في الروح القدس ١٨٠.
(١٣) في الروح القدس ١٧٢.
(١٤) في الروح القدس ٨٠.
(١٥) في الروح القدس ١٢٣.

هذه الوحدة التي لا تنقسم. في مواضع كثيرة يكرر القديس أمبروسيوس أن الروح لا يمكن أن يتجزأ ولا أن ينقسم:

[لقد عيَّن الرب رسله في جهات مختلفة لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا جميعهم في كل مكان في وقت واحد. **ولكنه أعطى الروح القدس للجميع لكي يسكب على الرسل النعمة التي لا تنقسم ولا تتجزأ وإن كانوا بأفرادهم متفرقين.** فمع اختلاف أفرادهم وتباينهم إلا أن العمل الذي تم بالجميع كان عملاً واحداً **لأن الروح القدس واحد**](16).

[ونحن لا يمكننا أن نصدق أن الروح يمكن أن يجوز عليه **التقسيم أو التجزئة** بسبب حلوله في الأفراد](17).

[لقد تقبَّل الرسل والأنبياء هذا **الروح الواحد** كأوان مختارة. وفي ذلك يقول معلم الأمم ورسولهم: **لأننا جميعنا سُقينا روحاً واحداً. هذا الذي لا يمكن أن يتجزأ أو ينقسم**](18).

من آباء كبادوكية وأنطاكية

وسنقدم أولاً أقوال الآباء الثلاثة الكبادوكيين: باسيليوس الكبير وغريغوريوس النزينزي وغريغوريوس النيسي ثم أقوال القديس يوحنا ذهبي الفم الذي كان كاهناً في أنطاكية قبل أن يُرسم بطريركاً على القسطنطينية.

٥ . القديس باسيليوس الكبير (٣٢٩ــ٣٧٩):

أسقف قيصرية كبادوكية. وقد كان من أعظم المدافعين عن ألوهية الروح القدس. وقد وصفه هكذا:

[في جوهره بسيط، في طاقته متعدد ومتنوع
موجود كله في كل واحد، وكله موجود في كل مكان
يتوزع بدون أن يلحقه ضرر،

---

(١٦) في الروح القدس ٨١ . (١٧) في الروح القدس ٩٨ . (١٨) في الروح القدس ٦١ .

نتقاسمه بدون أن يفقد كليته...](١٩).

هنا يكشف القديس باسيليوس صفة أساسية للروح القدس هي السر في قدرته على توحيد الذين يقبلونه، وهي أنه غير قابل للإنقسام بسبب جوهره الإلهي البسيط . فهو يمكن أن يتوزع على الكثيرين ولكنه لا ينغلب لكثرتهم «يتوزع بدون أن يلحقه ضرر»، بل على العكس هو الذي يتغلب على الكثرة ويحولها إلى وحدة في نفسه بسبب بساطة جوهره الإلهي .

ولهذا السبب يرى القديس باسيليوس أن الروح القدس هو روح جسد المسيح السري، الذي يحافظ على وحدة جميع الأعضاء فيه :

[إن جميع الأعضاء معاً يكونون جسد المسيح الكامل **في وحدانية الروح** ἐν τῇ ἑνότητι τοῦ Πνεύματος فإنهم يخدمون بعضهم بعضاً بالمواهب التي نالوها، لأن الله قد وضع الأعضاء أفراداً في الجسد كلٌ واحد منهم كما أراد، غير أن الأعضاء تهتم بعضها ببعض اهتماماً واحداً بحسب **الشركة الروحية** ووحدة المشاعر συμπαθείας الكائنة فيهم.

لأجل ذلك «إن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه وإن كان عضو واحد يُكرم فجميع الأعضاء تفرح معه» (١ كو١٢ : ٢٦).

لأنه كما توجد الأجزاء معاً داخل الكل، **هكذا نكون نحن بأفرادنا في الروح، لأننا جميعنا في جسد واحد وقد اعتمدنا لروح واحد]**(٢٠).

و يعلق العالم D. Amand على هذا النص قائلاً إننا يجب أن نرى فيه «الأساس الروحي لكل ما سيقوله باسيليوس في نسكياته عن نظام الشركة والطاعة والعمل اليدوي كعمل محبة وإنكار ذات»(٢١). فالقديس باسيليوس كان في نفس الوقت من أكبر المدافعين عن ألوهية الروح القدس ومن أكثر الذين كتبوا عن نظام الشركة

(١٩) في الروح القدس ٩ : ٢٢ . (٢٠) في الروح القدس ٢٦ : ٦١ .

(21) D. Amand, L'ascèse monastique de saint Basile, p. 118-144, cité par J. Gribomont in D.S. art. Saint Esprit, Col. 1269.

الرهبانية. لذلك فاهتمامه بالروح القدس بصفته روح الوحدة وروح الشركة قد انعكس على نسكياته، بالتركيز على الوحدة والوفاق التي ينبغي أن تسود في نظام الشركة.

٦ . القديس غريغوريوس النزينزي (٣٢٨ــ٣٨٩):

يقيم المقارنة بين يوم الخمسين و بلبلة الألسن في بابل. و يشترك معه في ذلك كثير من الآباء مثل كيرلس الأورشليمي([٢٢]) وكيرلس الإسكندري([٢٣]). فيوم الخمسين يعتبر عند الآباء النقيض المباشر لما حدث عند بناء برج بابل:

[لقد كانت بلبلة الألسن في القديم عملاً عظيماً لله لأنه لما اتفق الناس **ذوو اللسان الواحد** على بناء البرج للشر والجحود، **قد أبطل الله وحدة رأيهم الشرير بواسطة بلبلة ألسنتهم**؛ فكم بالحري كثيراً جداً تكون المعجزة الحاضرة جديرة بأن نسبّح الله عليها، **لأن الروح الواحد لما انسكب على الرجال الكثيرين قد أعادهم من جديد إلى التوافق والإتحاد**]([٢٤]).

يظهر من هذا القول أن ما حدث في بابل هو الخروج من الوحدة إلى الكثرة بسبب شر الإنسان، وأما ما حدث في يوم الخمسين فهو عودة الكثرة إلى الوحدة بسبب انسكاب روح الله.

٧ . القديس غريغوريوس النيسي (٣٣٠ــ٤٠٠):

يقول في تفسير نشيد الأنشاد ما ملخصه:

[إن الروح القدس هو رباط وحدة الكنيسة]([٢٥]).

---

(٢٢) عظة ١٧ : ٧.

(٢٣) جلافير على التكوين .P G 69, 80 وسنورد هذا التفسير في موضعه عند عرض أقوال القديس كيرلس الكبير.

(٢٤) عظة ٤١ على عيد الخمسين.

(٢٥) عظة ١٥ في تفسير نشيد الأنشاد P.G. 44, 1116-1117

Cited by Vl. Lossky, Théologie Mystique de l'Eglise d'Orient, 1944, p. 164.

٨ . القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧ـ٤٠٧):

[«وجميعنا بروح واحد اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحرار، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً» . إن المعنى الذي يقصده هو هذا: **إن الذي وَلَدنا من جديد وجعلنا نصير جسداً واحداً إنما هو الروح الواحد...** فإن كان الروح الواحد هو الذي أعاد تشكيلنا وهو الذي جمعنا جميعاً معاً لنصير جسداً واحداً ـ لأن هذا هو المقصود من قوله أننا جميعنا اعتمدنا إلى جسد واحد ـ وهو الذي هيأ لنا مائدة واحدة وشراباً واحداً ـ لأن هذا هو معنى قوله وجميعنا سُقينا روحاً واحداً ـ وهو الذي وحَّد الأفراد المختلفين بمثل هذا المقدار، أقول إن كان الكثيرون قد صاروا جسداً واحداً لما جعلهم الروح واحداً، فما بالك باستمرار تبحث عن الفرق بينهم؟!] (٢٦).

ومن أورشليم

٩ . القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥ـ٣٨٦):

إن عمل الروح القدس الأساسي في الكنيسة بصفته روح الشركة هو أن يجمع جميع المؤمنين ويحثهم على الوحدة والتوافق إلى درجة المشاركة في كل شيء. لذلك فأكثر ما يحزنه و يغضبه ويجعله يجازي إنما هو الإنعزالية والإنفرادية كما ظهر في قصة حنانيا وسفيرة:

[لقد كانت نعمة **الروح القدس** العاملة في الذين آمنوا بواسطة الإثنى عشر رسولاً عظيمة بهذا المقدار حتى أنه «كان لجمهور الذين آمنوا **قلب واحد ونفس واحدة**، ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً» (أع ٤: ٣٢)، حتى أن الذين كانوا أصحاب أملاك كانوا يقدمون ثمنها ولم يكن أحد محتاجاً لشيء. أما الذين حاولوا مثل حنانيا وسفيرة أن **يكذبوا على الروح القدس** فقد نالوا جزاءهم الحق] (٢٧).

---

(٢٦) عظة ٣٠ على ١ كو ١٢: ١٣ .

(٢٧) عظة ١٧ . والعظتان ١٦ و ١٧ بهما معاني قوية كثيرة عن الروح القدس ونأمل أن يقوم أحد بترجمتها إلى العربية .

من آباء الإسكندرية

سنقدم منهم أقوال القديسين أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير.

١٠ . القديس أثناسيوس الرسولي (٢٩٨ــ٣٧٣):

القديس أثناسيوس هو صاحب المبدأ المشهور في أن غاية الله من التجسد هي أن يحقق للإنسان الإتحاد بالله θέωσις

[لقد صار الكلمة جسداً لكي نصير نحن متحدين بالله](٢٨).

أما بخصوص الروح القدس وعلاقته بالإنسان فيتلخص تعليمه في النقطتين التاليتين:

١ ــ إن الروح القدس هو الذي يحقق لنا هذا الإتحاد بالله (٢٩).

٢ ــ إن النتيجة الحتمية لإتحادنا بالله بواسطة الروح القدس هي أن نصير جميعاً واحداً في الله بفعل الروح.

و يلخص هاتين النقطتين معاً في عبارة قوية مختصرة يمكن اعتبارها عنواناً لتعليمه بخصوص الروح القدس وعلاقته بالإنسان:

[إننا بالروح نصير في الله،
وبالتالي نصير متحدين بعضنا مع بعض في الله](٣٠).

---

(٢٨) حرفياً: لكي نتأله θεοποιηθῶμεν ــ تجسد الكلمة ٥٤ : ٣ .

وإن كنا نجد عند إيريناوس البوادر الأولى للتعبير عن هذا المبدأ مثل قوله [كلمة الله من أجل حبه الفائق صار على حالنا لكي يجعلنا على حاله] (ضد الهرطقات ٥ المقدمة).

ولكن أثناسيوس هو بلا شك أول من عبَّر عنه بوضوح وشرحه من الوجهة اللاهوتية ولم يكف عن تكراره في كل مناسبة (أنظر المقالة الأولى ضد الأريوسيين ٣٨و٣٩ والمقالة الثانية ٧٠ والمقالة الثالثة ٣٤ و ٣٩ والرسالة ٦٠: ٤ والدفاع عن قانون نيقية ١٤).

(٢٩) ولذلك يعتبر في اختصار بديع أن غاية التجسد هي أن ننال الروح القدس الذي يحقق لنا الإتحاد بالله: [لقد صار الكلمة جسداً... لكي ننال شركة روحه القدوس ونصير بذلك متحدين بالله (حرفياً: نتأله)] (الدفاع عن قانون نيقية ١٤).

(٣٠) انظر القول ٣٦ .

أولاً: إننا بالروح نصير في الله:

[هذا ما يكتبه يوحنا: «بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه» (١ يو٤: ١٣).

إذن فنحن نصير فيه وهو فينا بواسطة نعمة الروح المعطاة لنا، فلأن الروح هو روح الله فبمجرد أن يحل فينا نحن نعتقد بحق **أننا باقتنائنا الروح نكون في الله والله أيضاً يكون فينا... فبدون الروح نحن نكون غرباء عن الله وبعيدين عنه. فنحن بشركة الروح القدس فقط نصير ذوي قربى باللاهوت** حتى أن وجودنا في الآب أمر لا يخصنا نحن بل يخص الروح الكائن فينا والماكث داخلنا](٣١).

[**إننا بالإشتراك في الروح القدس نصبح شركاء الطبيعة الإلهية**... لأن الذين فيهم الروح القدس تصبح لهم (شركة) الطبيعة الإلهية على هذا الأساس](٣٢).

[**فعندما يكون الروح القدس فينا، يكون فينا أيضاً الكلمة الذي يمنح الروح القدس، والآب الذي هو في الكلمة**، وهذا يتفق مع ما قيل: «إليه نأتي أنا وأبي وعنده نصنع منزلاً»](٣٣).

[**عندما يعطى لنا الروح القدس يصبح الله فينا** لأن يوحنا الرسول كتب: «إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا، بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه» (١ يو٤: ١٣)](٣٤).

[**فقد رفع الخليقة كلها في الروح إذ منحها الإتحاد بالله والتبني وبذلك صار يقودها نحو الآب**](٣٥).

---

(٣١) المقالة الثالثة ضد الأريوسيين ٢٤.

(٣٢) إلى سيرابيون ١ : ٢٤.

(٣٣) إلى سيرابيون ١ : ٣٠.

(٣٤) إلى سيرابيون ١ : ١٩.

(٣٥) حرفياً: إذ جعلها إلهاً وجعلها إبناً θεοποιῶν δὲ καὶ υἱοποιῶν إلى سيرابيون ١ : ٢٥.

ثانياً: إننا بالروح نصير متحدين بعضنا مع بعض في الله:

[المخلص يقول: « **كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا** » (يو١٧: ٢١). وهو بذلك لا يقصد أننا يمكن أن نصير مساوين له، **ولكنه يطلب من الآب أن يعطي الروح بواسطته للمؤمنين كما كتب يوحنا (يو٧: ٣٧ــ٣٩). فإننا بالروح نصير في الله وبالتالي نصير متحدين بعضنا مع بعض في الله**](٣٦).

[**إعمل فيهم أيها الآب،**
وكما أعطيتني أن ألبس هذا الجسد،
أنعم عليهم بروحك،
حتى أنهم هم أيضاً في هذا الروح يصيرون واحداً
ويكونون مكمَّلين فيَّ](٣٧).

[الكلمة في الآب. والروح يُعطَى من الكلمة.
ولذلك فهو يريدنا أن نقبل الروح،
حتى إذا ما قبلناه، نقتني في نفوسنا روح الكلمة الذي في الآب
وبالتالي بسبب هذا الروح نصير واحداً
في الكلمة وبه في الآب](٣٨).

[فالروح إذن هو الذي يكون في الله، وليس نحن، من حيث ذاتيتنا
فكما أننا نكون أبناءً وآلهة بسبب الكلمة الذي فينا،
هكذا أيضاً بسبب الروح الذي فينا

---

(٣٦) المقالة الثالثة ضد الأريوسيين ٢٥. ومع أن صلاة المسيح في يو١٧ لم يُذكر فيها الروح القدس إلا أننا نجد كثيراً من الآباء يعتبر أن الرب كان يطلب فيها حلول الروح القدس علينا لأن الروح وحده قادر أن يوحدنا مع الله وبعضنا مع بعض في الله. وسنرى مثلاً القديس كيرلس في تفسير يو١٧: ٢٠و٢١ يسلك نفس هذا المنهج التقليدي ويرى أن الرب بهذه الصلاة كان يطلب لنا الروح.

(٣٧) المقالة الثالثة ضد الأريوسيين ٢٣.

(٣٨ و ٣٩) المقالة الثالثة ضد الأريوسيين ٢٥.

نصير في الإبن وفي الآب،
ونصير واحداً في الإبن وفي الآب،
لأن الروح الذي فينا هو الذي في الكلمة الذي في الآب] (٣٩).

لم تكن هذه مجرد تأملات للقديس أثناسيوس، بل كانت حقيقة يعيشها وتملأ كيانه، حقيقة الروح الذي يملأ الكنيسة ويجعلها واحدة في الإبن وفي الآب عبر القارات والمحيطات.

[لقد كنت مشتاقاً أن أمضي معكم العيد بدون اعتبار المسافة التي بيننا. فعلى الرغم من أن المكان يفصلنا **لكن الرب... الذي هو واهب الروح هو يجمعنا معاً في الفكر الواحد والتوافق ورباط السلام.** لأننا حينما نفتكر فكراً واحداً ونرفع صلواتنا بعضنا من أجل بعض لا يمكن لمكان ما أن يفصلنا **ولكن الرب يجمعنا و يوحدنا بعضنا ببعض**] (٤٠).

هذه هي الحقيقة التي كان يعيشها القديس أثناسيوس وهو في منفاه بعيداً عن كنيسته وعن كل أحبائه: **«الرب الذي هو واهب الروح هو يجمعنا معاً... يجمعنا و يوحدنا بعضنا ببعض».**



---

(٤٠) رسالة فصحية ١٠ : ٢ .

الروح القدس روح الوحدة:

ثالثاً ــ في لاهوت القديس كيرلس الكبير

يعتبر القديس كيرلس الكبير لدى علماء اللاهوت الآبائي أفضل من عبّر عن عقيدة الكنيسة كجسد سري للمسيح ، حتى يشهد له كل من العالمين مِرْش ودى مانوار « إنه ارتقى بهذه العقيدة إلى أعلى درجة من الكمال وصلت إليه في الكنيسة الشرقية » (٤١) .

ومن جهة أخرى يُعتبر أيضاً أنه برع أكثر من جميع الذين سبقوه في التعبير عن عمل الروح القدس في تقديس النفوس (٤٢) .

فبسبب تفوقه في شرح واستيضاح هاتين الحقيقتين (أي الكنيسة جسد المسيح وعمل الروح القدس فينا) (٤٣) ، نتوقع أن نجد لديه أيضاً أكثر مما وجدنا عند الآباء السابقين له تعليماً وافياً بخصوص دور الروح القدس في توحيد الجسد الإلهي أي في تكوين الكنيسة .

ولأن الكنيسة في جوهر كيانها تقوم على أساس اتحاد المؤمنين بالله واتحادهم بعضهم ببعض في الله ، لذلك سنتتبع في لاهوت القديس كيرلس عمل الروح القدس في هاتين الناحيتين اللتين عليهما تقوم الكنيسة :

ــ دور الروح القدس في اتحادنا بالله .

---

(٤١) على أن من يجاريه في ذلك في الكنيسة الغربية هو أغسطينوس .

أنظر: E. MERSCH, The Whole Christ, p. 337.

H. DU MANOIR, Dogme et Spiritualité chez S. Cyrille, p. 313

(42) J. MAHÉ, La Sanctification d'après S. Cyrille, RHE, x (1909), p. 31.

(٤٣) وقد سبق أن قدمت مجلة مرقس تعليم القديس كيرلس في كل من هذين الموضوعين على حدة:

ــ « الكنيسة جسد المسيح » (ديسمبر ١٩٧٦ ــ يناير ومارس ١٩٧٧).

ــ « كيف يتم تقديس النفس بالروح القدس » (يوليو ١٩٧٧).

ولكن الذي يهمنا الآن هو علاقة الموضوعين ببعض أي دور الروح القدس في الجسد الإلهي .

ـ دور الروح القدس في اتحادنا بعضنا ببعض .

[بسبب شركتنا في الروح القدس ، صرنا متحدين بالمسيح نفسه مخلّص الجميع ، كما صرنا أيضاً متحدين بعضنا ببعض](٤٤).
[المسيح هو سلامنا لأنه يجمعنا معاً إلى الإتحاد بعضنا ببعض بنفس واحدة ، كما أيضاً إلى الإتحاد مع الله بواسطة نفسه في الروح](٤٥).

١ ـ دور الروح القدس في إتحادنا بالله

أ ـ الروح القدس يجعل المسيح يحل في قلوبنا :

يقول القديس كيرلس في إختصار:

[المسيح يكون فينا بواسطة الروح] (أنظر قول ٤٨).

فالرب قد أوضح في خطابه الأخير عن الباراقليط شدة الإرتباط بين مجيء الروح القدس و بين حلول الرب سراً في قلوب المؤمنين . فبعد أن قال: « أنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر» أضاف قائلاً: « لا أترككم يتامى إني آتى إليكم » ، الذي يحبني ... أُظهر له ذاتي ... وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً » (يو١٤: ١٦-٢٣) مشيراً بذلك إلى حلوله السري في القلب ، الذي يتحقق بمجيء الروح القدس .

[بواسطة الروح القدس ، نقتني ربنا يسوع المسيح ساكناً ومتداخلاً فينا](٤٦).

وهذه هي الحقيقة التي استشعرها القديس بولس الرسول ، فعبَّر عنها قائلاً إنه يصلي « لكي تتأيدوا بالقوة **بروحه في الإنسان الباطن ، ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم** » (أف٣: ١٧).

و يعبِّر القديس كيرلس عن نفس هذه الحقيقة قائلاً :

---

(٤٤) ضد نسطور ٤ P.G 76, 193

(٤٥) العبادة بالروح والحق ١٥ P.G. 68, 972

(٤٦) تفسير ٢ كو٢: ١٥ P.G. 74, 925 C

[**حينما يحل الروح القدس في إنساننا الداخلي ، يُقال أن المسيح نفسه يسكن فينا** ، وهذا يكون بالفعل] ([47]).
[المسيح يقول : « أنتم فيَّ وأنا فيكم ، لأني أنا أظهرت نفسي إنساناً ، وإياكم جعلتُ شركاءً لطبيعتي الإلهية بجعل روحي ساكناً فيكم » **فإن المسيح يكون فينا بواسطة الروح**] ([48]).

فالروح القدس هو الذي يحقق لنا وعد الرب بأن يكون معنا كل الأيام وإلى انقضاء الدهر :

[لقد وعد الرب تلاميذه أن يكون معهم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر . **فمع** أنه قد مضى عنا بالجسد ، إذ قد أظهر نفسه للآب من أجلنا وجلس عن يمينه ؛ غير أنه مع ذلك **بواسطة الروح القدس يحل و يسكن في قلوب الذين يستحقونه**] ([49]).

إذن فوسيلتنا الوحيدة لقبول المسيح داخلنا هي أن ننفتح أكثر لحلول الروح القدس فينا . وهذه الحقيقة يعبِّر عنها الأب متى المسكين : [**بقدر الملء من الروح القدس بقدر الملء من المسيح ، لأنه كلما أفسحنا للروح القدس مكاناً في القلب والحياة ، كلما أفسح الروح القدس فينا مكاناً للمسيح !!**] ([50]).

ب ــ الروح القدس ينقل إلينا علاقة المسيح بالآب ([51]) :

حينما يعطينا الروح القدس حلولاً سرياً للمسيح داخل القلب ، **فهو بذلك يورثنا كل مشاعر المسيح تجاه أبيه السماوي ، بكل عمقها الروحي . وهذه الحقيقة هي التي** عبَّر عنها بولس الرسول قائلاً :

---

(٤٧) تفسير يو ١ : ٣٣ P.G. 73, 212 (٤٨) تفسير يو ١٤ : ٢٠ P.G. 74, 280

(٤٩) تفسير يو ١٦ : ١٦ P.G. 74, 453 (٥٠) الروح القدس وعمله داخل النفس ، ص٦٥/٢٥ .

(٥١) ليس المقصود بذلك العلاقة الطبيعية الجوهرية الأزلية التي تربط الإبن الوحيد جوهرياً بالآب ، ولكن علاقة المسيح في وضعه المتجسد على الأرض بحسب التدبير ، أي كل ما قدمه المسيح في حياته على الأرض من محبة كاملة وخضوع مطلق للآب السماوي .

« ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح إبنه إلى قلوبكم صارخاً ياأبا الآب » (غل ٤ : ٦).

و يعبِّر الأب متى المسكين عن هذا المبدأ قائلاً : [إن الروح القدس يورثنا علاقة الآب بالإبن بصورة حية وفعالة في الضمير وفي العقل ، بأثر قوي أعظم مما تتركه النار في اللحم . حتى أننا نصرخ بملء اليقين والدالة وندعو الله الآب بفم المسيح « ياأبا الآب »] (٥٢).

وفي ذلك يقول القديس كيرلس :

[حينما يحل و يسكن فينا كلمة الله **بواسطة الروح** ، فنحن نرتقي إلى كرامة التبني ، **لأننا نقتني حينئذ في نفوسنا الإبن نفسه** ، الذي إلى شكله أيضاً تغيرنا ، **بواسطة شركة روحه الخاص . وحينما نرتقي إلى مستوى الدالة المكافئة لدالة الإبن نجسر أن نقول ياأبا الآب**] (٥٣).

[كان ينبغي أن يصعد إلى أبيه ، **حتى يحل بالروح القدس في وسط الذين يعبدونه** ، و يأتي بالإيمان إلى قلوبنا ، حتى أننا إذ نقتنيه داخلنا **نصرخ بدالة « ياأبا الآب »**] (٥٤).

على أن هذه الصلاة «ياأبا الآب» التي ينقلها روح المسيح إلى قلوبنا ، هي بعينها التي نطق بها الرب في جثسيماني :

« ياأبا الآب ... ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت » (مر ١٤ : ٣٦).

إذن فحينما ينقل إلينا الروح القدس صلاة المسيح قائلاً : « ياأبا الآب » ، فهو في الواقع ينقل إلينا أكثر ما اعتز به المسيح أثناء حياته على الأرض ، أي خضوعه الكامل لمشيئة الآب :

---

(٥٢) الروح القدس وعمله داخل النفس ، ص٦٣/٢٣ . (٥٣) الكنز في الثالوث ٣٣ P.G. 75, 569 D

(٥٤) تفسير يو ١٦ : ٧ P.G. 74, 433

«قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني» (يو٦: ٣٨).

«طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأُتمم عمله» (يو٤: ٣٤).

«لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتها من أبي» (يو١٠: ١٧و١٨).

«إني في كل حين أفعل ما يرضيه» (يو٨: ٢٩).

«هاأنذا أجيء لأفعل مشيئتك ياالله» (عب١٠: ٩).

كل هذا هو المضمون الروحي المذخر في صلاة المسيح قائلاً: «ياأبا الآب»، لذلك يكمل القديس كيرلس المعنى قائلاً إن الروح القدس يجعلنا نخضع لمشيئة الآب ونريد ما يريده هو:

[بواسطة روح المسيح يصالح الإبن الكل مع الله أبيه، إذ يجعلهم يريدون الأشياء التي له، ويرغبون أن يفكروا ويعملوا الذي له ...](٥٥).

والجدير بالملاحظة هنا أن هذه كلها لم تكن مجرد تأملات نظرية للقديس كيرلس، بل قد كان هو نفسه على المستوى العملي مستعداً أن يخضع لمشيئة الآب إلى درجة تقبُّل الآلام والإهانات حتى إلى درجة الموت أيضاً. إسمعه يقول بألفاظ تذكرنا بكلمات القديس أغناطيوس الشهيد:

[**وأما أنا فشهوتي العظمى هي أن أجاهد وأعيش وأموت** من أجل الإيمان بالمسيح.

فإني لست أحتسب لأية إهانة ولا لأي تعيير ولا لأية إساءة. فقد عزمت أن أتحمل كل تعب من أجل الإيمان بالمسيح، **وأتقبّل كل ألم حتى أشنع العذابات وأقساها إلى أن يلحقني الموت أيضاً، الذي لهذا السبب سوف يصير لي موتاً مفرحاً!**

فإن كنا نخشى أن نجاهر بالحق لمجد الله خوفاً من المتاعب التي تصيبنا من

---

(٥٥) تفسير يو١٤: ٢٧ P.G. 74, 305

ذلك ، فكيف نستطيع أن نشيد في اجتماعاتنا بجهادات الشهداء القديسين وانتصاراتهم ، خاصة وأننا نمدحهم بالذات لأنهم حفظوا الكلمة القائلة : « جاهد عن الحق حتى الموت » (جا ٤ : ٢٨)](٥٦).

جـ ـ الروح القدس يصالحنا مع الله الآب :

لقد سمعنا القديس كيرلس يقول :

[بواسطة روح المسيح ، يصالح الإبن الكل مع أبيه] (قول ٥٥).

وفي موضع آخر يكرر نفس المعنى قائلاً :

[إن مصالحتنا مع الله لم يكن ممكناً أن تتم بواسطة المسيح مخلصنا إلا بواسطة الروح القدس وتقديس النفس به](٥٧).

فالروح القدس هو روح المصالحة مع الله ، ذلك لأنه بحسب تعبير العهد القديم « **روح الإحراق** » (إش ٤ : ٤) الذي به تُغسل أقذارنا و يتنقى دمنا ، وبحسب تعبير العهد الجديد روح الإغتسال والتقديس والتبرير:

« **لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم** باسم الرب يسوع **و بروح إلهنا** » (١ كو ٦ : ١١).

د ـ الروح القدس يعطينا نوعاً من القرابة الروحية مع الله الآب :

من صفات الروح القدس الأساسية أنه قادر أن يجمع المتناقضات ويجعلها تنسجم وتتوافق وتتآلف معاً . فبهذه القدرة استطاع أن يحل على العذراء ، ويجمع في أحشائها الطبيعة البشرية مع الطبيعة الإلهية في إتحاد كامل ، على الرغم من المسافة اللانهائية التي كانت تفصل بينهما . و بطريقة مشابهة حينما يعطينا المسيح الروح القدس فهو يقصد أن يُدخلنا إلى نوع من القرابة والتآلف والإنسجام معه ومع أبيه الصالح :

[كل من يعرف المسيح و يتمسك بكلمة الحق الإلهي عديمة الغش وكأنه

---

(٥٦) الرسالة التاسعة والعاشرة P.G. 77, 62-78

(٥٧) تفسير يو ١٧ : ١٨ و١٩ P.G. 74, 544-545

يتمخض بها ، فالمسيح يحل و يسكن فيه **ويجتذبه بفعل الروح القدس إلى نوع من القرابة الروحية مع الله أبيه بواسطة نفسه**](٥٨).

[فكما أن أصل الكرمة يمد الأغصان بامتيازاته وصفاته الطبيعية ، هكذا أيضاً الإبن الوحيد كلمة الله يمنح القديسين نوعاً من **القرابة والإنسجام مع طبيعته الخاصة ، التي هي أيضاً طبيعة الآب ، وذلك بإعطائهم الروح القدس**](٥٩).

وجدير بالملاحظة أن القديس كيرلس بذلك لا يبتدع شيئاً جديداً بل يكرر ويمتد بما وجدناه من قبل عند سلفه القديس أثناسيوس :

[نحن بشركة الروح القدس فقط نصير ذوي قربى باللاهوت] (أنظر قول ٣١).

هـ ــ الروح القدس يجعل الآب أيضاً يحل فينا :

الثالوث غير منفصل . فبمجرد أن يحل فينا الروح القدس يكون فينا معه الإبن والآب أيضاً . وهذا المبدأ قد سبق أن شرحه الآباء السابقون للقديس كيرلس . فقد رأينا مثلاً القديس أمبروسيوس يقول :

[هكذا يأتي الروح القدس الذي عندما يأتي يصير فيه ملء حلول الآب والإبن] (قول ١٥).

وكذلك القديس أثناسيوس :

[عندما يكون الروح القدس فينا يكون فينا أيضاً الكلمة الذي يمنح الروح القدس ، والآب الذي هو في الكلمة] (قول ٣٣).

والقديس كيرلس يكرر نفس هذا المبدأ الآبائي و يشرحه ويمتد به قائلاً :

[الذي يقبل الروح القدس الذي هو صورة الإبن ،
فهو يقبل به الإبن و بذلك يقبل الآب أيضاً الذي في الإبن](٦٠).

---

(٥٨) تفسير يو ١٧ : ٢٦ P.G. 74, 577 (٥٩) تفسير يو ١٥ : ١ P.G. 74, 332-333

(٦٠) الكنز في الثالوث ٣٣ P G. 75. 572

[إنه يقول : « إليه نأتي أنا وأبي وعنده نصنع منزلاً » ، لأنه حينما يحل فينا المسيح مخلصنا بواسطة الروح القدس ، فمن المؤكد أن الآب الذي ولده يكون أيضاً معه فينا ، لأن روح المسيح هو أيضاً روح الآب نفسه](٦١).
[إن قبلنا الروح القدس نصير شركاء الطبيعة الإلهية ، فإننا نقبل الآب نفسه في قلوبنا من خلال الإبن وفي الإبن ، ولذلك كتب الحكيم يوحنا « بهذا نعلم أننا نثبت فيه وهو فينا ، أنه قد أعطانا من روحه » (١يو٤ : ١٣)](٦٢).

و ـ الروح القدس يُدخلنا إلى شركة الطبيعة الإلهية :

الروح القدس هو أقنوم الشركة في الثالوث .
هو « روح الشركة » بحسب تعبير بولس الرسول :
« وشركة الروح القدس مع جميعكم » (٢ كو١٣ : ١٤).
« إن كانت شركة ما في الروح » (في ٢ : ١).

لذلك فهو الواسطة الوحيدة للدخول إلى شركة حقيقية مع الله .
وقد ربط الآباء بين ما كشفه بولس الرسول من أن الروح القدس هو أساساً روح شركة ، و بين ما أوضحه بطرس الرسول من أننا مدعوون أن نصير « شركاء الطبيعة الإلهية » (٢بط ١ : ٤) ، واستنتجوا من هذا الربط أن الروح القدس هو الذي يُدخلنا إلى شركة الطبيعة الإلهية . وقد وجدنا القديس أمبروسيوس يقول بهذا المعنى : [إننا بالروح ــ كما يقول معلمنا بطرس ــ نصير شركاء الطبيعة الإلهية] (قول ١٤).
وكذلك القديس أثناسيوس : [إننا بالإشتراك في الروح القدس نصبح شركاء الطبيعة الإلهية ... لأن الذين فيهم الروح القدس تصبح فيهم الطبيعة الإلهية على هذا الأساس] (قول ٣٢).

---

(٦١) تفسير يو ١٤ : ٢٣ P.G. 74, 292
(٦٢) تفسير يو ١٧ : ١٨ و١٩ P.G. 74, 544-545

وجدير بنا أن نلاحظ شدة المشابهة بين هذه الأقوال و بين أقوال القديس أثناسيوس في نفس الموضوع ، وذلك حتى في انتقاء نفس الآيات التي يستشهد بها للتدليل على هذه الحقيقة (يو١٤ : ٢٣ و ١يو٤ : ١٣ ــ انظر استشهاد أثناسيوس بها في أقوال ٣١ و٣٣ و٣٤). فيظهر من ذلك شدة اتصال التقليد بين الآباء عبر الأجيال.

والقديس كيرلس يكرر هذا المبدأ و يز يده توكيداً :

[لا يستطيع أحد أن يصير شريكاً لطبيعة الإله الحق ، إلا بواسطة الروح القدس] (٦٣).

[فإننا نرتقي إلى شركة الطبيعة الإلهية ، بواسطة المشاركة في الروح القدس] (٦٤).

[كان يلزم أن نصير شركاءً لطبيعة اللوغوس الإلهية ... ولكن كان من المستحيل أن نصل إلى هذا الأمر بوسيلة أخرى غير المشاركة في الروح القدس] (٦٥).

[إن الكتب المقدسة ، أنفاس الله ، تعلّم بوضوح أنه **لن تكون لنا شركة مع الله إلا بواسطة الروح القدس** . فإن ربنا يسوع المسيح قال بخصوص كل إنسان مؤمن وصالح: « وإليه نأتي أنا وأبي وعنده نصنع منزلاً » (يو١٤ : ٢٣) ثم قيل أيضاً: « بهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا » (١يو٣ : ٢٤)] (٦٦).

[إن مصالحتنا مع الله لم يكن ممكناً أن تتم بواسطة المسيح مخلصنا ، إلا بواسطة شركة الروح القدس وتقديس النفس به ، لأن الذي يربطنا و يوحدنا ، بنوع ما ، مع الله إنما هو الروح القدس ، الذي **إن قبلناه نصير شركاء الطبيعة الإلهية** ، ونقبل الآب نفسه في قلوبنا من خلال الإبن وفي الإبن . ولذلك كتب الحكيم يوحنا بخصوصه : « بهذا نعلم أننا نثبت فيه وهو فينا أنه أعطانا من روحه » (١يو٤ : ١٣) ...

فلولم تكن لنا شركة الروح القدس ، لما استطعنا أبداً أن نعرف أن الله فينا ...] (٦٧).

---

(٦٣) تفسير يو ١٤ : ٢٣ P.G. 74, 292

(٦٤) تفسير يو ١٤ : ٤ P.G. 74, 185

(٦٥) تفسير يو ١٦ : ٧ P.G. 74, 433

(٦٦) في الثالوث ٧ P.G. 75, 1092

(٦٧) تفسير يو١٧ : ١٨ و١٩ P.G. 74, 544-545

ز ــ الروح القدس يوصلنا إلى الإتحاد بالله :

[**لم يكن ممكناً أن يصل أحد إلى الإتحاد بالله** ἕνωσις ἡ πρὸς θεόν **إلا بواسطة المشاركة في الروح القدس** ، الذي يغرس فينا قداسته الخاصة و يعيد تشكيل طبيعتنا الساقطة تحت الفساد إلى شكل حياته الخاصة](٦٨).

[**فالذي يربطنا و يوحّدنا ، بنوع ما ، مع الله إنما هو الروح القدس**] (أنظر قول ٦٧).

[الذي يوحّدنا بالمسيح مخلّصنا هو الروح القدس](٦٩).

فهذا الإتحاد بالله ἕνωσις ἡ πρὸς θεόν ، الذي يوصلنا إليه الروح القدس هو أكرم جميع الخيرات التي أنعم بها الله للبشرية في المسيح وفي الروح القدس . لذلك يدعوه القديس كيرلس « كمال جميع الخيرات » :

[**إن كمال جميع الخيرات هو أن يسكن الله فينا بواسطة الروح القدس**](٧٠).

وهذا التعبير لا يقل في قوته وفي إحكامه وفي وضوحه عن تعبير القديس الروسي ساروفيم ساروفسكي الذي سيلخص به فيما بعد في القرن الثامن عشر جميع التقليد الروحي الآبائي السابق له قائلاً : [إن غاية الحياة الروحية كلها هي اقتناء الروح القدس].

+ + +

(٦٨) تفسير يو ١٧ : ٢٠ و٢١ P.G. 74, 553

(٦٩) تفسير يو ١٥ : ١ P.G. 74, 332

(٧٠) تفسير يو ١٤ : ٢٧ P.G 74, 308

٢ ـ دور الروح القدس في اتحادنا بعضنا ببعض

أ ـ الروح القدس يوحدنا بعضنا ببعض لأنه «واحد وغير قابل للإنقسام»:

[أما بخصوص الوحدة في الروح، فنقول إننا جميعاً قد قبلنا الروح الواحد بعينه، أقصد الروح القدس، ومن ثم فقد امتزجنا ـ بنوع ما ـ بعضنا ببعض بل ومع الله أيضاً. فإن المسيح ـ على الرغم من أننا كثيرون ـ يجعل روحه الخاص الذي هو روح الآب أيضاً يسكن في كل واحد منا على انفراد، غير أن الروح واحد وغير قابل للإنقسام ἕν ἐστι καὶ ἀμέριστον **. لذلك فهو يجمع الأرواح المنفصلة بعضها عن بعض بسبب كيانها الذاتي، يجمعها إلى الإتحاد بواسطة نفسه، ويظهرها جميعاً وكأنها قد صارت فيه كياناً واحداً]**[٧١].

هنا يُظهر القديس كيرلس أن قدرة الروح القدس على توحيدنا بعضنا ببعض حينما يحل فينا، ترجع في الواقع إلى وحدته الجوهرية كجوهر إلهي بسيط غير قابل للإنقسام مهما توزع على الكثيرين.

وقد قابلنا هذا المعنى عند كل من القديسين باسيليوس وأمبروسيوس فالأول يقول إن الروح [في جوهره بسيط ... نتقاسمه بدون أن يفقد كليته] (قول ١٩)، بينما يكرر الثاني في ثلاثة مواضع أن الروح لا يمكن أن يتجزأ أو ينقسم [جميعنا سُقينا روحاً واحداً هذا الذي لا يمكن أن يتجزأ أو ينقسم] (أنظر أقوال ١٦ و١٧ و١٨). فالصفة الأساسية للجوهر الإلهي هي أنه واحد بطبعه وغير قابل للإنقسام، لذلك فحينما يحل فينا فهو يجعلنا بالضرورة واحداً فيه.

---

(٧١) تفسير يو ١٧ : ٢٠ P.G. 74, 561

والقديس كيرلس يرى أن الجوهر الإلهي يحل فينا بوسيلتين أساسيتين هما : الروح القدس والإفخارستيا . لذلك فهو يعتبرهما أيضاً الوسيلتين الأساسيتين لتوحيدنا بعضنا ببعض :

ب ــ مقارنة بين دور كل من الروح القدس والإفخارستيا في توحيدنا بعضنا ببعض :

[فكما أن قوة الجسد المقدس تجعل الذين يحل فيهم جسداً واحداً συσσώμους ، كذلك أعتقد بنفس الطريقة أن **روح الله الواحد حينما يحل في الجميع وهو غير قابل للإنقسام** ἀμέριστον **فهو يجمع الجميع إلى الوحدة الروحية** πρὸς ἑνότητα τὴν πνευματικήν

ولذلك أيضاً يناشدنا بولس الملهم من الله قائلاً :

« محتملين بعضكم بعضاً في المحبة مسرعين إلى حفظ **وحدانية الروح** برباط السلام . **جسد واحد وروح واحد**](٧٢).

[مع كوننا متميزين بوضوح بعضنا عن بعض بحيث أن لكل واحد منا شخصيته الخاصة التي ينفرد بها ، حتى أن الواحد يكون بطرس والآخر يوحنا أو توما أو متى ، لكننا **صرنا جسداً واحداً في المسيح لأننا نغتذى من الجسد الواحد ، وكذلك خُتمنا للوحدة بواسطة الروح القدس الواحد ... فانظر إذن كيف صرنا واحداً بالجسد وبالروح في المسيح وفي الروح القدس**](٧٣).

ولعلنا نبلغ الصواب إذا لخصنا فكر القديس كيرلس بهذا الخصوص بقولنا : إن الإفخارستيا تجعلنا جسداً واحداً في المسيح ، بينما الإمتلاء بالروح القدس يجعلنا روحاً واحداً فيه .

---

(٧٢) تفسير يو١٧ : ٢٠ P.G. 74, 561

(٧٣) في الثالوث ١ P.G. 75, 697

جـ ـ الروح القدس يجعل الثالوث يحل فينا وبذلك يجعلنا واحداً فيه :

[حينما يسكن فينا الروح الواحد ، فإن الله الواحد أبو الجميع يكون فينا بواسطة إبنه ، جامعاً الذين صاروا شركاء الروح القدس إلى الوحدة فيما بينهم ، كما إلى الوحدة معه أيضاً] (٧٤).

د ـ الروح القدس في صلاة الرب الأخيرة من أجل الوحدة (يو١٧) :

لقد طلب الرب في صلاته الأخيرة (يو١٧) أن يكون المؤمنون به واحداً . ومع أن هذا الأصحاح لا يذكر فيه الروح القدس صراحة ، إلا أن كثيراً من الآباء استشف فيه الروح القدس من بين السطور.

فلأن الروح هو بطبعه أقنوم الشركة وأقنوم الوحدة في الثالوث ، لذلك فمن الطبيعي أن يعتبر الآباء أن الرب حينما يطلب لنا الوحدة فهو بالتأكيد يطلب لنا الروح القدس بطريقة ضمنية . وهذا الأسلوب في تفسير صلاة الرب الأخيرة في يوحنا ١٧ قد وجدناه من قبل عند القديس أثناسيوس (أنظر الأقوال ٣٦ إلى ٣٩) ، و يبدو أنه كان تفسيراً تقليدياً عند آباء الإسكندرية .

يقول القديس كيرلس الكبير في تفسيره لصلاة الرب الأخيرة (يو١٧) :

[إنه يطلب أن تحل على الرسل قوة الروح القدس التقديسية ، هذا الذي يُرسَل من عند الآب بواسطته... ولكي لا يظن أحد أن الرب يطلب حلول روح الله على التلاميذ فقط ولا يطلبه لنا أيضاً... لذلك يستطرد الرب قائلاً : « ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم » ... ثم لكي لا يدعنا نجهل الغاية من صلاته ، بل لكي يعرِّفنا أيَّ أناس ينبغي أن نكون ... لذلك أضاف قائلاً :

« ليكونوا واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا » ، فهو يطلب لنا إذن رباط المحبة والوفاق والسلام ليُدخل المؤمنين

---

(٧٤) تفسير يو١٧ : ٢٠ P.G 74, 561

به إلى **الوحدة الروحية** ἑνότητα πνευματικήν حتى أن اتحـادهم في الألـفـة الـكاملة واتفاق النفس الذي لا ينفصم يكون مشابهاً لمعالم تلك الوحدة الجوهرية والطبيعية الكائنة بين الآب والإبن] (٧٥).

إذن فـالـروح الـقدس ، روح الوحدة ، هو الحقيقة الروحية الفائقة التي كان يطلبها الـرب لـنـا في صـلاتـه الأخـيرة من أجل وحدتنا . وليلاحظ القارىء أن أقوى ما قاله الـقـديس كـيـرلـس بـخـصـوص الـروح القدس وعمله فينا قد جاء بالذات في تفسيره للأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا (أنظر الأقوال ٥٧ و٥٨ و٦٢ و٦٧ و٦٨ و٧١ و٧٢ و٧٤ و٧٥ و٧٦).

هـ ــ الروح القدس يوحدنا على صورة الوحدة الطبيعية الكائنة بين الآب والإبن :

لـقـد قـرأنـا في نهـاية القول السابق (٧٥) أن الرب يطلب الروح القدس للمؤمنين به :

[حتى أن اتحـادهـم في الألـفـة الكاملة واتفاق النفس الذي لا ينفصم ، يـكـون مـشـابهاً لمعالم تلك الوحدة الجوهرية والطبيعية الكائنة بين الآب والإبن].

و يـكـرر الـقـديـس كيرلس هذا المعنى بوضوح أكثر في تفسيره للآية (يو١٧ : ١١) « أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن » :

[إنـه يـر يـد أن يـكـون الـتـلاميـذ محـفـوظين في الوحدة بالفكر الواحد والرأي الـواحـد ، وكـأنـهـم قـد امتزجوا تماماً بعضهم ببعض بالنفس والروح ، وممارسة الـسـلام والمـودة المـتـبـادلـة ، حتى يـرتبطوا برباط المحبة الذي لا ينحل ؛ **فترتقي الـوحـدة الـكـائنة بينهم إلى أن يصير توافقهم الإرادي صورة لتلك الوحدة الـطـبيعية الكائنة بين الآب والإبن .** وهذا هوما قد تحقق بالفعل . فإننا نقرأ

---

(٧٥) تفسير يو ١٧ : ٢٠ و ٢١ P.G. 74, 556

في أعمال الرسل أنه « كان لجمهور الذي آمنوا قلب واحد ونفس واحدة » (أع ٤ : ٣٢) ، **بفعل وحدانية الروح** . وهذا بعينه هو ما قصده بولس لما قال : « **جسد واحد وروح واحد** . فإننا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح لأننا نأكل من الخبز الواحد » (أف ٤ : ٤ و١ كو١٠ : ١٧) ، **وجميعنا قد مُسحنا بالروح الواحد الذي هو روح المسيح** . فلأن التلاميذ كانوا عتيدين أن يصيروا معاً جسداً واحداً وأن يصيروا **شركاء في الروح الواحد بعينه** ، لذلك يطلب المسيح لهم أن يدوموا محفوظين **في هذه الوحدة التي للروح** ، التي لا يفصمها شيء ، وفي وحدة الفكر التي لا تنقسم] (٧٦) .

و ـ دور الروح القدس في توحيد الخليقة كلها منذ تأسيس العالم :

[« **روح الرب قد ملأ المسكونة وهو يوحِّد الكل** و يعرف كل ما يقال » (حكمة ١ : ٧) كيف لا يكون الروح هو الله ؟ ... إن كان هو الذي يوحِّد الكل فكيف يكون هو نفسه مخلوقاً أو خاضعاً للتغيير؟ فإن عبارة « الكل » تعني كل الطبيعة من كل شكل ومن كل نوع ـ أعني الطبيعة المخلوقة ـ وتشير إذن بوضوح إلى أن الذي يوحِّد « الكل » هو مختلف عن « الكل » وفائق له ... وما هو فائق للكل فهو الله] (٧٧) .

في هذا القول يبني القديس كيرلس برهانه لألوهية الروح القدس على قدرة الروح على توحيد الخليقة كلها ، حيث يعتبر هذه القدرة التوحيدية من اختصاصات الروح القدس الأساسية بحسب ما جاء في سفر الحكمة (١ : ٧) .

ز ـ دور الروح القدس في توحيد الجميع يوم الخمسين كفعل مضاد للتفرقة الحاصلة عند بناء برج بابل :

يعتبر الآباء عموماً أن ما حدث في يوم الخمسين كان النقيض المباشر لبلبلة الألسن الحادثة عند بناء برج بابل . فحادثة برج بابل كانت سبباً لتفرقة الناس وتشتتهم في

---

(٧٦) تفسير يو ١٧ : ١١ P.G. 74, 516-517

(٧٧) في الثالوث ٧ P.G. 75, 1105

جميع المسكونة ، بينما صار يوم الخمسين سبباً لاجتماع الجميع من جديد وتوحيدهم بواسطة الروح . وقد سبق أن ذكرنا ما قاله القديس غر يغور يوس النز ينزي في ذلك (قول ٢٤) وأشرنا إلى وجود نفس الرأي عند القديس كيرلس الأورشليمي (هامش ٢٢) .

أما القديس كيرلس الكبير فهو يرى أن الشروع في بناء برج بابل كان مثالاً لكل محاولة لبناء مجد الذات بالتباهي بالبر الذاتي ، وهذا كان خطأ اليهود الأساسي على مدى تاريخهم الطويل :

[فإن رغبتهم في الإرتفاع بمجرد التباهي بآبائهم في جهالة ، تشبه تماماً الشروع في بناء البرج ... فإنهم بأسباب الفخر الترابية يبنون مجدهم الذاتي و بذلك يتورطون في كل حين] .

والنتيجة الحتمية لإرتفاع الذات تكون دائماً التشتت والتفرقة والإنقسام ، وهذا هو أيضاً ما قد وقع على اليهود :

[فقد شتتهم الله إلى ألسنة كثيرة أي إلى جميع الأمم ... **وأما في المسيح فقد صار تعدد الألسنة آية صالحة** ، فبينما كان التلاميذ مجتمعين معاً في يوم الخمسين في بيت واحد « حدث بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين ، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار ، واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلأ الجميع من الروح القدس ، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا » (أع ٢ : ٢-٤) ؛ فبماذا كانوا يتكلمون ؟ كانوا بقيادة الروح يتكلمون عن الإنطلاق إلى فوق وعن القدوم إلى السماء في المسيح بواسطة الإيمان **وعن اجتماع كل ما في المسكونة من ألسنة وأمم وشعوب إلى الوحدة في الروح . فكان الروح يشهد للمسيح في جميع ألسنة الناس وكان ينطق بأسرار المسيح . إذن فقد صار تعدد الألسنة في حادثة برج بابل علامة للفُرقة وللتشتت في جميع الأمم ؛ وأما في المسيح فقد صار علامة للمجيء**

إلى الوحدة بواسطة الروح وللإنطلاق إلى فوق](٧٨).

ح ـ دور الروح القدس في مصالحة الشعوب « جعل الإثنين واحداً » :

[إن هؤلاء بعينهم ـ أي كلا الشعبين ـ لم يعودا بعد منقسمين ولا متعارضين في الرأي بعضهم مع البعض، ولا مختلفين في اعتقادهم في الله كما كانا في القديم، بل صارا بالأكثر مترابطين بشدة **في الوحدانية بواسطة الروح في** توافق النفس واتفاق الإيمان، فإنه مكتوب أنه « كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ». فإن المسيح قد خلق الشعبين إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً **ومُصالحاً الإثنين في روح واحد** كما هو مكتوب](٧٩).

ط ـ الروح القدس هو السلام الحقيقي الذي وعدنا به الرب :

[إنه لا يقول فقط « إني أعطيكم السلام »، بل « سلامي أنا ». ومن الواضح أن ما يعنيه من ذلك هو « إني سأُحضر لكم الروح القدس وسأكون أنا بذاتي مع الذين يقبلونه ». **فسلام المسيح هو روحه**(٨٠). وإثبات ذلك لا يحتاج إلى برهان طويل ... فإن بولس الملهم يقول « وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم ... » **فالسلام الذي يفوق كل الرئاسات والقوات والكراسي والسلاطين وكل الكائنات العقلية إنما هو روح المسيح ...**

فحيث أن السلام الإلهي الحق هو المسيح نفسه وليس آخر (بحسب رسالة أفسس ٢ : ١٤ « لأنه هو سلامنا »)، لذلك فروحه ينبغي بحق أن يُدعى و يُعتبر مثله « السلام ». لهذا السبب ينسب المسيح سلامه الخاص ـ أي روحه ـ إلى

---

(٧٨) جلافير على التكوين P.G. 69, 80 (٧٩) تفسير صفنيا ٣ : ١٩ P.G. 71, 1020

(٨٠) « **سلام المسيح هو روحه** ».

ليلاحظ القارىء أهمية هذا التفسير الآبائي الذي نجده عند كل من القديسين كيرلس الكبير وكبريانوس، ولنذكر ذلك كلما حضرنا الصلاة من أجل سلام الكنيسة « أوشية السلامة »، فهي في الواقع بحسب هذا المبدأ التقليدي صلاة من أجل امتلاء الكنيسة بالروح القدس الذي يجددها ويجمعها في الأُلفة والوحدة والسلام.

طبيعته الخاصة إذ يقول بخصوصه «سلامي أنا ، أتركه لكم»] (٨١).

إذن ، فالروح القدس هو العطية الحقيقية التي وعدنا بها الرب لما قال : « سلامي أعطيكم ، سلامي أنا أتركه لكم » . فالروح القدس أصلاً هو روح السلام الحقيقي ؛ وهذا يذكّرنا بما وجدناه من قبل عند القديس كبريانوس بخصوص ظهور الروح القدس بهيأة حمامة التي هي رمز للسلام (أنظر قول ١١).

ي ــ الروح القدس مصدر التوافق والإنسجام في بناء الكنيسة :

[إن المسيح هو أساس الجميع ... فإننا جميعنا مبنيون عليه ، بيتاً روحياً **متوافقين معاً** συναρμολογούμενοι **بفعل الروح القدس ،** هيكلاً مقدساً لسكناه ...] (٨٢).

وليلاحظ القارىء أن كلمة متوافقين معاً συναρμολογούμενοι تفيد نوعاً من التوافق والتآلف والإنسجام الروحي الرفيع بشبه توافق النغم الموسيقي ، ذلك لأنها مشتقة من نفس أصل كلمة harmony = ἁρμονία التي تعني التوافق الموسيقي . فالروح القدس إذن ــ بحسب رأي القديس كيرلس ــ هو الذي ينشىء في الكنيسة هذا النوع الرفيع من الإنسجام الروحي الذي يشبه توافق اللحن الموسيقي (٨٣) .

ك ــ دور الروح القدس في توحيد الكنيسة كوحدة عضوية حية :

[إنه هو الرأس ونحن جسده وأعضاؤه أفراداً . كذلك هو الكرمة ونحن قد غُرسنا فيه كأغصان ، **مرتبطين معاً في الوحدة بحسب الروح بتقديس نفوسنا**] (٨٤).

---

(٨١) تفسير يو ١٤ : ٢٧ P G. 74, 305

(٨٢) تفسير إش ٤٤ : ٢٣ P.G. 70, 940

(٨٣) وجدير بالذكر أن هذه الكلمة συναρμολογούμενον كان بولس الرسول أول من استخدمها (في رسالة أفسس ٤ : ١٦) للإشارة إلى التوافق والإنسجام الكامل الذي يلزم أن يكون في الجسد الإلهي . وقد تُرجمت إلى العربية بعبارة « مركباً معاً » التي يعوزها معنى الإنسجام والتوافق الموسيقي .

(٨٤) جلافيرعلى التكوين ٦ : ٣ P G. 69, 296

[« أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام » .

إنه بقوله أنه الكرمة بهذا الأسلوب التصويري ، يريد أن يُظهر لنا أنه يجب علينا أن نحبه وأن نتمسك بحبنا له ، ويعرِّفنا ما أعظم الربح الذي نناله من التصاقنا به . **فالأغصان هم الذين يتحدون به ويثبتون فيه ويتأصلون فيه ، ويصيرون شركاء لطبيعته بواسطة شركة الروح القدس . فإن الروح القدس هو الذي يوحدنا بالمسيح مخلصنا**] (٨٥).

فكما تسير العصارة الحية من أصل الكرمة إلى الأغصان فتصنع منها جميعاً **وحدة عضوية واحدة** ، هكذا يكون الروح القدس فينا . ولذلك يدعوه القديس كيرلس « **العصارة المحيية** » :

[إن الأغصان المقطوعة تُنزع تماماً وتسلَّم للنار ، بعد أن تُسحب منها تلك **العصارة المحيية التي هي الروح القدس الذي أخذته قبلاً من الكرمة**] (٨٦).

[**فالإبن يقوتنا ويغذينا بطريقة كاملة بواسطة الروح القدس ... فالمسيح يقوم بدور الكرمة ، ونحن ننتمي إليه كالأغصان ، ونغتني بنعمته ، ونستقي منه بالروح القدس قوة روحية لإنتاج الثمر**] (٨٧).

ل ــ دور الروح القدس في اتحاد الكنيسة بالمسيح كعذراء عفيفة له :

[لقد كتب الحكيم بولس للذين تبرروا **واغتنوا بالإتحاد بالمسيح بواسطة اقتناء الروح القدس** بمسرة الآب : « لقد خطبتكم لرجل واحد لأقدِّم عذراء عفيفة للمسيح » ، فقد صار الرسل المطوَّبون يكرزون ويدعون الناس إلى العُرس الروحي ... **ويجعلونهم يلتصقون بالمسيح ويرتبطون معاً بفعل وحدانية الروح**] (٨٨).

---

(٨٥) تفسير يو ١٥ : ١ P.G 74, 332-333

(٨٦) تفسير يو ١٥ : ٢ P.G. 74, 349

(٨٧) تفسير يو ١٥ : ١ P G. 74, 333

(٨٨) جلافير على التكوين ٣ P G. 69, 148

فبفعل الروح القدس إذن تصير الكنيسة ملتصقة بالمسيح « كعذراء عفيفة له » . « من التصق بالرب فهو روح واحد » .

م ـ دور الروح القدس في اتحاد المسيح بالكنيسة بشبه اتحاد آدم بحواء :

[إن الإنسان الأول قد اقترن بالمرأة في جسد واحد ، فهلك بسببها (إذ سمع لمشورتها) .

وأما المسيح فهو يتحد بالكنيسة بواسطة الروح ، فيحررها ويخلّصها] (٨٩).

ن ـ دور الروح القدس في توحيدنا بعضنا ببعض كشراب واحد محيي يشرب به الجميع :

« وجميعنا سُقينا روحاً واحداً » (١ كو١٢ : ١٣).

يقول القديس كيرلس في تفسيره لهذه الآية :

[لقد اتحدنا بعضنا ببعض وصرنا جسداً واحداً في المسيح ، **لأنه جمعنا معاً وربطنا معاً بنوع ما بالروح القدس الواحد الذي يحل في الجميع ، الذي سُقينا منه باعتباره شراباً محيياً .**

فقد قال المسيح ، لما كان يتكلم مع المرأة عند بئر يعقوب : « من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد . بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية » (يو٤ : ١٣و١٤) . كما قال أيضاً لليهود : « من يؤمن بي كما قال الكتاب تخرج من جوفه أنهار ماء حي . قال هذا عن الروح القدس الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه » (يو٧ : ٣٨و٣٩) . ولا تعجب من ذلك لأنه إن كان المسيح هو نهر الله المملوء ماءً بحسب قول المزمور (مز٦٤ : ١٠ حسب السبعينية : نهر الله امتلأ ماء) ، وهو السيل المتدفق الفائض حلاوة الذي قيل أن الله الآب يسقي منه الذين يحبونه (مز٣٥ : ٩ حسب السبعينية : ومن سيل

---

(٨٩) جلافير على التكوين P G 69, 29

حلاوتك تسقيهم) ؛ فكيف لا يُعتبر روحه شراباً محيياً وماءً محيياً ؟ **إذن فقد دُعينا إلى الوحدة بواسطة الروح** وقد صرنا شركاءً في جسد واحد في المسيح . **فلنتمسك إذن برباط المحبة بغير انقسام**](٩٠).

+ + +

خاتمة

الروح القدس ومبدأ التنوع في الوحدة

بدون التنوع والتمايز بين أعضاء الجسد الواحد لا تكون وحدتهم وحدة عضوية حية ، بل تكون مجرد سبيكة جامدة بلا حياة .

فالقديس بولس يؤكد هذه الحقيقة قائلاً :

« لو كان كل الجسد عيناً فأين السمع ؟ لو كان الكل سمعاً فأين الشم ؟ لو كان الجميع عضواً واحداً فأين الجسد ؟ » (١ كو١٢ : ١٧ و١٩) .

وفي ذلك يقول الأب متى المسكين في كتابه « الكنيسة الخالدة » :

[لكي ندرك معنى الوحدة إدراكاً صحيحاً ، يجب أن نستثني فكرة رفع الفوارق بين الأعضاء ، والكف عن أية محاولة لملاشاة التنوع والتمايز والإختصاص التي هي السمة الضرورية لتكوين الوحدات الكاملة . **لأن كمال الوحدة وجمالها هو في التآلف بين أجزائها المتميزة** والإنسجام بين المتنوعات فيها والتعاون في الإختصاصات المختلفة ! ... والوحدة البشرية التي تفقد حرية التآلف بين عناصر مكوناتها والإحتفاظ بخواص الأجزاء ، بل والعمل على إنمائها أيضاً ، لا تصير وحدة حية بل **سبيكة** بشرية فاقدة تماماً لكل خواص مكوناتها !!

فتنوع المواهب لازم لبناء هيكل الكنيسة كتنوع أشكال العظام في هيكل الجسد ، إذ يتكامل المؤمنون الواحد بالآخر كارتفاق العظام بعضها ببعض بإحكام « بمفاصل وربط متآزراً » (كو٢ : ١٩)](٩١).

---

(٩٠) تفسير ١ كو١٢ : ١٢ P.G 74, 888-889

(٩١) الكنيسة الخالدة ص١٠٢ و٩٤ .

فمن صفات الروح القدس أنه متنوع ومتعدد في مواهبه وعطاياه مع بقائه واحداً في جوهره . وقد قابلنا هذا المبدأ في بداية هذه المقالة في رسائل القديس بولس الرسول :

« **فأنواع مواهب موجودة** ولكن الروح واحد » (١ كو١٢ : ٤).

« وهذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه **قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء** » (١ كو١٢ : ١١).

فالوحدة التي يدخلنا إليها الروح القدس ، يتقابل فيها مبدأ التنوع مع مبدأ الوحدة . وقد سبق أن وجدنا تقابل المبدأين أيضاً في كتابات القديس يوحنا الرسول ، إذ أن كلاً من الروح القدس والكنيسة يوصف في سفر الرؤيا أحياناً بالعدد سبعة « سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض » ، « يوحنا إلى السبعة كنائس » ، وأحياناً بأنه مفرد : « الروح والعروس يقولان تعال » ، وذلك إشارة إلى تقابل القدرة على التنوع والإنتشار مع الإحتفاظ بالوحدة الكيانية الجوهرية .

ثم وجدنا نفس هذا المبدأ أيضاً عند القديس باسيليوس الكبير إذ أنه يصف الروح القدس بأنه :

[**في جوهره بسيط ، في طاقته متعدد ومتنوع**
موجود كله في كل واحد ، وكله موجود في كل مكان
يتوزع بدون أن يلحقه ضرر
نتقاسمه بدون أن يفقد كليته] (قول ١٩).

وأما القديس كيرلس فهو يؤكد بوضوح أكثر أننا لا نفقد شخصياتنا الخاصة المتميزة بدخولنا في الوحدة الروحية بفعل الروح القدس . فدخولنا كأعضاء في الجسد الإلهي لا يلغي الصفات التي يتميَّز بها كل واحد منا والتي تكوِّن شخصيته الخاصة :

[**مع كوننا متميزين بوضوح بعضنا عن بعض ، بحيث أن لكل واحد منا شخصيته الخاصة** ὑπόστασιν ἰδικήν **التي ينفرد بها ، التي بسببها يكون الواحد بطرس والآخر يوحنا أو توما أو متى** ، لكننا صرنا جسداً واحداً في المسيح ، لأننا نغتذي من الجسد الواحد ، **وكذلك خُتمنا للوحدة بالروح**

القدس الواحد ...] (٩٢).

وفي تفسيره للرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس يتأمل في ميزة هذا التنوع والتمايز بين الشخصيات في الجسد الإلهي الواحد ، إذ أنه يضفي جمالاً باهراً على ثوب الكنيسة ، فتكون كأنها مشتملة بثوب موشى بالذهب مزينة بأشكال كثيرة (٩٣) .

يقول القديس كيرلس :

[إن الروح يدبر توزيع المواهب لكل واحد بطريقة مختلفة حتى ــ بحسب ما قيل في (١ كو١٢ : ١٢) ــ كما أن هذا الجسد الكثيف الأرضي يتخذ قوامه من وجود أجزائه المختلفة ، هكذا المسيح أيضاً ، أي جسده الذي هو الكنيسة ، يأخذ كيانه من كثرة تنوع القديسين الكائنين معاً في وحدته الروحية الفائقة . ولذلك يصف داود الملهم من الله الكنيسة بأنها « مشتملة بثوب موشى بالذهب ، مزينة بأشكال كثيرة » (مز ٤٤ : ١٠ بحسب السبعينية) . وأنا أرى أنه يشير بذلك إلى كثرة تنوع المواهب وإلى كرامتها ... ولذلك أيضاً كُتب إنه : « ظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار فاستقرت على كل واحد منهم » (أع ٢ : ٣)] (٩٤).

---

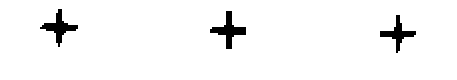
(٩٢) في الثالوث ١ P.G. 75, 697

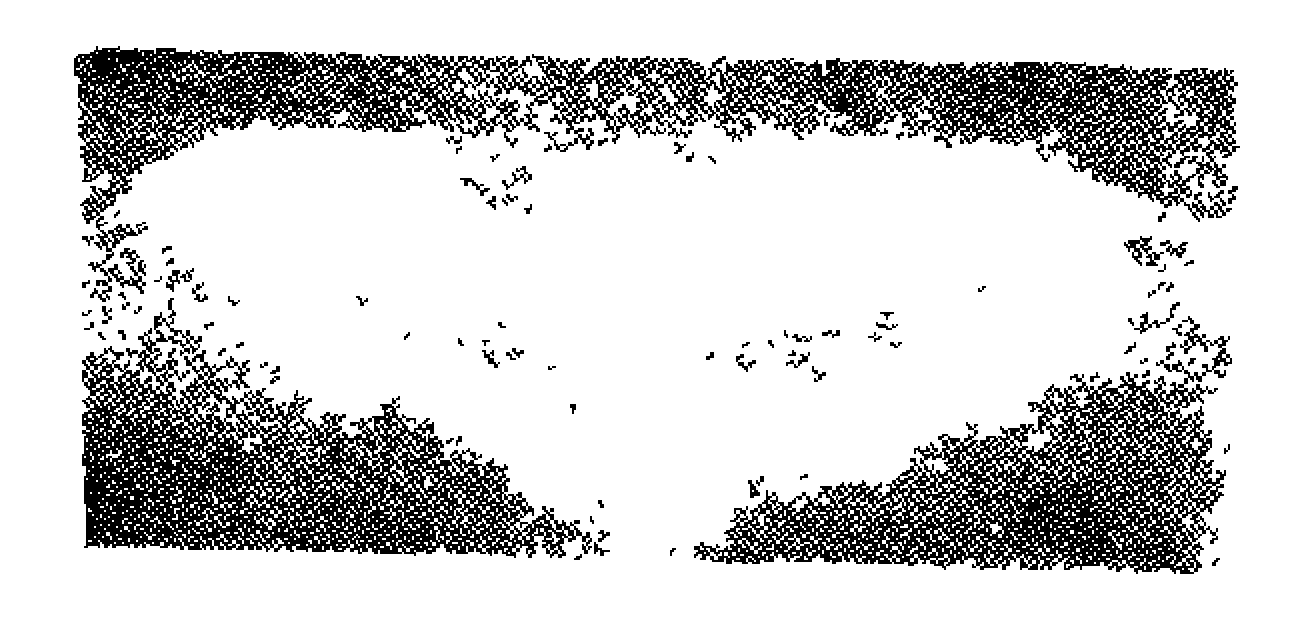
(٩٣) وللقديس أغسطينوس رأي جريء في هذا الموضوع مشابه لرأي القديس كيرلس الكبير ، إذ يرى أن اختلاف الطقوس والعادات والتقاليد من كنيسة محلية إلى أخرى إنما [**يضيف إلى الحُلة التي تتزين بها إبنة الملك ــ الكنيسة ــ ثوباً موشى بالذهب الإبريز تنعكس منه أشعة ذات ألوان شتى**] (الرسالة ٣٦ : ٩ « ٢٢ ») . **فهو بذلك يبرز القيمة الإيجابية للتنوع ليس فقط بين الأفراد بل وبين الكنائس المحلية أيضاً** في حدود وحدانية الروح ووحدانية الإيمان . وليذكر القارىء ما قلناه في هامش (٤١) من أن القديس أغسطينوس يُعتبر ضمن آباء الغرب أكثر من تفوق في شرح عقيدة الكنيسة كجسد للمسيح ، فالقديس أغسطينوس في الغرب يجاري القديس كيرلس الكبير في الشرق ، وإن كنا لم نعطه في هذا البحث حقه من الإهتمام والدراسة فذلك بسبب غزارة أقواله وخصب فكره اللاهوتي في هذا الموضوع ، الأمر الذي يجعله يستحق أن يخصص له بحث كامل خاص به .

(٩٤) تفسير ١ كو ١٢ : ٩ . P.G. 74, 888, Pusey, iii, 289, 290.

هذا هو جمال الكنيسة الباهر، الذي يتكوَّن من تناسق المواهب المتنوعة وتآلف الشخصيات المتعددة في وحدانية الروح القدس . هذا هو بريق الكنيسة المتعدد الألوان الذي ظهر للقديس يوحنا اللاهوتي في هيأة حجارة كريمة من كل لون وكل نوع ، تشكل أساسات أورشليم السماوية . فلولا هذا التنوع المتناسق بالروح لكانت الكنيسة كلها كتلة واحدة صماء بلا شكل ولا لون ، أو « سبيكة » جامدة ــ بحسب تعبير الأب متى المسكين (هامش ٩١) .

بل نقول ، إن هذه هي قدرة الله الفائقة التي بها استطاع أن يحوِّل نفس الأضرار التي أصابت البشرية بخطية آدم إلى قيم إيجابية في المسيح يسوع . فإن آدم الأول كان واحداً وبالخطية دخل في صميم طبيعته عنصر التفتت والتمزق الذي أدَّى إلى تشتت البشرية وانقسامها إلى شعوب وقوميات وألسنة كثيرة . ولكن حكمة الله وقدرته الفائقة ظهرت في « جمع كل شيء تحت رأس واحد في المسيح » ، ليس بإلغاء تنوع الشخصيات والقوميات والألسنة ، بل بتآلفها وتناسقها بفعل الروح القدس ، وتحويل التمزق والتفرقة التي حصلت بخطية آدم إلى تنوع مواهب إيجابي في المسيح يسوع ، يدفع البشرية للارتقاء « إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح » (أف ٤ : ١٣) ، حتى صارت البشرية الجديدة في المسيح يسوع بسبب تنوع مواهب شخصياتها وتعدد أصناف مواهبها ثم تناسقها بفعل الروح القدس ، أخصب وأكثر جمالاً وتكاملاً بما لا يُقاس مما كانت في آدم الأول بفرديته ذات النمط الواحد قبل أن يخطىء . وهذا هو فضل آدم الثاني على آدم الأول . □





الضرورة تحتم علينا أن لا نقول أو نشهد للروح القدس في حياتنا أو تعليمنا إلا على ضوء التقليد الآبائي، الذي هو بدوره ملتزم في الأساس بكلمة الإنجيل. فتقليد الكنيسة هو الذي يحدد صحة المعنى أو الشرح أو التطبيق، سواء في اللاهوت العقيدي النظري أو اللاهوت الروحي النسكي العملي. وكل خروج عن خط الآباء العام يخرجنا دون أن ندري عن مفهوم الأرثوذكسية وعن حياة الكنيسة التي انصبغت بها ألفي سنة، فسر الإيمان الصحيح مرتبط بفاعليته، والمعرفة النظرية مرتبطة بالتطبيق العملي، وهذا وذاك تسليم من الرب والرسل واستعلان روح الله القدوس الذي ظهر بتفوق عام شامل وكامل في يوم الخمسين، ولا يزال يغذي الكنيسة و يعلن ذاته في الأفراد.



ثمن الكتابين معاً
١٠ جنيهات